


لقد جعلتنا تجارب ميلجرام حول الطاعة
أكثر وعيًا بمخاطر قبول السلطة دون تمحيص

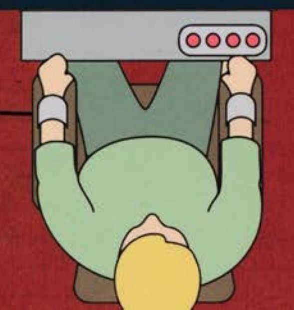
بيتر سينجر،
مراجعة كتاب نيويورك تايمز

كيف تُصنع



الطاعة

وجهة نظر علمية عــن التسلط



ستانلي ميلجرام

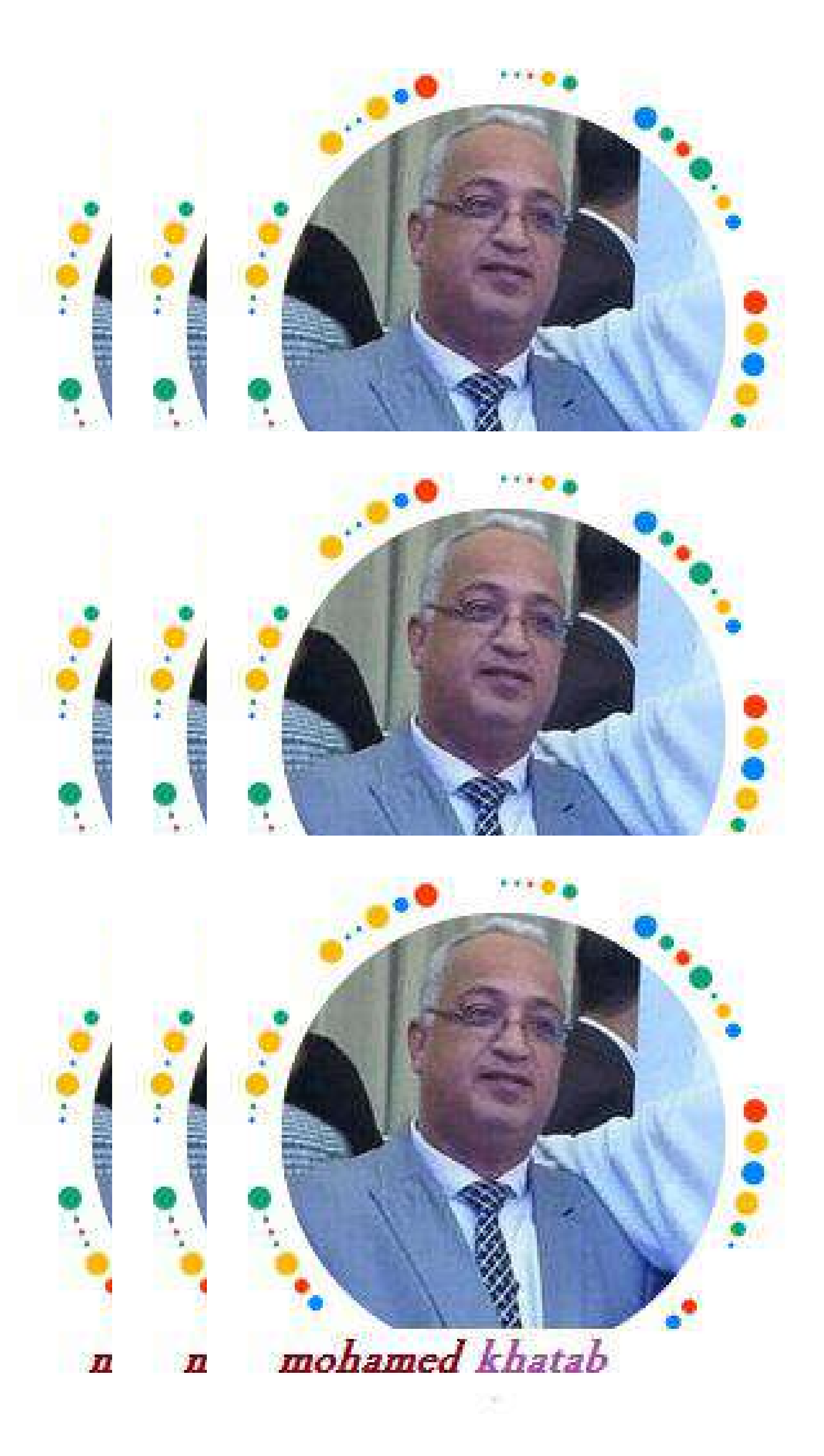
ترجمة: أندي ماريني



مكتبة ١١٦٧

كيف تُصنع الطاعة

وجهة نظر علمية عــن التسلط


mohamed khatab

لقد جعلتنا تجارب ميلجرام حول الطاعة
أكثر وعيًا بمخاطر قبول السلطة دون تمحيص

بيتر سينجر،
مراجعة كتاب نيويورك تايمز

مكتبة | 1167

كيف تُصنع الطاعة

وجهة نظر علمية عــن التسلط

ستانلي ميلجرام

ترجمة: أندي ماريني



المحتويات

مكتبة
t.me/soramnqraa

التجارب

الى امي
وذكرى ابي

ستانلي

المقدمة



إن الطاعة وبسبب انتشارها الواسع فمن السهل تجاوزها، فهي بدت وكأنها مسألة تم التغاضي عنها في علم النفس الاجتماعي ولكن بدون تقدير دورها في تشكيل الفعل البشري النفسي الذي لا يمكن فهم سلوكه المهم على نطاق واسع، لذا فإن الخروج تحت القيادة هو شخصية مختلفة تمامًا عن الفعل التلقائي.

إن الشخص الكاره للسرقة والقتل والاعتداء فقد تتكون لديه قناعةٌ داخليةٌ في نفسه فيقوم بهذه الأعمال بسهولة نسبية عندما تأمره السلطة بذلك. وهذا سلوك لا يمكن تصوره في الفرد الذي يتصرف بمفرده وينفذ ما يُطلب منه دون أي واعز عند التنفيذ. إن المعضلة الكامنة في الطاعة للسلطة هي ظاهرةٌ قديمةٌ قدم قصة إبراهيم (عليه السلام) وهذا الأمر واضحٌ من خلال الدراسة الحالية والتي تعطي المعضلة شكلاً معاصرًا

مـن خلال التعامل معها كموضوع مهـم للتحقيق التجريبي بهدف الفهم - بدلاً من الحكم عليها من وجهة نظر أخلاقية.

إن الواجب المهم هنا من وجهة نظر الدراسـة النفسـية للطاعة، هي أن تكـون قادرًا عـلى أخذ تصورات السـلطة وتطبيقها على تجربةٍ شـخصية، والحديـث بعبارات مجردة عن الحقوق والسـلطة الفردية؛ فدراسـة الخيار الأخلاقـي في موقـف حقيقي أمـر مختلف تمامًا وهذا معلـومٌ لدى الجميع من خلال المشـكلات الفلسفية للحرية والسلطة، ولكن في كل موقف لا تكون فيه المشـكلة أكاديمية فقط هناك شـخص حقيقي يجب أن يطيع أو يعصي السـلطة، وهذا مثال ملموس عندمـا يقع التحدي. وإن كل تصور قبـل هـذه اللحظة لا يعدو عن كونهِ تخمينًا ليس إلا، فالخبرات تبنى حول هذا المفهوم.

يُشار إلى أن التوجه صوب التجريب يضيّق المشكلة في الحالة التي يطلب فيهـا المجرب من شـخص ما أن يتصرف بقوة أكبر مـن المعتاد تجاه أو ضد شـخص آخر، وتحـت أي شروط أو ظروف سـيمتثل المتدرب، وتحت أي شروط سـيعصي؟ إن مشـكلة التجريب حية ومكثفة وحقيقية فهي ليست شـيئًا بعيدًا عن الحياة لكنها تحمل إلى اسـتنتاج متطـرف ومنطقي للغاية في بعض الاتجاهات المتأصلة في الأداء الطبيعي للعالم الاجتماعي.

السؤال الذي يطرح نفسه هو ما إذا كانت هناك علاقة بين ما درسناه في المختبر وأشـكال الطاعة المؤسـفة إبان العصر النازي. فمن دون أدنى شك في الحالتين تكون الاختلافات جسيمة، لكن الاختلاف في الحجم والأرقام والسـياق السـياسي قـد يكون غير مهـم نسـبيًا طالما تم الحفـاظ على بعض السـمات الأساسـية. إن جوهر الطاعة هو حقيقة أن يرى الشـخص نفسـه

كأداةٍ لتنفيذ رغبات شخص آخر، وبالتالي لم يعد يعتبر نفسه مسؤولاً عن أفعاله بمجرد حدوث هذا التحول المهم في وجهة نظر الشخص المعني، ويتم تتبع جميع السمات الأساسية للطاعة كتعديل الفكر، وحرية الانخراط في السلوك القاسي، وأنواع التبرير التي يواجهها الشخص تكون متشابهة بشكل أساسي سواء حدث ذلك في مختبر نفسي أو في غرفة التحكم في موقع ICBM. وبالتالي فإن مسألة الشمولية لا يتم حلها من خلال تعداد جميع الاختلافات الظاهرة بين المختبر النفسي والمواقف الأُخرى، ولكن من خلال بناء موقف يجسد جوهر الطاعة - أي الموقف الذي يسلم فيه الشخص نفسه للسلطة ولا يعتبر نفسه السبب الدافع أو الحقيقي لأفعاله.

ويقدر ما قد يكون هذا الموقف من الاستعداد والغياب عن الإكراه، فإن الطاعة مشوبة بمزاج تعاوني إلى الحد الذي يكون فيه التهديد بالقوة أو العقاب موجهًا نحو الخوف. إن دراساتنا تتناول فقط الطاعة المفترضة طواعيةً في غياب أي تهديد من أي نوع، والطاعة التي يتم الحفاظ عليها من خلال التأكيد البسيط للسلطة على أن لها الحق في ممارسة السيطرة على الشخص أيًا كان ما تمارسه سلطة القوة في هذه الدراسة، فإنه يعتمد على الصلاحيات التي ينسبها إليها المجرب بطريقةٍ ما وليس على أي تهديد موضوعي أو توافر الوسائل المادية للسيطرة على المتدرب.

المشكلة الرئيسية للمتدرب هي استعادة السيطرة على عمليات حاكمه بمجرد أن يلتزم بها لأغراض المجرب.

إن الصعوبات التي ينطوي عليها هذا المكون المؤثر والمأساوي هي إلى حد ما ممثلةٌ لهذا الوضع لأنه لا يوجد شيء أكثر كآبة من مشهد شخص يكافح ولكنه غير قادر تمامًا على التحكم في سلوكه في هذه الحالة.

شكر وتقدير

إن التجارب الموصوفة هنا تنبثق من تقليد يمتد لخمسة وسبعين عامًا من التجريب في علم النفس الاجتماعي. فقد أجرى بوريس سيدس تجربة على الطاعة في عام 1898، وإن كلاً من آش، لوين، شريف، فرانك، بلوك، كارترايت، فرنش، رافين، لوشينز، ليبت، وايت، قد اطلع عليها للاستعانة بها دون مناقشتها بشكل خاص. فمساهمات أدورنو وشركائه وأرندت وفروم ويبر هي جزء من روح العصر التي ينمو فيها علماء الاجتماع. فهناك ثلاثة أعمال ذات أهمية خاصة بالنسبة لي. الأول هو السلطة الحكيمة والاختلاف في الدولة الحديثة من قبل أليكس كومفورت، والثاني تحليل مفاهيمي واضح للقوة كتبه روبرت بيرستيدت؛ وطوره آرثر كويستلر، والثالث الشبح والآلة والتي طورت فكرة التسلسل الهرمي الاجتماعي بعمق أكبر من الكتاب الحالي.

تـم إجـراء هـذا البحـث التجريبـي واسـتكماله عندمـا كنت في قسـم علـم النفـس بجامعة يـل، 1960–1963، وأنا ممتن للقسـم لمساعدتي في تسـهيلات البحث الجيدة وتقديم المشـورة، وأود بشكل خاص أن أشكر الأستاذ إيرفينغ ال. جانيس.

لعـب الراحـل جيمـس ماكدونو من ويسـت هافـن، كونيتيكت دور المتعلـم، واسـتفادت الدراسـة مـن مواهبـه الطبيعية الواضحـة والتي لا تخطـئ، وعمل جـون ويليامز، من سـاوثبيري، كاونتـي، كمختبِر والذي لعـب دورًا فعـالاً للغايـة. كـما أود ان أشـكر آلان إلمـز، وجـون وأيلان، وتاكيتـو موراتا، وإميل إيلجيس، وجيمس ميلر، وجي مايكل روس على العمل المنجز فيما يتعلق بالبحث.

أنـا مدين بالكثير للعديد من النـاس في نيو هافن وبريدجبورت الذين عملوا كوضوعات للبحث.

فقد اسـتمر التفكير والكتابة عن التجارب لفـترة طويلة بعد إجرائها، وقـدم العديـد من الأفـراد الدافـع والدعـم لي، وكان من بينهـم الدكتور أندريه موديلياني، وآرون هيرشـكويتز، وريا مينـدوزا دايموند، والراحل جـوردون دبليـو ألبـورت، وأيضـا د. روجـر بـراون، وهـاري كوفمان، وهـوارد ليفينثـال، ونتجـول كوديريـكا، وديفيـد روزينهان، ليـون مان، وبول هولاندر، وجيروم برونر، والسـيد موري سـيلفر، وساعدني إلويز سـيغال في إعداد عدة فصول، وأظهرت فيرجينيا هيلو وهي أحد محرري هاربر ورو إيمانًا لا يصدق بالكتاب، وأعارتني في النهاية مكتبها وحررت الكتاب من مؤلف معارض.

أمـا في جامعـة مدينـة نيويـورك فإنني أتقدم بالشـكر لمـاري إنجل در وإيلـين ليـدال اللتان كانتا تعملان كسـكرتيرتين، وإلى ويندي سـتيرنبرغ وكاثرين كروغ، من مسؤولي الأبحاث. والشكر والامتنان موصولان الى جوديث ووترز - وهي طالبة دراسـات عليـا وفنانة ماهرة - والتي أتمت الرسومات في الفصلين الثامن والتاسع.

وأود أن أشكر معهد الشؤون اليهودية في لندن على الإذن بالاستشهاد بمقالتـي «الطاعـة للأوامر الجنائيـة: الإكراه على فعل الـشر»، الذي ظهر لأول مرة في مجلتها أنماط التحيز.

وأيضًـا نقدم الشـكر لجمعية علم النفس الأمريكية للسـماح لي باقتباس العديـد من مقـالاتي المطولـة التي نُـشرت لأول مرة في منشـوراتها، وهي «دراسـة سـلوكية للطاعة» و«قضايا في دراسـة الطاعة: ردًا على بومريند»، و«ضـغط المجموعة والعمل ضد شخص» و«تحرير آثار ضـغط المجموعة».

كـما تم دعـم البحـث بمنحتين مـن مؤسسـة العلـوم الوطنيـة، وتم دعم الدراسـات الاستكشـافية التـي أجريـت في عـام 1960 بمنحـة صغـيرة مـن صنـدوق هيجنـز في جامعـة ييـل زمالـة Guggenheim في 1972-1973 في باريس، بالإضافة إلى الواجبات الأكاديمية، التي سمحت لي بإكمال الكتاب.

ولا أنسـى العرفـان بالفضل لزوجتي ساشـا التي كانـت معي في هذه التجارب منذ البداية، ففي الأشهر الأخيرة كانت هي بجانبي فقط بعد أن عملنا في شقتنا في شارع Rémusat - وبمساعدتها اكتملت المهمة.

ستانلي ميلجرام - باريس 2 أبريل 1973.



1

معضلة الطاعة

الطاعة هي أمر أساسي في بنية الحياة الاجتماعية فهي في بعض أنظمة القوة مطلب لكل حياة جماعية، والإنسان لا يستطيع أن يعيش في عزلة فهو يجبر على الاستجابة من خلال التحدي أو الخضوع لأوامر الآخرين. إن الطاعة كمحدد للسلوك لها أهمية خاصة في عصرنا، ولقد ثبت بشكل موثوق أنه في الفترة من 1933 إلى 1945 قُتل ملايين الأبرياء بشكل منهجي بناءً على الأوامر. وتم بناء غرف الغاز، وحراسة معسكرات الموت، وتم إنتاج حصص يومية من الجثث بنفس كفاءة تصنيع الأجهزة. فقد تكون هذه السياسات اللاإنسانية قد نشأت في عقل شخص واحد، ولكن كان من الممكن تنفيذها على نطاق واسع فقط إذا أطيعت الاوامر من قبل الكثير من الناس.

فالطاعة هي الآلية النفسية التي تربط العمل الفردي بهدف سياسي فهي الرابط الذي يربط الرجال بأنظمة الطاقة، وتشير حقائق وملاحظات التاريخ الحديث في الحياة اليومية إلى أن الطاعة قد تكون بالنسبة للعديد من الناس نزعة سلوكية متأصلة بعمق، وفي الواقع هي محرك غير كافٍ يطغى على التدريب في الأخلاق والتعاطف والسلوك الاجتماعي. ففي هذا السياق يشير الكاتب سنو (1961) سنو إلى أهميته عندما كتب:

«عندما تفكر في التاريخ الطويل والكئيب للجنس البشري، ستجد المزيد من الجرائم الوحشية التي تم ارتكابها باسم الطاعة أكثر من الجرائم التي ارتكبت في أي وقت مضى باسم التمرد، وإذا كنت في شك اقرأ كتاب ويليام شايرر «نشأة وسقوط الرايخ الثالث». لقد نشأ الضباط الألمان في أكثر قواعد الطاعة صرامة... باسم الطاعة كانوا طرفًا في أكثر الأعمال الشريرة في تاريخ العالم وساعدوا فيها». (ص. 24)

إن الإبادة النازية لليهود الأوروبيين هي المثال الأكثر تطرفًا على الأفعال اللاأخلاقية المقيتة التي يرتكبها آلاف الأشخاص باسم الطاعة. ولكن هذا النوع من الأشياء يتكرر بدرجة أقل وبشكلٍ متواصل يُطلب من المواطنين العاديين تدمير الآخرين، ويفعلون ذلك لأنهم يعتبرون أن من واجبهم إطاعة الأوامر فقط. وهكذا فإن طاعة السلطة التي طالما تم الإشادة بها كفضيلة تأخذ جانبًا جديدًا عندما تخدم قضية خبيثة بعيدًا عن الظهور كفضيلة فيتحول إلى خطيئة شنيعة. أليس كذلك؟

ناقش أفلاطون السؤال الأخلاقي حول ما إذا كان يجب على المرء أن يطيع عندما يتعارض الأمر مع الضمير كما تم تصويره في أنتيجون،

ومعالجته للتحليل الفلسفي في كل عصر تاريخي فيجادل الفلاسفة المحافظون بأن نسيج المجتمع ذاته مهدد بالعصيان، وحتى عندما يكون الفعل الموصوف من قبل السلطة عملاً شريرًا، فمن الأفضل القيام بهذا الفعل بدلاً من التمزق والانشقاق في هيكل السلطة. وذكر هوبز أيضًا أن تنفيذ أي عمل بهذه الطريقة لا يقع بأي حال من الأحوال على عاتق الشخص الذي يقوم بتنفيذها، بل يقع فقط على عاتق السلطة التي تأمر به، لكن المدافعين عن الإنسانية يجادلون بأولوية الضمير الفردي في مثل هذه الأمور، ويصرون على أن الأحكام الأخلاقية للفرد يجب أن تطغى على السلطة عندما يتعارض الاثنان.

إن الجوانب القانونية والفلسفية للطاعة ذات أهمية كبيرة، ولكن العالم التجريبي وصل أخيرًا إلى النقطة التي يرغب فيها في الانتقال من الخطاب المجرد إلى المراقبة الدقيقة للمواقف الملموسة، ومن أجل إلقاء نظرة تمعنية على فعل الطاعة قمت بإعداد تجربه بسيطة في جامعة ييل وفي النهاية كانت التجربة ستشمل أكثر من ألف مشارك وتتكرر في عدة جامعات، لكن في البداية، كان المفهوم بسيطًا إذ يؤتى بالشخص إلى مختبر نفسي ويطلب منه أداء سلسلة من الإجراءات التي تتعارض بشكل متزايد مع الضمير. والسؤال الرئيسي للبحث هو إلى أي مدى سيلتزم المشارك بتعليمات المجرّب قبل أن يرفض تنفيذ الإجراءات المطلوبة منه؟

لكن القارئ يحتاج إلى معرفة المزيد من التفاصيل حول التجربة، جيء بشخصين إلى مختبر علم النفس للمشاركة في دراسة الذاكرة والتعلم. وتم تصميم أحدهما ليكون «مدرسًا» (المدرّب) والآخر «متعلمًا» (المتدرب /

الضحية)، ويوضح المجرب أن الدراسة معنية بآثار العقاب على التعلم، ويتم نقل المتعلم إلى غرفة، ويجلس على كرسي وذراعاه مقيدة لمنع الحركة المفرطة، ويتم توصيل قطب كهربائي بمعصمه. وتمّ إخباره بأنه سيتعلم قائمة من أزواج الكلمات؛ وعندما يقوم بالإجابات الخاطئة، سيتعرض لصدمات كهربائية متصاعدة الشدة.

إن التركيز الحقيقي للتجربة يقع على المعلم (المتدرب) فبعد مشاهدة المتعلم وهو مقيد في مكانه، يتم اصطحابه إلى غرفة التجربة الرئيسة ويجلس أمام مولد صدمة كهربائية، تتمثل ميزته الرئيسية في وجود خط أفقي من ثلاثين مفتاح تحويل، تتراوح بين (15 – 450 فولت)، بزيادات تبلغ (15 فولت) وهناك أيضًا تسميات لفظية تتراوح من (صدمة خفيفة – صدمة حرجة أو خطرة). وقيل للمعلم أنه سيدير اختبار التعلم للرجل في الغرفة الأُخرى، وعندما يستجيب المتعلم بشكل صحيح ينتقل المعلم إلى النقطة التالية؛ وعند ورود الإجابة غير الصحيحة يقوم المعلم بصعق المتعلم بالكهرباء. وهنا يتوجب على المعلم أن يبدأ من أدنى مستوى صدمة! (15 فولت) ويقوم بزيادة مستوى الصعق في كل مرةٍ يعطي فيها المتعلم الإجابة الخطأ، حيث يمر المتعلم عبر المستويات المختلفة من (30 فولت – 45 فولت) تباعًا.

ففي الحقيقة يُعتبر المعلم هو المتدرب البسيط الذي جاء إلى المختبر ليشارك في تجربةٍ ما، والمتعلم أو الضحية هو ممثل لا يعاني من أي صدمة على الإطلاق. فالهدف من التجربة هو معرفة إلى أي مدى سيذهب الشخص إلى موقف ملموس وقابل للقياس حيث يُطلب منه إلحاق ألم

متزايـد بالضحيـة معارضـه، وفي أي نقطة سـيرفض هذا المتـدرب طاعة المجرب؟

ينشأ الخلاف عندما يبدأ الرجل الذي يتلقى الصدمة في الإشارة إلى أنه يشعر بعدم الراحة عند (75 فولت) يبتسم «المتعلم»، وعند مستوى (120 فولت) يشـكو لفظيًا، أما عند مسـتوى (150 فولـت) فإن المتعلم ينسحب مـن إكمال التجربـة، حيث أن معارضاته قد اسـتمرت تزامنًـا مع تصعيد الصدمات واشـتدادها وانفعالاتها، وعند مستوى (285 فولت) لا يمكن وصف ردة فعل المتعلم إلا أنها صرخة مؤلمة.

يتفق مراقبو التجربة على أن جودتها المميزة محجوبة إلى حد ما في الكتاب كمادةٍ مطبوعة. أما بالنسبة للمتدرب، فالوضع ليس لعبة وذلك لأن شدة الصراع واضحةٌ جلية. فمن جهة أولى إن وجود المعاناة الواضحة للمتعلم تضغـط عليـه للإقلاع عـن هذا الأمـر، ومن جهـةٍ أُخرى، فـإن المجرب بوصفهِ سلطةً شرعيةً يُشعر المتدرب تجاهها ببعض الالتزام والذي بدوره يقـودهُ للاسـتمرار. وفي كل مرة يتردد فيها المتـدرب في التحكم بالصدمة يأمره المدرب بالاسـتمرار بُغية تخليص نفسـه من الموقف الذي لا يُحسـد عليه. ولكي يخلص نفسهُ مما هو فيه فالمتدرب يتوجب عليه أن ينفصل عن التجربـة تبيانًا منهُ لمعارضتهِ للسـلطة. فالهدف من هـذا البحث هو معرفة متى وكيف سيتحدى الناس السلطة في مواجهة واجب أخلاقي واضح.

فبالتأكيـد هنـاك اختلافات شاسـعة بين تنفيذ أوامـر الضابط الآمر في أوقـات الحـرب وتنفيـذ أوامر المعلـم (المـدرب)، ومع ذلـك الطاعة هي جوهـر بعض العلاقات فعندما يسـأل المرء بطريقة عامـة: كيف يتصرف

الرجل عندما تأمرهُ سلطة شرعية بالتصرف ضد شخص ثالث؟ إذا كان هناك أي شيء، فقد نتوقع أن تكون قوة المجرب أقل بكثير من قوة الناس العاديين وذلك لأنه لا يمتلك القوة لفرض أوامرهُ ونادرًا ما تثير المشاركة في تجربةٍ نفسيةٍ الشعورَ بالإلحاح والتفاني الناتج عن تلك المشاركة في الصراع. فعلى الرغم من هذه القيود، اعتقدت أنه من الجيد البدء في مراقبة الطاعة بعناية حتى في هذا الموقف المتواضع، على أمل أن تُحفز الأفكار وتؤدي إلى مقترحات عامة تنطبق على مجموعة متنوعة من الظروف.

من المحتمل أن يكون رد فعل القارئ المبتدئ على التجربة هو السؤال عن سبب قيام شخص ما مثل المتدرب وهو بكامل وعيه بالتحكم بالصدمة الأولية. ألن يرفض ويغادر المختبر ببساطة؟ لكن في الحقيقة أنه لا أحد يفعل ذلك. وبما أن المتدرب حضر إلى المختبر لمساعدة المعلم في تنفيذ مهمتهِ، فهو جاهز تمامًا لبدء الإجراء. ولا يوجد شيء غير عادي في هذا الأمر، خاصة وأن الشخص الذي يتلقى الصدمة يبدو متعاونًا في البداية بالرغم من قلقهِ الطبيعي لحدٍ ما، حيث أن المثير للدهشة هو إلى أي مدى سيقوم الأفراد العاديون بطاعة تعليمات المرب، وفي الواقع كانت نتائج التجربة مفاجئة ومخيفة في نفس الوقت، وعلى الرغم من حقيقة أن الكثير من المتدربين يعانون من التوتر ووجود العديد من المعارضين للمجرب، فإن نسبة كبيرة منهم تواصل العمل أو التجربة حتى المستوى الأخير من الصدمة الكهربائية.

فكثير من الناس سوف يطيعون المجرب بغض النظر عن مدى قسوة وضع الشخص المصاب بصدمة نفسية متناسين مدى الألم الذي قد تبدو

عليـه الصدمة وكذلك مدى مطالبة الضحية بالسـماح لها بالخروج، وهذا ما تمت ملاحظتهُ مرارًا في دراسـاتنا وكذلك في العديد من الجامعات التي كـررت هذه التجربـة. إن الرغبة الجامحة للبالغين الذيـن يبذلون أي جهد تقريبًـا للانصياع لأمر السـلطة هـو النتيجة الرئيسـية للدراسـة والحقيقة الأكثر تطلبًا للتفسير.

إن التفسـير الشـائع هو أن أولئك الذين صدموا الضحية بأكثر الطرق قسوة كانوا وحوشًـا في التعامل ويمثلون الجزء السادي من المجتمع، ولكن إذا اعتبر المـرء أن ما يقرب من ثلثي المشـاركين يندرجون في فئة المتدربين «المطيعين»، وأنهم يمثلون أشـخاصًا عاديـين ينتمون إلى الطبقات العاملة والإداريـة والمهنية، فإن الجدل يصبح متزعزعًـا للغاية. في الحقيقة إن هذا يذكرنا بقوة بالقضية الذي برزت فيما يتعلق بكتاب هانا أرندت عام 1963، «**أيخمان في القدس**» ففي الكتاب زعم أرنـدت أن جهود الادعاء لتصوير أيخمان على أنه سادي كانت جوهريًا عاريةً عن الصحة، وأنه أصبح أقرب ما يكون بيروقراطيًا من غير روح جالسًا ببساطة على مكتبه ويقوم بعمله، ولتأكيد هذه الآراء أصبح أرندت موضع ازدراء عظيم، بل وحتى موضع افـتراء. وبطريقةٍ ما، كان هناك شـعور بأن الأعمال الوحشـية التي قام بها أيخمان تتطلب شخصية وحشـية وملتوية وسادية وشريرة. وبعد مشاهدة مئات الأشـخاص العاديين يستسلمون للسلطة في تجاربنا الخاصة، يمكن أن أسـتنتج أن مفهوم أرندت عـن تفاهة الشر يقترب من حقيقة ما يمكن للمرء أن يتخيله، والشخص العادي الذي صدم الضحية فعلاً من منطلق الإحساس بالالتزام – كإدراك لواجباته كمتدرب – وليس من منطلق أي ميول عدوانية غريبة.

ربما يكون هذا هو الدرس الأساسي الذي نتعلمه من دراستنا، والذي من خلاله يمكن للناس العاديين وببساطة أن يقوموا بوظائفهم، وبدون أي فعلٍ تعسفي من جانبهم، وبالتالي يصبحون مساهمين فاعلين في عملية تدمير مروعة. بالإضافة إلى ذلك حتى عندما تتضح الآثار المدمرة لعملهم ويطلب منهم القيام بأعمال لا تتوافق مع المعايير الأخلاقية الأساسية، فإن عددًا قليلاً نسبيًا من الناس لديهم الموارد اللازمة لمقاومة السلطة وتدخل مجموعة متنوعة من الموانع ضد عصيان السلطة وتُبقي الشخص في مكانه بنجاح.

فعند الجلوس على كرسي بذراعين من السهل إدانة تصرفات الأشخاص المطيعين لكن أولئك الذين يدينون الأفراد يقيسونهم وفقًا لمعيار قدرتهم على صياغة وصفات أخلاقية سامية وهذا بحد ذاتِه لا يُعتبرُ معيارًا عادلاً. فعلى مستوى الرأي العام لا يشعر الكثير من الناس بنفس القوة التي يشعر بها أي منا بشأن المطلب الأخلاقي بالامتناع عن اتخاذ إجراءات ضد الضحية العاجزة، فهم أيضًا يعرفون بشكل عام ما يجب عليهم فعله ويمكنهم التعبير عن قيمهم عندما تنشأ المناسبة وهذا الشيء ليس له علاقة تذكر إن وجد بسلوكهم الفعلي تحت ضغط الظروف.

وإذا طُلب من الناس إصدار حكم أخلاقي حول ما يُعتبرُ سلوكًا مناسبًا في هذه الحالة، فإنهم ينظرون بلا كلل إلى العصيان على أنه الخيار الأصح، لكن القيم ليست هي القوى الوحيدة التي تعمل في وضع فعلي ومستمر، حيثُ أنها مجموعة واحدة من الأسباب في النطاق الكلي للقوى التي تؤثر على الشخص. لِذلك فان الكثير من الناس لم يتمكنوا من إدراك

قيمهم في العمل ووجدوا أنفسهم عازمين على خوض التجربة على الرغم من رفضهم لما كانوا يقومون بهِ سَلفًا.

إن القوة التي يمارسها الحس الأخلاقي للفرد تُعتبرُ أقلّ فاعليةً مقارنةً برغبة الأسطورة الاجتماعية أن نصدقه، وعلى الرغم من أن صفات مثل «لا تقتل» تحتل مكانةً بارزةً في النظام الأخلاقي، إلا أنها لا تحتل مكانة داخلية مماثلة في البنية النفسية-الروحية للإنسان. فبعض التغييرات في عناوين الصحف، ومكالمة من لوحة التجنيد، وأوامر من رجل يحمل كتافًا نسيجيًا، والرجال الموجهون إلى القتل دون صعوبة تذكر، حتى القوى التي تم حشدها في تجربة علم النفس، جميعها سوف تقطع شوطًا طويلاً لتجريد الفرد من الضوابط الأخلاقية بحيث يمكن تنحية العوامل الأخلاقية جانبًا بسهولة نسبية من خلال إعادة هيكلة محسوبة للمجال الإعلامي والاجتماعي.

إذاً، فالسؤال المطروح هنا، ما الذي يُبقي المتدرب مُطيعًا للمدرب؟ أولاً، هناك مجموعة من «العوامل الملزمة» التي تحبس المتدرب في الموقف وهذه العوامل تتضمن معايير عديدة كلباقة المتدرب، واستعداده للوفاء بوعده الأولي بمساعدة المجرب، والإحراج من الانسحاب. وثانيًا، حصول عدد من التغيرات في تفكير الشخص التي تمنعهُ من الانفصال عن السلطة، وتساعد تعديلات المتدرب على الحفاظ على علاقته مع المجرب، وفي نفس الوقت تعمل على تخفيف التوتر المُسبب جرّاء الصراع التجريبي. وهذه العوامل تعتبر النموذج المثالي للتفكير الذي يحدث عند الموالين للسلطة والذين يتم توجيههم ضد الأفراد العاجزين.

إن من إحدى هذه الآليات هي ميل الفرد إلى الانغماس في الجوانب التقنية الضيقة للمهمة بحيث يفقد التركيز على نتائجها. ومن الملاحظ في فيلم «دكتور سترينجلوف» والذي يقدم لسخريةٍ رائعةٍ حالة انهماك طاقم القاذفة للتدابير الفنية الصارمة لإسقاط أسلحة نووية على بلد ما، وبالمثل ففي هذه التجربة ينغمس الأشخاص في الإجراءات ويدققون في قراءة الكلمات بتعبير دقيق والضغط على المفاتيح بعناية شديدة. فهم يريدون أن يؤدوا مهمتهم بكفاءةٍ عاليةٍ، وفي عين الوقت يريدون إظهار القلق باهتمام أخلاقي. وهنا يتعهد المتدرب (الضحية) بالمهام الأوسع المتمثلة في تحديد الأهداف وتقييم الأخلاق لصالح السلطة التجريبية التي يخدمها.

إن التعديل الأكثر شيوعًا في المتدرب المطيع، هو بالنسبة لهُ أن يرى نفسه غير مسؤول عن أفعاله بحيث يتخلى عن مسؤوليتهِ من خلال تحويل كل المبادرات إلى المدرب والذي هو سلطة شرعية إلا أنه لا يرى نفسه كشخص يتصرف بطريقة مسؤولة أخلاقيًا ولكن كوكيل لسلطةٍ خارجية. وفي عرض ما بعد التجربة عندما سُئل المشاركون عن سبب استمرارهم، كان الرد النموذجي: «لن أفعل ذلك بنفسي، فقد كنت أفعل ما قيل لي فقط». وما من حولٍ ولا قوةٍ لمجابهة سلطة المدرب، فإنهم ينسبون إليه كل المسؤولية. إنها القصة القديمة لـ «فقط أداء عمل أحدهم» التي سُمعت مرارًا في تصريحات الدفاع للمتهمين في نورمبرغ، لكن سيكون من الخطأ اعتبارها ذريعة واهية لهذه المناسبة، بل إنها طريقة تفكير أساسية لكثير من الناس بمجرد حبسهم في موقع ثانوي في هيكل السلطة. لِذلك فإن اختفاء الشعور بالمسؤولية هو أكبر نتيجة للخضوع للسلطة.

فعلى الرغم من أن الشخص الذي يتصرف تحت سلطةٍ ما يقوم بأفعال يبدو أنها تنتهك معايير الضمير، فليس من الصواب القول إنه فقد حسه الأخلاقي. وبدلاً من ذلك يكتسب تركيزًا مختلفًا كليًا وذلك لعدم استجابتِهِ الأخلاقية للأفعال التي يقوم بها بنفسِهِ. فتلاحظ ان اهتمامه الأخلاقي يتحول إلى النظر في قدرته على تلبية توقعات السلطة منه. ففي وقت الحرب، لا يسأل الجندي فيما لو كان قصف قرية صغيرة أمرًا جيدًا أم سيئًا وبالتالي لا يتطلب الخبرة - ومن هنا فهو لا يشعر بالخجل أو الذنب في تدمير قرية بل يشعر بالفخر في أداء المهمة المخصصة له فقط لأنها موجهة من السلطة التي يخضع لها أو يتبع أوامرها.

فهناك قوة نفسية أُخرى تعمل في هذه الحالة يمكن تسميتها «التشكل المضاد للبشر». فعلى مدى عقود ناقش علماء النفس الميل البدائي بين الرجال إلى عزو الأشياء غير الحية والصفات الإجبارية إلى الجنس البشري. ومع ذلك فإن الاتجاه التعويضي هو إعطاء خاصية غير شخصية للقوى التي هي في الأساس بشرية في أصلها والتزاماتها. حيث أن بعض البشر يتعاملون مع الأنظمة ذات الأصل البشري كما لو كانت موجودة فوق أي عامل بشري وخارجة عن سيطرة الرغبات أو العواطف البشرية.

فليس هناك قيمة للعنصر البشري بل يتم إلقائه خلف اهتمامات الوكالات والمؤسسات الرسمية، وهكذا عندما يقول المدرب «إن التجربة تحتاج أن تستمر» يشعر الفرد أن هذا أمر حتمي يتجاوز أي أمر بشري والسبب يكمن في أنهُ لا يسأل السؤال الذي يبدو بديهيًا، «تجربة من؟ لماذا يجب أن يُخدم المصمم بينما الضحية تقبع تحت وطأة المعاناة؟» فبما لا يقبل

الشـك، أصبحت رغبـات الرجل - مصمـم التجربة - جـزءًا من مخطط يمارس في عقل الشخص وقوة تتجاوز الشخصية. «فهي يجب أن تستمر» «يجـب أن يسـتمر». لقـد فشـل في إدراك أن رجـلاً مثلـه يريد أن يسـتمر وبالنسـبة له تلاشـى الوكيل الانساني من الصورة، واكتسـبت «التجربة» زخمًا من ذاتها لذاتها.

ليـس هنالك حدثٌ في ذاته له خاصية نفسـية ثابتـة حيث يمكن تغيير معنـاه بوضعه في سـياقات معينة. فقد نقلت صحيفـة أمريكية مؤخرًا عن طيـار اعترف بـأن الطـيران الامريكـي كان يقصف تجمعـات الفيتناميين رجالاً ونساءً وأطفالاً، ولكون القصف كان لأجل «قضيةٍ نبيلةٍ» فقد كان لهُ مبرراتهُ، وبالمثل يرى معظم الناس سـلوكهم في سياق أكبر يكون خيرًا ومفيدًا للمجتمع - وهو السـعي وراء الحقيقة العلمية. إن المختبر النفسي لـهُ ارتباط وثيق بالشرعية ويوحي بالثقـة في أولئك الذين يحضرون لتأدية الاختبـار. فحـدثٌ مثل صدمـة الضحية، (والتي تبدو شـيطانيةً بشـكل منفصل) يكتسـب معنىً مختلفًا تمامًا عند وضعه في هذا المقام، مع السـماح للحدث بالسـيطرة عليه مع إهمال عواقبه البشريـة والتي يمكن أن تكون خطيرةً للغاية.

هناك سـمة رئيسـية واحدة على الأقل للوضع في ألمانيا لم تتم دراسـتها هنا وهي التخفيض الشديد لقيمة الضحية قبل اتخاذ إجراء ضدها. فلعقدٍ أو أكثر من الزمن أعـدت الدعاية الشرسـة المناهضةِ لليهود، واستسـلم الشـعب الألماني بشـكل منهجي لقبـول تدمير اليهود، وتـم إقصاء اليهود خطـوة بخطوة من فئة المواطن والقومـي، وفي النهاية حُرموا من مكانتهم

كبشر. إن تقبل قسمة الانسان المنهجة قدم للضحية قدرًا من التبرير النفسي للمعاملة الوحشية للضحية من قبل الألمان وقد صاحب ذلك دائمًا مجازر ومذابح وحروب. وفي جميع الاحتمالات فإن متدربينا سينالون نوعًا من التسهيل بالصدمة أكثر من المتدرب لو تم تصويره على أنه على أنه مجرم وحشي أو منحرف.

ومع ذلك فمن الأهمية بمكان حقيقة أن العديد من العوامل تقلل بشدة من قيمة الضحية من خلال مناهضتها أو الوقوف على النقيض منها، ومن جملة التعليقات التي تلقتها الضحية، «لقد كان غبيًا وعنيدًا جدًا بحيث تم صدمهُ كهربائيًا»، وبمجرد أن يتجهوا نحو الضحية وجد هؤلاء الأشخاص أنه من الضروري معاملته على أنهُ شخصٌ لا يستحق العقوبة التي لا مفر منها، وهذا قصور في الفكر والشخصية. فقد عارض العديد من الأشخاص الذين درسوا في التجربة ما فعلوه بالمتعلم، واحتج الكثيرون حتى عندما كانوا مطيعين، لكن بين الأفكار والكلمات والخطوة الحاسمة للعصيان هناك سلطةٌ خبيثةٌ كامنةٌ، وهي القدرة على تحويل المعتقدات والقيم إلى أفعال.

لقد كان بعض الناس مقتنعين تمامًا بما يفعلونه لكنهم لم يتمكنوا من دفع أنفسهم بعيدًا تمامًا عن السلطة، وكان البعض راضين عن أفكارهم وشعروا – مع أنفسهم على الأقل – أنهم بجوار الملائكة، وما فشلوا في إدراكه هو أن المشاعر الذاتية لا علاقة لها بالمسألة الأخلاقية المطروحة لأنها لا تُترجم إلى أفعال، كما وأن السيطرة السياسية غالبًا ما تتأثر بالعمل. وأن مواقف الحراس في معسكر الاعتقال ليس لها عواقب عندما يتيحون

المجال لذبح الرجال الأبرياء على مرأىً ومسمعٍ منهم، وبالمثل فإن ما يسمى بـ «المقاومة الفكرية» في أوروبا المحتلة - والتي من خلالها يشعر الناس في أذهانهم بأنهم تحدوا الغزاة - قد كان مجرد مواساة لآلية الوضع النفسي. فالمستبدون قد خُلدوا من قبل رجال عديمي الثقة بأنفسهم ولا يملكون الشجاعة للتصرف حسب معتقداتهم. ولمراتٍ متكررةٍ فقد استخف الناس بالتجربة بما كانوا يفعلونه ولكنهم لم يتمكنوا من تجميع أفكارهم الداخلية لترجمتها إلى أفعال.

وبهذا الصدد يصور أحد أشكال التجربة الأولية معضلة أكثر شيوعًا من تلك الموضحة حيثُ لم يُطلب من الشخص دفع المقداح ليصدم الضحية، ولكن لمجرد القيام بعمل ثانوي (إجراء اختبار زوج من الكلمات) قبل أن يقوم شخص آخر فعليًا بتوجيه الصدمة. وفي هذا المقام، بقي (37) من أصل (40) شخصًا بالغًا من منطقة (نيو هافن) يعانون من أعلى مستوى من الصدمات باستخدام المولد الكهربائي. وكما هو متوقع اعتذر المتدربون عن سلوكهم قائلين إن المسؤولية تقع على عاتق الرجل الذي دفعهم لفعل ذلك. فقد يوضح هذا نموذجًا خطيرًا في مجتمع معقد، فمن السهل نفسيًا تجاهل المسؤولية عندما يكون المرء مجرد حلقة وسيطة في سلسلة من الأفعال الشريرة ولكن بعيدًا عن النتائج النهائية للفعل. حتى أيخمان مرضَ عندما قام بجولة في معسكرات الاعتقال، لمجرد المشاركة في القتل الجماعي حيث كان عليه فقط الجلوس على مكتب وخلط الأوراق. وفي الوقت نفسه كان الرجل في المخيم الذي أسقط Cyclon-B في غرف الغاز قادرًا على تبرير سلوكه على أساس أنه كان فقط ينفذ الأوامر المعطاة من مرتبةٍ أعلى من مرتبتِهِ، وبالتالي هناك انهيار وتكسّر للعمل البشري

ككل؛ فلا أحد يقرر فعل الشر ويواجه عواقبه، والشخص الذي يتحمل المسؤولية الكاملة عن الفعل قد تلاشى واختفى وربما تكون هذه هي السمة الأكثر شيوعًا للشر المنظم اجتماعيًا في المجتمع الحديث.

ومن ثم فإن مشكلة الطاعة ليست منطقًا نفسيًا بالكامل حيث أن لشكل المجتمع وهيئته وطريقة تطوره علاقة كبيرة بها. وربما كان هناك وقت كان فيه الرجال قادرين على إعطاء استجابة بشرية كاملة تجاه أي موقف لأنهم كانوا منغمسين فيه مثل البشر. ولكن ما إن أصبح هناك تقسيم للعمل بين الناس، حتى أدى ذلك الى تغيير الأمور إلى أبعد من نقطة معينة، لذا فإن تقسيم المجتمع إلى أشخاص يؤدون وظائف ضيقة ومتميزة للغاية يجرّد الناس جودة العمل والحياة. فالشخص غير متمكن من رؤية الموقف برمته ولكن جزء صغير منه فقط، وبالتالي فهو غير قادر على التصرف دون نوع من التوجيه الشامل فيستسلم للسلطة لكنه خلال قيامه بهذا الأمر يُعزل عن أفعاله.

ولقد اكتشف (جورج أورو يل) جوهر الموقف عندما كتب:

«أثناء كتابتي، كان الناس من الطبقة المتحضرة والذين يحومون حولي في محاولةٍ لقتلي لا يشعرون بأي خصومةٍ تجاهي كفرد، ولا انا أعارضهم هم فقط «يؤدون واجبهم»، كما يقول المثل. فمن جهة فإن معظم أولئك الرجال بلا شك طيبون ويحترمون القانون ولا ينوون ارتكاب جريمة قتل. ومن ناحيةٍ أُخرى إذا تمكن شخص ما من تقطيعي إلى قطع بقنبلة موضوعة جيدًا فلن ينام مرتاحًا.

2

طريقة التحقيق والاستعلام



تعتبر البساطة مفتاح البحث العلمي الفعال وهذا صحيح بشكل خاص في حالة كون المتدرب حساسًا للغاية في سبيل الوصول إلى المسألة النفسية بطبيعتها، ومن المرجح أن يكون لها جوانب كثيرة أكثر مما تبدو للوهلة الأولى. فالإجراءات المعقدة فقط تعترض طريق الفحص الواضح للظاهرة نفسها. ولدراسة الطاعة بكل بساطة يجب أن نخلق موقفًا يأمر فيه شخص ما شخصًا آخر بأداء فعل يمكن ملاحظته مع ملاحظة وقت حدوث الطاعة من عدمها.

فإذا أردنا قياس قوة الطاعة والظروف التي تتنوع فيها يجب أن ندفعها باتجاه بعض العوامل القوية التي تعمل في اتجاه العصيان، والتي يمكن فهم أهميتها البشرية بسهولة.

ومن بين جميع المبادئ الأخلاقية فإن المبدأ الأقرب للقبول عالميًا هو: (لا ينبغي لأحد أن يلحق المعاناة بشخص عاجز لا يؤذي نفسه ولا يهددها) فهذا المبدأ هو القوة المضادة التي سنضعها في مواجهة الطاعة، وسيُطلب من أي شخص قادم إلى مختبرنا العمل ضد شخص آخر بطريقةٍ متزايدةِ القسوة وتبعًا لِذلك فان ضغوط العصيان ستتراكم في نقطةٍ غيرِ معروفةٍ سلفًا، وقد يرفض الشخص تنفيذ هذا الأمر والانسحاب من التجربة وهذا السلوك فيما يُعرف بقطع العلاقات، يسمى الطاعة.

إن نقطة قطع العلاقات هي فعل العصيان والتي قد تحدث عاجلاً أم آجلاً في تسلسل الأحداث والتي بدورها توفر الإجراء المطلوب.

ويُشار إلى أن الطريقة الدقيقة للتصرف ضد الضحية ليست ذات أهمية مركزية. ولأسباب فنية تم اختيار توجيه صدمة كهربائية للدراسة. وعلى ما يبدو فقد كان خيارًا مناسبًا، أولاً لأنه سيكون من السهل على الضحية أن تدرك فكرة أن الصدمة يمكن تصنيفها على أنها لا تخلو من الخطورة، ثانيًا، سيكون استخدامه متسقًا مع التوجه العلمي العام للمختبر، وأخيرًا، سيكون من السهل نسبيًا محاكاة توجيه الصدمة في المختبر.

لذا دعونا الآن ننتقل إلى تفاصيل التحقيق.

الحصول على مشاركين للدراسة

ان الطلاب الجامعيين في جامعة (يبول)، ولكونهم في متناول اليد ومتاحين بسهولة، سيكونون من أسهل المتدربين للدراسة، وعلاوةً على ذلك، فإنه من المعتاد في علم النفس إجراء تجارب على الطلاب الجامعيين، لكن بالنسبة لهذه التجربة لم يكن استخدام الطلاب الجامعيين من مؤسسة

النخبـة مناسـبًا تمامًـا، ويبـدو أن احتماليـة سـماع المشـاركين بالتجربة من جامعـة (ييول) مـن زملائهم الطلاب الذين شـاركوا بالفعل فيها محفوفة بالمخاطـر ويبـدو أنـه من الأفضل إيجـاد متدربين من أكثر مـن مصدر أي مـن مجتمع (نيو هافـن) بأكمله الذي يبلغ تعدادهُ (300000 نسـمة) وهذا ما يعزى إليه كسـبب أول. وفيما يتعلق بالسـبب الثاني الذي كان قد شكّل نقطة الاعتماد على (نيو هافن) بدلاً من الجامعة: فالطلاب شكلوا مجموعةً متجانسةً للغاية، وكانوا تقريبًا في أواخر سن المراهقة أو أوائل العشرينات من العمر، وكانوا أذكياء للغاية ولديهم بعض الإلمام بالتجارب النفسـية. فلقـد أردت مجموعة من الأفراد وعلى نطاقٍ أوسـع من الأطياف المتنوعة من المجتمع.

ولغـرض تجنيـد المتطوعين، فقد تـم وضع إعلان في الجريـدة المحلية، وقمت بدعوة الناس من جميع المهن للمشاركة في دراسة الذاكرة والتعلم، وعرضـت دفـع مبلـغ (4 دولارات و50 سـنتًا) مقابل سـاعةٍ واحدةٍ من المشاركة (انظر الشكل – أ –).

Public Announcement

WE WILL PAY YOU $4.00 FOR ONE HOUR OF YOUR TIME

Persons Needed for a Study of Memory

*We will pay five hundred New Haven men to help us complete a scientific study of memory and learning. The study is being done at Yale University.

*Each person who participates will be paid $4.00 (plus 50c carfare) for approximately 1 hour's time. We need you for only one hour: there are no further obligations. You may choose the time you would like to come (evenings, weekdays, or weekends).

*No special training, education, or experience is needed. We want:

Factory workers	Businessmen	Construction workers
City employees	Clerks	Salespeople
Laborers	Professional people	White-collar workers
Barbers	Telephone workers	Others

All persons must be between the ages of 20 and 50. High school and college students cannot be used.

*If you meet these qualifications, fill out the coupon below and mail it now to Professor Stanley Milgram, Department of Psychology, Yale University, New Haven. You will be notified later of the specific time and place of the study. We reserve the right to decline any application.

*You will be paid $4.00 (plus 50c carfare) as soon as you arrive at the laboratory.

TO:
PROF. STANLEY MILGRAM, DEPARTMENT OF PSYCHOLOGY, YALE UNIVERSITY, NEW HAVEN, CONN. I want to take part in this study of memory and learning. I am between the ages of 20 and 50. I will be paid $4.00 (plus 50c carfare) if I participate.

NAME (Please Print). . . . .

ADDRESS . . . .

TELEPHONE NO. . . . . Best time to call you . . . .

AGE . . . . OCCUPATION . . . . SEX . . . . . .
CAN YOU COME:

WEEKDAYS . . . . EVENINGS . . . . . .WEEKENDS. . . . .

وقد استجاب ما مجموعهُ (296 فردًا) ونظرًا لكون هذا العدد غير كافٍ للتجربـة، فقد تم اسـتكمال طريقة التجنيد بطلب مبـاشر عبر البريد، وتـم اختيار الأسـماء مـن دليل هواتف (نيو هافن)، وتم إرسـال خطاب دعوة إلى عـدة آلاف من السـكان، وكان معدل الاسـتجابة لهـذه الدعوة حوالي (12%). وشـكّل المشـاركون الذيـن كانت لدينا معلومات عن جنسـهم وأعمارهـم وكذلك وظائفهم مجموعـة من المتدربين، وتـم تحديد مواعيد ثابتة مع المشاركين قبل أيام قليلة من حضورهـم لغرض إجراء الدراسة.

كان المتدربـون النموذجيون هم كتبةُ البريـد ومعلمو المدارس الثانوية والبائعـون والمهندسـون والعمال، وشـملت العينة المتدربـين ممن يتراوح مسـتواهم التعليمـي مـن شـخص لم يكمـل دراسـته الثانويـة إلى أولئك الحاصلين على درجة الدكتوراه وشـهادات مهنيـة أُخرى، وتم التفكير في العديـد من الظروف التجريبية (اختلافات في التجربة الأساسـية)، ومنذ البداية اعتقدت أنه من المهم الموازنة بين كل حالة من حيث العمر والمراكز المهنية. فالتركيب الوظيفي لكل تجربة كان: عمال ماهرون وغير ماهرون: (40 %)، وذوو الياقـات البيضاء والمبيعات والأعمال (40 %)؛ والمهنيون (20 %)، وتقاطـع المهن مـع ثلاث فئات عمرية (متدربين في العشرينيات والثلاثينيـات والأربعينيـات مخصصة لكل حالة تجريبية بنسـب (20 و40 و40 %) وعلى التوالي.

اللغة والموظفين

أجريـت التجربـة في مختـبر التفاعـل الممتـاز (بجامعـة ييـول)، وهذا التفصيـل متعلـق بالشرعيـة المتصـورة للتجربـة في بعـض الاختلافـات

اللاحقة، وتم فصل التجربة عن الجامعة (انظر الفصل 6)، وتم لعب دور المـدرب من قبل مدرس الأحيـاء البالغ من العمر (31 عامًا) في المدرسـة الثانوية، وعلى مدى فترة التجربة كان أسـلوب المدرب غير عاطفي وكان ظهـوره صارمًـا إلى حد مـا. وكان يرتـدي معطفًا رماديًا، وقـد لعب دور الضحية محاسب يبلغ من العمر (47 عامًا) تم تدريبه على هذا الدور وكان من أصل إيرلندي أمريكي ووجده معظم المراقبين لطيفًا ومحبوبًا.



الإجراء

تم عرض المتدرب والذي يتمتع بالبساطة بالإضافة الى ضحية واحدة في كل تجربة، وكان لابد من اختلاق ذريعة لكي تّوجه لهُ صدمةٌ كهربائيةٌ عـن طريق المجـرب (هذا صحيح لأنـه في كل حالة من حالات السـلطة الشرعيـة يجـب أن يكـون المرؤوس على درايـة ببعض الارتبـاط مهما كان ضعيفًـا بين النـوع المحدّد للسـلطة والأوامر التي يعطيهـا) وجّه المجرب الناس نحو الموقف الذي رغب فيه لتقييم الطاعة بالتعليمات التالية:

• طّور علماء النفس عدة نظريات لشرح كيفية تعلم الناس أنواعًا مختلفةً من المادة.

• ويتناول هذا الكتاب بعضًا من أشهر النظريات، وتم تقديم كتاب عن عملية التدريس والتعلم للمجرب.

• ومن ضمن هذه النظريات هي أن الناس يتعلمون الأشياء بشكل صحيح كلما تمت معاقبتهم لارتكاب خطأ.

• سيكون التطبيق الشائع لهذه النظرية عندما يضرب الوالدان طفلاً إذا فعل شيئًا خاطئًا.

• التوقع هنا هو أن الضرب وهو شكل من أشكال العقاب سيعلّم الطفل أن يتذكر بشكل أفضل، وسيعلمه أن يتعلم بشكل أكثر فعالية.

• وفي الواقع نحن لا نعرف سوى القليل جدًا عن تأثير العقوبة على التعلم، لأنه لم يتم إجراء دراسات علمية حقيقية على البشر.

فعلى سبيل المثال، إننا لا نعرف نوع ومقدار العقوبة الأفضل للتعلم - ولا نعرف مقدار الاختلاف الذي يحدث عند من يُعاقب، سواء كان الشخص البالغ يتعلم أفضل من الأصغر منه أو الأكبر منه - أو أشياء كثيرة من هذا القبيل.

لِذلك في هذه الدراسة نقوم بجمع عدد من البالغين من مختلف المهن والأعمار ونطلب من بعضهم أن يكونوا معلمين والبعض الآخر متعلمين ونريد أن نعرف تأثير الأشخاص المختلفين عن بعضهم البعض كمعلمين ومتعلمين، وكذلك تأثير العقوبة على التعلم في هذه الحالة، لذا سأطلب

من أحدكم أن يكون المعلم هذه الليلة والآخر ليكون المتعلم، فهل أحدكما يتمتع بهذه الميزة أو له الأفضلية؟

[يُسمح للمجرب والمساعد بالتعبير عن التفضيل]

أعتقد أن أفضل طريقة للقيام بذلك هي كتابة كلمة المعلم على قطعة من الورق والمتعلم على أخرى والسماح لكليهما بالرسم ويتم رسم المجرب،

[أولاً يقوم المجرب بالرسم ومن ثم يأتي دور المساعد]، حسناً، أي منكما هو؟

حسنًا، الآن أول شيء يتعين علينا القيام به هو إعداد المتعلم ليحصل على نوع من العقوبة إذا أتى معي إلى هذه الغرفة المجاورة.

تم تزوير الرسم الموصوف أعلاه بحيث يكون المجرب دائمًا هو المعلم والمساعد دائمًا هو المتعلم (كلتا العلامتين تحتويان على كلمة «معلم»). مباشرة بعد الرسم تم نقل المعلم والمتعلم إلى غرفة مجاورة وتم ربط المتعلم بجهاز «كرسي كهربائي».

وأوضح المجرب أن الأشرطة كانت لمنع الحركة المفرطة أثناء صدمة المتعلم، وكان التأثير هو جعله يبدو أنه من المستحيل له الهروب من الموقف. تم توصيل قطب كهربائي بمعصم المتعلم، ووضع معجون قطب كهربائي «لتجنب البثور والحروق». وطلب من الناس توصيل القطب بمولد الصدمات في الغرفة المجاورة.

ولتحسين الموثوقية أعلن المجرب ردًا على سؤال من المتعلم، «على الرغم من أن الصدمة يمكن أن تكون مؤلمة للغاية إلا أنها لا تسبب تلفًا دائمًا للأنسجة».

مهمة التعلم

كان الـدرس الذي قدمه هـذا المجرب عبارة عن مهمـة تدريس ثنائية مشـتركة يقرأ المتدرب فيها سلسـلة من أزواج الكلمات للمتعلم، ثم يقرأ الكلمة الأولى من الزوج بأربعة مصطلحات على سبيل المثال سيقرأ المعلم (المتدرب) أزواج مثل:

Blue Box

Nice Day

Wild Duck

وما إلى ذلك، ثم في تسلسل الاختبار سيقرأ:

Blue: Sky Ink, box Lamp

كان عـلى المتعلـم تحديـد المصطلحات الأربعـة التي كانـت مرتبطة في الأصـل بأول كلمـة، وقد ربط إجابته بالضغط على أحـد المفاتيح الأربعة الموجودة أمامه، والتي تضيء أحد الأرباع الأربعة المرقمة في مربع الإجابة أعلى مولد الصدمات.

مولد الصدمات الكهربائية

تتكـون لوحة العـدادات مـن (30 مفتاحًا) للرافعة في خـط أفقي وتم تمييـز كل مفتاح بوضوح مع تعيين جهد يتراوح بين (15 إلى 450 فولت)، وأظهـرت الملصقـات زيـادة قدرهـا (15 فولــت) من مفتـاح إلى آخر من اليسار إلى اليمين، وبالإضافة إلى ذلك تمت الإشارة بوضوح إلى التسميات اللفظية التالية لمجموعات من أربعة مفاتيح، تنتقل من اليسـار إلى اليمين:

صدمـة طفيفـة، صدمة معتدلـة، صدمة قويـة، صدمة قوية جـدًا، صدمة شديدة، صدمة عالية الشدة، خطر: صدمة شديدة.

تـم تمييز مفتاحي تبديل بعد هذا التعيين الأخير ببساطة على أنه XXX، وعندمـا يكـون المفتـاح مضغوطًـا يضيء مصبـاح تجريبي يتوافـق مع كل مفتـاح باللون الأحمـر الفاتح؛ ويكون صـوت طنين الكهرباء مسـموعًا، ويظهر وميض ضوء أزرق كهربائي يسمى «منشط الجهد»؛ وعندها يقوم مـؤشر الاتصـال الموجود على مقياس الجهـد بالتأرجـح إلى اليمين؛ ويتم سماع نقرات الترحيل المختلفة.

تم تسمية الزاوية اليسرى العلوية للمولد باسم SHOCK GENERATOR، TYPE ZLB، DYSON INSTRUMENT COMPANY، WALTHAM، MASS. مخرج 15 فولت – 450 فولت.

عينة الصدمة

أُعطـي كل متـدرب كمية من الصدمـة من مولـد الصدمـات، قبل أن يبدأ مسـيرته كمعلم. كانت هـذه الصدمة دائمًا (45 فولـت) وتم تطبيقها بالضغـط عـلى المفتـاح الثالـث للمولـد. تم تطبيـق الصدمة عـلى معصم الشخص، وعززت الهزة تصديق المتدرب بصحة عمل المولد الكهربائي.

تعليمات الصدمة

أعطـي المتدرب أمر أن يصدم المتعلم في كل مـرة يعطي إجابة خاطئة، عـلاوةً عـلى ذلـك – وهذا هو الأمـر الرئيـسي – فقد تم توجيـه المتدرب للتحـرك بمسـتوى أعلى عـلى مولد الصدمـات في كل مرة يعطـي المتعلم إجابـة خاطئـة كما طُلـب منه الإعـلان عـن مسـتوى الجهد قبـل توجيه

صدمة، وقد عمل هذا على تذكير الأشخاص باستمرار بالشدة المتزايدة للصدمات التي يتعرض لها المتعلم إذا وصل المجرب إلى مستوى الصدمة الثلاثين (450 فولت) وقد تم توجيهه لمواصلة الإجراء باستخدام هذا الجهد الأقصى بعد محاولتين أخريين نادى المجرب بوقف التجربة.

ملاحظات المجرب في نقاط مختلفة من التجربة

كان المُتدرب يلجأ إلى المجرب للحصول على المشورة بشأن ما إذا كان يجب أن يستمر في إدارة الصدمات أو يشير إلى أنه لا يرغب في الاستمرار.

استجاب المجرب بسلسلة من الحوافز، باستخدام أكبر عدد من الوكزات الممكنة لجعل المتدرب يكمل التجربة.

الوكزة 1: الرجاء المتابعة، أو الرجاء الاستمرار.

الوكزة 2: التجربة تتطلب أن تستمر.

الوكزة 3: من الضروري للغاية أن تستمر.

الوكزة 4: ليس لديك خيار آخر، يجب عليك أن تتابع.

تم عمل الوكزات بالتسلسل: فقط في حالة عدم نجاح الوكزة الاولى، يمكن استخدام الوكزة الثانية.

إذا رفض المتدرب طاعة المجرب بعد الوكزة الرابعة، يتم إنهاء التجربة.

كانت نبرة صوت المجرب ثابتة في جميع الأوقات، لكنها لم تكن غير مهذبة. حيثُ بدأ التعاقب مرةً أُخرى في كل مرة رفض فيها المتدرب أو أظهر إعراضه عن اتباع الأوامر.

ضغوط خاصة

عندما يُسأل المتدرب عما إذا كان المتعلم عرضة لإصابة جسدية دائمة مثلما قال المجرب: على الرغم من أن الصدمات قد تكون مؤلمة، إلا أنه لا يوجد تلف دائم في الأنسجة، لذا يرجى المتابعة. (تليها الوكزة الثانية والثالثة والرابعة إذا لزم الأمر) فيما إذا قال المتدرب إن المتعلم لا يريد الاستمرار، فأجاب المجرب: سواء أحب المتعلم ذلك أم لا، يجب أن تستمر حتى يتعلم كل أزواج الكلمات بشكل صحيح. لذا من فضلك استمر. (تليها الوكزة الثانية والثالثة والرابعة عند الحاجة)

ردود الفعل من الضحية (المتعلم)

في جميع الظروف تم إعطاء المتعلم مجموعة محددة من الردود المسبقة لاختبار زوج الكلمات بناءً على جدول من ثلاث إجابات خاطئة تقريبًا مقابل إجابة واحدة صحيحة.

كانت ردود الضحية عنصرًا أساسيًا في الموقف وتحتاج إلى العمل بعناية. وفي الدراسات التجريبية في البداية لم يتم استخدام أي ردة فعل صوتية من الضحية حيثُ كان يُعتقد أن التسميات اللفظية والجهدية على لوحة التحكم ستخلق ضغطًا كافيًا للحد من طاعة الشخص، ومع ذلك ثبت أن هذا ليس هو الحال.

وفي حالة عدم وجود اعتراضات من المتعلم فإن كل مادة في الدراسة التجريبية تنتقل تقريبًا بمجرد طلبها إلى نهاية اللوحة، ويبدو أنها تختلف عن التسميات اللفظية. وهذا بحد ذاته أعاقنا عن الحصول على عنصر أساسي كفؤ لقياس ميول الطاعة. وكان لابد من إدخال قوة من شأنها أن

تعزز من مقاومة الشخص لأوامر المجرب، وتكشف الفروق الفردية من حيث توزيع نقاط الانقطاع.

لـذا فإن هـذه القوة شـكلت احتجاجـات الضحية لأنـه في البداية تـم اسـتخدام اعتراضات معتدلة، لكنهـا في وقتٍ لاحق أثبتت عدم كفايتها، وتـم إدراج المزيـد منهـا بكونها شـديدة في الإجـراء التجريبـي. ومما أثار الذعـر أنه حتى أقـوى الاعتراضات من جانب الضحية لم تمنع العديد من الأشـخاص من ممارسـة أقسـى عقوبة أمر بها المجرب. عـلاوةً على ذلك فان الاعتراضات لم تخفّض متوسـط مسـتوى الصدمات القصوى إلى حد ما وخلقت بعض التوسـع في أداء الشخص. لِذلك تـم تسجيل صرخات الضحية على شريط ودمجها في الإجراء التجريبي المعتاد.

لم يسلط الموقف الضوء على الصعوبات الفنية لإيجاد إجراء تجريبي عملي: فقد أشار إلى أن الأشخاص سيخضعون للسلطة إلى حد أكبر مما توقعنا، وكما أشارت إلى أهمية التغذية الراجعة من الضحية في ضبط سلوكه.

تـم تنسـيق كل اسـتجابة صوتية للضحية مع مسـتوى جهـد معين في مولـد الصدمـات. ووُجد أنهُ مـن الصعب أن ننقـل في الصفحة المطبوعة المضمـون الكامـل لاسـتجابات الضحية، لأننـا لا نملك تدوينًا مناسـبًا لشـدة الصوت والتوقيت والصفات العامة للإلقاء بشكل عام ومع ذلك لم تُبدِ الضحية أي انزعاج حتى تم إعطاء صدمة بمقدار (75 فولـت)، وفي ذلك الوقت كان هناك تذمر بسـيط، وتلـت ردود الفعل المماثلة صدمات مثـل (90 و105 فولت)، وعند مسـتوى (120 فولـت) صاحت الضحية عـلى المجرب بأن الصدمات أصبحت مؤلمة. فقد تم سـماع تأوهات مؤلمة

عند توجيه الصدمة ذات المستوى (135 فولت)، وعند المستوى (150 فولت) صاحت الضحية «أيها المجرب أخرجني من هنا! لن أشارك في التجربة بعد الآن! أرفض الاستمرار!» فالصيحات أو الصرخات من هذا النوع مستمرة بقوةٍ متزايدةٍ بشكل عام، بحيث تصرخ الضحية عند مستوى (180 فولت)، «لا أستطيع تحمل الألم»، وعند مستوى (270 فولت) كانت استجابته للصدمة صرخة مؤلمة بالتأكيد طوال الوقت بدءًا من (150 فولتًا)، أصر على السماح له بالخروج من التجربة وعند مستوى (300 فولت) صرخ الضحية يائسًا بأنه لن يقدم إجابات لاختبار الذاكرة.

في هذا الموقف وُجد أن الأشخاص عادة ما يلجؤون إلى المجرب للتوجيه، حيث سيقوم المجرب بتوجيه المتدرب إلى التعامل مع عدم وجود استجابة كإجابة خاطئة، وصدمة المتدرب وفقًا للجدول الزمني المعتاد، ونصح المشاركين بالسماح بـ (5 إلى 10 ثوانٍ) قبل اعتبار عدم الرد كإجابة خاطئة، وزيادة مستوى الصدمة خطوة واحدة في كل مرة يفشل فيها المتعلم في الاستجابة بشكل صحيح. وعند (315 فولت)، وبعد صرخة عنيفة، أعاد الضحية التأكيد بشدة على أنه لم يعد مشاركًا، ولا يريد تقديم أي إجابة، لكنه كان يصرخ من الألم كلما تعرض لصدمة، وبعد (330 فولت) لم يُسمع عنه صوت، ولم تظهر إجاباته مرة أُخرى على صندوق الإشارة رباعي الاتجاهات.

الإجراءات

ان المقياس الرئيسي لأي متدرب هو أقصى صدمة يتحملها قبل أن يرفض فعل ذلك فمن حيث المبدأ قد يختلف هذا من درجة (0) (بالنسبة

للفرد الذي يرفض إعطاء حتى الصدمة الأولى) إلى درجة (300) (بالنسبة للفرد الذي يدير أعلى صدمة لمولد الصدمة الكهربائية).

المقابلة واستخلاص المعلومات

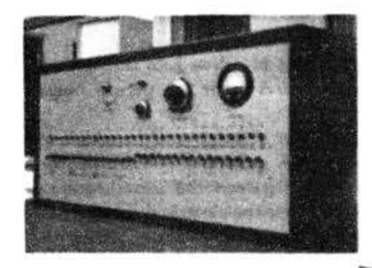
في هـذه التجربة حدث إجراء في نهاية الجلسـة التجريبية، حيثُ تم إعطـاء عـلاج دقيق بعـد التجربة لجميـع الضحايا. كـما وأن المحتوى الدقيـق لكل جلسـةٍ قد يختلـف من حالة إلى أُخـرى. وعلى الأقل قيل لكل شـخص أن الضحيـة لم تتعرض لصدمـات كهربائية خطيرة فقد كان لكل متدرب مصالحة ودية مع الضحية السـليمة ومناقشة مطولة مـع المجرب. ومن ثم تم شرح التجربة للأشـخاص المتحدين بطريقة تدعم قرارهم بعصيان المجرب يتبعها التأكيد على الأشخاص المطيعين عـلى أن سـلوكهم كان طبيعيًا تمامًا وأن مشـاعر الـصراع أو التوتر قد تمـت مشـاركتها من قبـل المشـاركين الآخرين. تم إخبار الأشـخاص بأنهم سـيحصلون على تقرير شـامل في ختام السلسـلة التجريبية. وفي بعـض الحالات تم إجراء مناقشـات إضافية مفصلـة وطويلة للتجربة مع مواضيع فردية.

وعنـد اكتـمال السلسـلة التجريبية تلقى الأشـخاص تقريـرًا مكتوبًا يسـتعرض تفاصيل الإجـراء التجريبـي والنتائج. وفي المـرة التالية، تم التعامـل مـع دورهم في التجـارب بطريقة كريمة واحترام سـلوكهم في التجربة وتم تلقي جميع الأشـخاص اسـتبيان متابعة بشـأن مشـاركتهم في البحـث، مما سـمح مرة أُخـرى بالتعبير عن الأفكار والمشـاعر حول سلوكهم.

الخلاصة

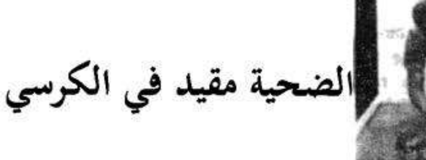
في هذه الحالة يجب على المتدرب أن يحل الصراع بين مطلبين متعارضين من المجال الاجتماعي. وقد يستمر في اتباع أوامر المجرب ويصدم المتعلم بحدةٍ متزايدة، أو قد يرفض اتّباع أوامر المجرب والاستجابة لتوسلات المتعلم.

شكل 3



مولد الصدمات



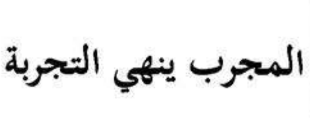


الضحية مقيد في الكرسي



المجرب يتلقى
عينة من الصدمة





المجرب ينهي التجربة

لا تعمل سلطة المجرب في مجال حر ولكن ضد الضغوط التعويضية المتزايدة من الشخص الذي يُعاقب.

وهذا الوضع المختبري يمنحنا إطارًا ثابتًا لدراسة ردود أفعال المتدرب على التضارب الرئيسي للتجربة مرة أُخرى، وهذا التعارض بدوره يشكل مطالب المجرب بمواصلة إدارة الصدمة الكهربائية ومطالب المتعلم التي أصبحت مصرة بشكل متزايد على إيقاف التجربة. يتمثل جوهر الدراسة في التغيير المنهجي للعوامل التي يُعتقد أنها تغير درجة الانصياع للأوامر التجريبية والتعرف على الظروف التي تكون فيها المهمة الفرعية للسلطة هي الأكثر احتمالية وتحت أي ظروف يتم إبراز التحدي.

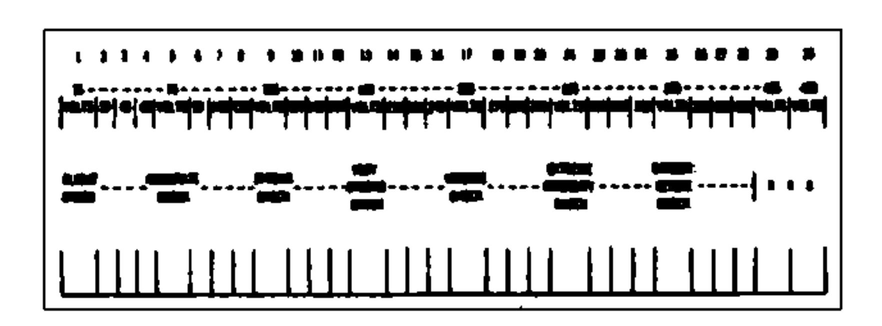
كما وأن ما يفعله الموقف التجريبي هو تكثيف العناصر الموجودة عندما تحدث الطاعة في العالم الأكبر بحيث يتم إحضار المكونات الأساسية إلى ساحة ضيقة نسبيًا حيث تكون مفتوحة للتدقيق العلمي. وتنبع قوة الموقف من حقيقة أننا قادرون على الرؤية، ويمكن للمجرب أن يختبر العملية المتزامنة للقوى المعادية التي نادرًا ما تؤثر عليه في العالم الأوسع في اللحظة نفسها.

3

السلوك المتوقع

في كثير من الأحيان يتم التقليل من قيمة العمل في العلوم الاجتماعية من خلال التأكيد على الطابع الواضح للنتائج، لكن نادرًا ما يكون لدينا معلومات واضحة حول الكيفية التي يتوقع الناس بها أن يكتشف السلوك في مجموعة معينة من الظروف. فإذا حصلنا على هذه المعلومات، فسنكون قادرين على مقارنتها مع النتيجة الفعلية للدراسة. والتي ستوفر لنا معيارًا يمكن من خلاله معرفة المقدار القليل الذي نتعلمه من خلال التجربة. علاوةً على ذلك، في حالة وجود تباين بين المُتوقع والحاصل، فإننا نواجه مشكلة مثيرة للاهتمام تتمثل طبقًا لوجود الفجوة. ومن أجل أن تصبح التوقعات بعد ذلك صفة الوهم، علينا أن نسأل ما إذا كان هذا الوهم هو تعبير بالصدفة عن الجهل أو يؤدي وظيفة محددة في الحياة الاجتماعية.

ان إجـراء الوصول إلى مثل هذه التوقعات واضح ومباشر في كل حالة يأتي المستجيبون من الجمهور لسماع محاضرة حول موضوع طاعة السلطة، فقد تم وصف التجربة بالتفصيل دون الكشف عن النتائج بأي شكل من الأشكال. والتي من خلالها يتم تزويد الجمهور بمخطط تفصيلي لمولد الصدمات الكهربائية، يوضح التسميات اللفظية والجهدية. ويُطلب من كل مستجيب أن يفكر في التجربة ثم يسجل بشكل خاص كيف سيؤدي دورهُ فيها. تم وضع التوقعات من قبل ثلاث مجموعات: الأطباء النفسيين وطلاب الجامعات وجمهور من البالغين من الطبقة المتوسطة من المهن المتنوعة.



يلخص الجدول (1) نقاط الانهيار التي تنبأت بها هـذه المجموعات بحيث كل واحد من المستجيبين (المتدربين) في العدد (110)، يرى نفسه يعصي المجرب في مرحلة ما من سلسلة الأوامر، والتفسيرات النموذجية المقدمة لشرح عصيانهم هي:

- «... أنا نفسي أشعر بالخوف الشديد من الصدمات ولم أستطع إعطاء الصدمات للأشخاص الذين كانوا يحتجون لأنني كنت أتسبب في الألم فلم أتمكن من إيذاء شخص غريب تمامًا». (الحد الأقصى: 90 فولت).

- «لا أعتقد أن أي تجربة تستحق إلحاق صدمة قوية مؤذية بإنسان آخر. والحقيقة إن استجابة المتدرب تُشيرُ فعلاً إلى أنه كان يعاني من انزعاج شديد بسبب إلحاقه الألم بالضحية. وفي اللحظة التي يصر فيها المتعلم على رغبته في ترك التجربة؛ أنا أحترم حكمه». (الحد الأقصى: 135 فولت).

- «... لا أطيق رؤية الناس يعانون، فان أراد المتعلم الخروج، فسأحرره حتى لا أصيبه بالألم». (الحد الأقصى: 150 فولت).

- «... بما أن المتدرب قد تطوع، وبما أن المجرب ليس لديه أي سلطة جسدية علي، فيتوجب الإفراج عنهُ عندما يكون في مثل هذه النقطة التي يطلب فيها الإفراج عنه، وأنا سأطلق سراحه». (الحد الأقصى: 150 فولت).

- «سبب الانفصال أو ترك التجربة يكمن في أن الشخص كان يصرخ من الألم، وبمجرد معرفة ما سأشعر به إذا كسرت ركبتي، سأشعر بعد ذلك بالتعاطف مع المتعلم. «(الحد الأقصى: 180 فولت)

Table 1. Individuals Predict Their Own Breakoff Points

Shock level	Verbal designation and voltage level	Psychiatrists (n = 39)*	College students (n = 31)	Middle-class adults (n = 40)
	Slight Shock	2†		3†
1	15	1		
2	30			
3	45			1
4	60	1		1
	Moderate Shock			
5	75	6	4	7
6	90	1	6	1
7	105	4		1
8	120	4	1	3
	Strong Shock			
9	135	1	3	2
10	150	14	12	9
11	165		1	2
12	180	2	6	3
	Very Strong Shock			
13	195	2		1
14	210		1	
15	225			1
16	240			1
	Intense Shock			
17	255			1
18	270			
19	285			
20	300	1		3
	Extreme Intensity Shock			
21	315			
22	330			
23	345			
24	360			
	Danger: Severe Shock			
25	375			
26	390			
27	405			
28	420			
	XXX			
29	435			
30	450			
	Mean maximum shock level	8.20	9.35	9.15
	Percentage predicting defiance	100.00%	100.00%	100.00%

* n refers to the number of subjects in the experimental condition.
† These subjects indicated they would refuse to administer even the lowest shock.

يـرى هؤلاء الأشـخاص أن ردود أفعالهم تنبع مـن التعاطف والرحمة والشـعور بالعدالـة. لِذلـك تجدهـم يعلنون مفهومًـا لما هـو مرغوب فيه ويفترضـون أن الإجـراء يُتبـع وفقًـا لِذلك. لكنهـم يظهـرون القليل من البصيرة في مجموعة القوى التي تعمل في وضع اجتماعي حقيقي.

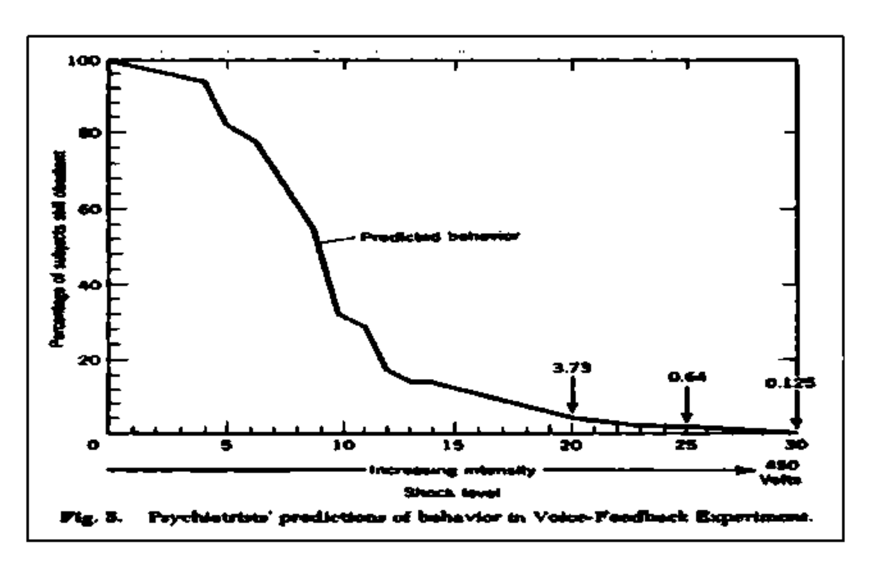


Fig. 5. Psychiatrists' predictions of behavior in Voice-Feedback Experiment.

وربما كان السؤال المطروح عليهم غير عادل، فالناس يحبون رؤية أنفسهم في صورة إيجابية لِذلك طرحنا أيضًا سؤالاً مختلفًا نوعًا ما لإزالة التحيز الناجم عن الغرور. وطلبنا منهم أن يتنبؤوا بأداء الآخرين. (وبشكل أكثر تحديدًا، طلبنا أن يخططوا لتوزيع نقاط الانهيار لمائة أمريكي من مختلف الأعمار والمهن).

أجاب الأطباء النفسيون وطلاب الدراسات العليا وأعضاء هيئة التدريس في العلوم السلوكية وطلاب السنة الثانية بالكلية والبالغون من الطبقة الوسطى على السؤال، وهناك تشابه ملحوظ في تنبؤات المجموعات المتعددة. فهم يتوقعون أن جميع الأشخاص تقريبًا سيرفضون طاعة المجرب؛ فقط هامش مرضي لا يتجاوز (1 أو 2 %) كان يتوقع أن ينتقل إلى نهاية لوحة الصدمة.

وعليه فإن تنبؤات الأطباء النفسيين تُظهر تفصيلاً وكما في الشكل (5) حيث توقع معظم الأشخاص أن هذه الحالة لن تتجاوز مستوى الصدمة

العاشر (150 فولت، عندما يطالب الضحية بأول مطلب صريح بالإفراج عنه)؛ فحوالي (4 %) سيصلون إلى مستوى الصدمة العشرين، وسيصل حوالي متدرب واحد من كل ألف إلى أعلى صدمة على اللوحة.

كما أن السؤال المطروح هنا هو: ما هي الافتراضات التي تقوم عليها هذه التنبؤات؟ أولاً، أن الناس لائقون إلى حد كبير ولا يؤذون الأبرياء بسهولة. ثانيًا، ما لم يتم الإكراه بالقوة الجسدية أو التهديد، فإن الفرد هو مصدر سلوكه بشكل أساسي.

فالشخص يتصرف بطريقة معينة لأنه قرر القيام بذلك، والفعل يحدث في محيطٍ اجتماعي مادي، لكن هذه مجرد مرحلة مؤقتة لحدوثه. والسلوك نفسه ينبع من الجوهر الداخلي للشخص في إطار القيم الشخصية الأساسية التي يتم تقييمها وتقييم ترجمة القرارات الناتجة إلى أفعال.

عندها يبدأ معظم الناس بافتراضات مسبقة من هذا النوع عندما يُطلب منهم التفكير في تجربة الطاعة وذلك لأنهم يركزون على شخصية الفرد المستقل بدلاً من الموقف الذي يجد نفسه فيه. ومن خلال هذا الرأي من المرجح أن يتوقعوا أن يتماشى عدد قليل من المتدربين مع أوامر المجرب.

4

العلاقة المقربة للضحية

الآن دعونـا نلقـي نظرة على الأداء الفعلي للضحايـا في التجربة. ولكي نبدأ سننظر في نتائج اختلاف التعليقات عن بُعد (التجربة 1). هذه التجربة تختلـف قليـلاً عن الوضـع المعتاد حيث لا يتم سـماع شـكوى صوتية من الضحية. ويتم وضعه في غرفة أُخرى حيث لا يمكن أن يراه الشخص أو يسـمع صوته؛ فإجابته تومض بصمت على صندوق الإشارة. ومع ذلك، عند مسـتوى (300 فولـت)، تـدوي جدران المختبر وهو يـرن احتجاجًا. وبعد مسـتوى (315 فولت)، لا توجد إجابـات أُخرى، ويتوقف صوت الصخب.

من المفيد إعادة طباعة ملاحظات الأشـخاص عند نقطة التحدي، كما هو مكتوب من تسجيلات الشريط:

«أعتقـد أنه يحاول التواصل؛ إنه يطرق... حسـنًا، ليـس من العدل أن نصـدم الرجـل... فهـذه الفولتـات جنونية لا أعتقـد أن هذا أمر إنسـاني حقًـا.. أوه، لا يمكننـي الاسـتمرار مع هـذا؛ لا، هذا ليـس صحيحًا إنها تجربـة كالجحيـم. الرجـل يعـاني هنـاك. لا، لا أريـد الاسـتمرار... فهذا جنون». (المتدرب يرفض إعطاء المزيد من الصدمات).

«إنـه يـضرب هناك أود الاسـتمرار، لكـن لا يمكنني فعـل ذلك لأي رجل... أنا آسـف لأنني لا أسـتطيع فعل ذلك لرجل. أنا» سأؤذي قلبه. لا حقًا، لم أستطع فعل ذلك».

فمن بين (40 شـخصًـا)، أطاع (26) منهـم أوامر المجرب حتى النهاية، وشرعـوا في معاقبة الضحية حتى وصلوا إلى أقوى صدمة متاحة في مولد الصدمة الكهربائية. فبعد أن تم توجيه صدمة عند مسـتوى (450 فولت) ولثلاث مرات، دعا المجرب إلى إيقاف الجلسة.

كان المتدربـون في كثير من الأحيـان في حالة غضب وتوتر. وفي بعض الأحيان، كان الاحتجاج لفظيًا على الأقل، وكان المجرب ينهض ببسـاطة من كرسـيه أمام مولد الصدمات، مشيرًا إلى رغبته في مغادرة المختبر. فقد أعـرب بعض الأشـخاص المطيعـين عن إحجامهـم عـن إدارة صدمات تتجاوز مسـتوى (300 فولت) وأظهروا توترات مماثلة لتلك التي ظهرت عند الذين تحدوا المجرب.

بعـد أن تم توجيـه الصدمات القصـوى، ودعا المُختـبِر (المجرب) إلى وقف الإجراءات، تنفسـت العديد من الطواقم الفرعية المطيعة الصعداء، ومسحوا حواجبهم، وفركوا أصابعهم في أعينهم. وهز البعض رؤوسهم،

على ما يبدو جراء ندمهم. فيما بقي بعض الأشخاص هادئين طوال التجربة ولم يظهروا سوى علامات توتر صغيرة من البداية إلى النهاية.

قرب الضحية

تختلف التجربة عن العرض التوضيحي لها، وبمجرد ملاحظة التأثير يصبح من الممكن تغيير الظروف التي يتم إنتاجها في ظلها بشكل منهجي، وبهذه الطريقة يتم تحديد الأسباب ذات الصلة.

وما رأيناه حتى الآن ينطبق فقط على الموقف الذي يكون فيه الضحية بعيدًا عن الأنظار وغير قادر على التواصل مع صوته، وبالتالي يكون متلقيًا للعقوبة عن بُعد، ولا يشير إلى رغباته بوضوح شديد. فهناك قصف على الحائط، لكن هذا له معنى غامض بطبيعته: ربما لم يفسر بعض الأشخاص هذا القصف كدليل على محنة الضحية. قد تُعزى الطاعة الناتجة إلى ذلك. فربما لن تكون هناك طاعة عندما يتم توصيل الضحايا الذين يعانون بشكل أوضح؛ وعندما يُمنح الضحية إحساسًا بوجوده، ويُرى ويُسمع ويُشعر بهِ.

أعطى السلوك المُلاحظ في دراساتنا التجريبية مصداقية لهذه الفكرة. ففي تلك الدراسات يمكن أن ينظر المتدرب إلى الضحية بشكل خافت من خلال زجاج فضي. وكثيرًا ما كان الأشخاص يغضون أعينهم عن الشخص الذي صدموه، وغالبًا ما يديرون رؤوسهم بطريقة محرجة وبارزة. حيثُ أوضح أحد الأشخاص، «لم أرغب في رؤية نتائج ما فعلته». لاحظ المراقبون:

«يُظهر المجربون إحجامًا عن النظر إلى الضحية، التي يمكنهم رؤيتها من خلال الزجاج أمامهم. وعندما تم لفت انتباههم إلى هذه الحقيقة،

أشاروا إلى أنها تسببت في عدم الراحة لرؤية الضحية تحت وطأة العذاب. ومع ذلك نلاحظ أنه على الرغم من أن الشخص المعني يرفض النظر إلى الضحية، إلا أنه يواصل توجيه الصدمات».

يشير هذا إلى أن بروز الضحية ربما يكون قد نَظم إلى حد ما أداء الشخص المعني. إذا وجد المتدرب في طاعة المجرب أنه من الضروري تجنب تمحيص الضحية، فهل يكون العكس صحيحًا؟ وإذا أصبحت الضحية أكثر بروزًا للمجرب، فهل ستتضاءل الطاعة؟ تم تصميم مجموعة من أربع تجارب للإجابة على هذا السؤال حيث وصفنا بالفعل حالة جهاز التحكم عن بعد.

كانت التجربة الثانية (التعليقات الصوتية) مماثلة للتجربة الأولى باستثناء أنه تم تقديم الاحتجاجات الصوتية كما في الحالة الأولى، وتم وضع الضحية في غرفة مجاورة، ولكن يمكن سماع الشكاوى بوضوح من خلال جدران المختبر.

كانت التجربة الثالثة (القرب) مشابهة للتجربة الثانية، باستثناء أن الضحية وُضِع في نفس الغرفة التي يوجد بها الشخص وعلى بعد بضعة أقدام منه. وهكذا، كان مرئيًا ومسموعًا، وفي نفس الوقت تم تقديم إشارات صوتية.

كانت التجربة الرابعة (تقريب اللمس) مماثلة للتجربة الثالثة، مع هذا الاستثناء: لم يتلق الضحية صدمة إلا عندما استقرت يده على لوحة الصدمة. وعند مستوى (150 فولت)، طالب الضحية بإطلاق سراحه

ورفض وضع يده على لوحة الصدمة. وهنا أمر المجرب المتدرب أن يضع يـدهُ مرغمًا عـلى اللوحة. وبالتالي تتطلـب الطاعة في هـذه الحالة أن يكون للمتدرب اتصال جسدي مع الضحية من أجل معاقبته عند مستوى (150 فولت) أو أكثر.

Table 2. Maximum Shocks Administered in Experiments 1, 2, 3, and 4

Shock level	Verbal designation and voltage level	Experiment 1 Remote (n = 40)	Experiment 2 Voice-Feedback (n = 40)	Experiment 3 Proximity (n = 40)	Experiment 4 Touch-Proximity (n = 40)
	Slight Shock				
1	15				
2	30				
3	45				
4	60				
	Moderate Shock				
5	75				
6	90				
7	105			1	
8	120				
	Strong Shock				
9	135		1		1
10	150		5	10	10
11	165		4		
12	180		1	2	3
	Very Strong Shock				
13	195				
14	210				1
15	225			1	1
16	240				
	Intense Shock				
17	255				1
18	270			1	
19	285		1		1
20	300	5*	1	5	1
	Extreme Intensity Shock				
21	315	4	3	3	2
22	330	2			
23	345	1	1		1
24	360	1	1		
	Danger: Severe Shock				
25	375	1		1	
26	390				
27	405				
28	420				
	XXX				
29	435				
30	450	26	25	16	12
	Mean maximum shock level	27.0	24.53	20.80	17.88
	Percentage obedient subjects	65.0%	62.5%	40.0%	30.0%

* Indicates that in Experiment 1, five subjects administered a maximum shock of 300 volts.

تمـت دراسـة أربعـين شـخصًا بالغًـا في كل حالـة، وكشـفت النتائـج الموضحة في الجدول (2) أن الطاعة قد انخفضت بشكل كبير. كما ويُظهر الشكل (6) متوسط الصدمة القصوى للظروف.

وقد تحدى (35 %) من الأشخاص المجرب في حالة التحكم عن بعد، و(5 ,37 %) في التعليقـات الصوتيـة، و(60 %) في القـرب، و(70 %) في تقريب اللمس.

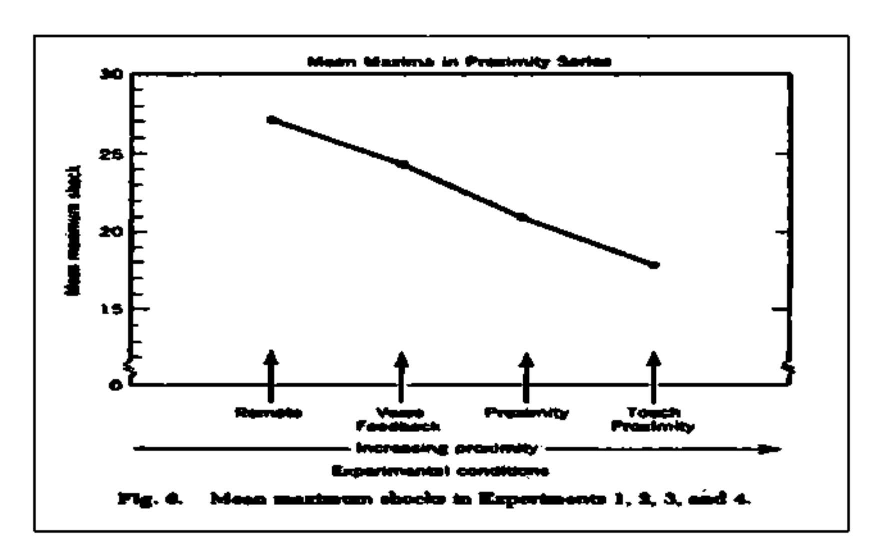
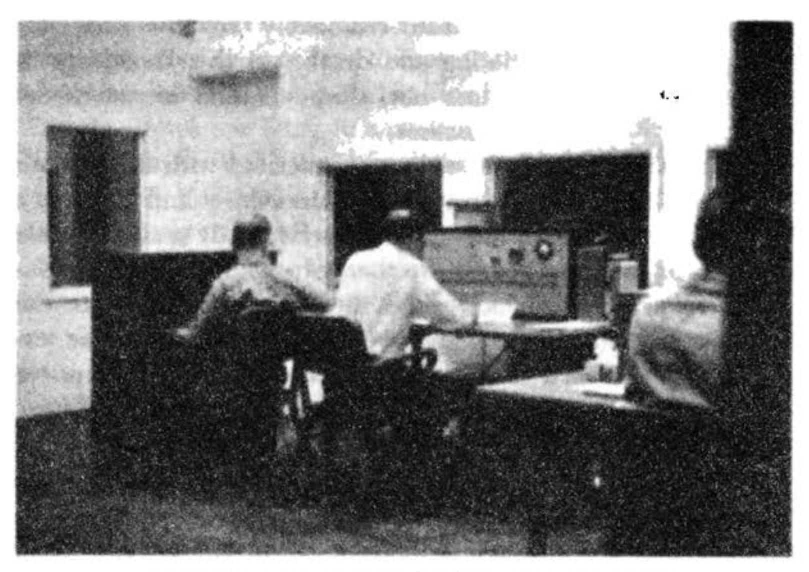


Fig. 6. Mean maximum shocks in Experiments 1, 2, 3, and 4.

ولكن كيف نحسب تراجع الطاعة مع اقتراب الضحية؟ قد تكون هناك عدة عوامل في العمل.

1. **إشارات التعاطف**: حيث أنه وفي المناطق النائية وبدرجة أقل، في ظروف التعليقات الصوتية، تكون معاناة الضحية ذات جودة مجردة للمجرب عن بُعد. لذا فإنه يدرك ولكن نظريًا فقط أن أفعاله تسبب الألم لشخص آخر؛ كما أنه يعرف الحقيقة ولكن لا يشعر بها.



General arrangement for Touch-Proximity Condition.

Fig. 7

Obedient subject in Touch-Proximity Condition.

هذه الظاهرة شـائعة بـما فيه الكفاية بحيث يمكـن أن يفترض القاذف بشكل معقول أن أسلحته ستسبب المعاناة والموت، ومع ذلك فمن الممكن أن تؤدي الإشارات المرئية المرتبطة بمعاناة الضحية إلى استجابات تعاطفية لـدى المجرب وتمنحه فهمًا أكثر اكتـمالاً لتجربة الضحية. كما ويمكن أيضًا أن تكون الاستجابات التعاطفية في حد ذاتها غير سارة، وتمتلك خصائص دافعة تجعل الشـخص ينهي حالة الاسـتثارة. إذًا إن تناقص الطاعة يمكن تفسيره بإثراء الإشارات التعاطفية في الظروف التجريبية المتعاقبة.

2. **إنكار وتضييق المجال المعرفي**: تسمح حالة التحكم عن بعد بتضييق المجـال المعـرفي بحيث يتم إخـراج المتدرب من فكـره. وفي حالة كون الضحيـة قريبـةً يكون مـن الصعب اسـتبعادها مـن التفكـير، لكونها تتطفـل عـلى وعي المتـدرب، بسـبب مرئيتـه المسـتمرة. وفي الشرطين الأوليـين لا يُعـرف وجـوده وردود فعلـه إلا بعـد توجيـه الصدمـة. فـردود الفعل السـمعية تكـون متقطعـةً في ظروف القـرب أي عندما يكـون الضحية على مقربـة من المتدرب، وإدراجـه في المجال البصري المباشر يجعله عنصرًا بارزًا باستمرار، لأنه لم يعد من الممكن استخدام آلية الإنكار. فقد قال أحد الأشخاص في حالة التحكم عن بعد: «من المضحك كيف تبدأ حقًا في نسيان وجود شخص هناك، على الرغم من أنـه يمكنك سـماعه. لكن ولفترة طويلة ركـزت فقط على الضغط على المفاتيح وقراءة الكلمات».

3. **المجـالات التبادليـة**: إذا كان المتـدرب عـلى مقربـة في وضع أفضل لمراقبـة الضحية، فـإن العكس يكون صحيحًا أيضًـا وذلك لأن أفعال

الشـخص عادةً ما تخضع للتدقيق من قِبل الضحية. فلربما يكون إيذاء الشـخص عندمـا يكـون غير قـادر عـلى مراقبـة أفعالنا أسـهل مما هو عليـه عندمـا يرى ما نقوم بـه. وقد تؤدي مراقبته للعمـل الموجه ضده إلى الشـعور بالخـزي أو الذنب وهـذا قد يؤدي إلى الحـد من الإجراء. وتشـير العديد من التعبيرات اللغوية إلى عـدم الراحة أو العوائق التي تنشأ في الهجوم المباشر. وكثيرًا ما يُقال إن انتقاد الرجل «خلف ظهره» أسـهل مـن مواجهته مبـاشرةً. وإذا كنـا نكذب على شـخص ما، فمن الصعـب أن «ننظر في عينيه» فنحن «نبتعـد خجلاً» أو «حرجًا»، وهذا الإجراء يعمل على تقليل انزعاجنا. وتتمثل الوظيفة الواضحة المتمثلة في السـماح لضحية فرقـة الإعدام بإطلاق النار عـلى معصوب العينين لجعل العمليةِ أقلَّ توترًا بالنسبة له، ولكنها قد تؤدي أيضًا وظيفةً كامنةً لتقليل إجهاد الجلاد باختصار، وفي ظروف القرب قد يشعر الشخص بأنـه أصبح أكثر بروزًا في وعي وفكر الضحية، وبالتالي يصبح ذا وعي ذاتي أكبر في معاقبة الضحية.

4. وحـدة مـن ذوي الخبرة في العمـل: عادةً ما يصعب على الشـخص المعنـي في الظـروف النائيـة أن يرى العلاقـة بين أفعالـه وعواقبها على الضحيـة. فهنـاك فصل مادي بين الفعل وآثـاره. فضغط المتدرب على رافعة في إحدى الغرف، وسـماع الاحتجاجات والصيحات من غرفة أُخرى، يجعل الحدثين مترابطين لكنهما يفتقران إلى وحدة مقنعة، والتي تتحقق بشكلٍ أكبر في ظروف القرب حيث يقترب الضحية من الفعل الذي يسبب له الألم. ويتم تقديمه كاملاً في تقريب اللمس.

5. **تشكيل المجموعة الأولية**: إن وضع الضحية في غرفة أُخرى لا يجعله بعيدًا عن المتدرب فحسب، بل إنه يقترب أيضًا من المجرب والمختبر بشكل نسبي نوعًا ما. وهناك يتم تشكيل مجموعة أولية من المجرب والمتدرب فيما يتم استبعاد الضحية منها. وهذا الجدار بين الضحية والآخرين يحرمه من الشعور بالتعاطف الذي يمكن أن يشعر به المجرب والمتدرب. حيث يبدو الضحية في هذا الوضع غريبًا فعلاً لأنه يقف وحيدًا جسديًا ونفسيًا.

وعندما يتم وضع الضحية بالقرب من المتدرب، يصبح من الأسهل تكوين تحالف معه ضد المجرب. فالضحية لم تعد تواجه المجرب وحدها فقد أصبح لديها حليف قريب ومستعد للتعاون في ثورتها ضد المجرب، وبالتالي فإن المجموعة المتغيرة من العلاقات المكانية تؤدي إلى مجموعة متغيرة محتملة من التحالفات على العديد من الظروف التجريبية.

6. **التصرفات السلوكية المكتسبة**: من المُلاحظ بشكل شائع أن فئران التجارب نادرًا ما تتقاتل مع زملائها في القمامة. حيثُ يقدم سكوت (1958) شرحًا عن هذه الظاهرةِ من حيث التثبيط السلبي. فيقول: «من خلال عدم القيام بأي شيء في ظل الظروف، يتعلم [الحيوان] عدم القيام بشيء، ويمكن الحديث عن هذا على أنه منع سلبي، وهذا المبدأ له أهميةٌ كبيرةٌ في تعليم الفرد أن يكون مسالمًا، لأنه يعني ببساطة أنه يستطيع أن يتعلم ألا يقاتل، فقط بمجرد عدم القتال». وبالمثل، قد نتعلم ألا نؤذي الآخرين ببساطة من خلال عدم إيذائهم في الحياة

اليوميـة. ومع ذلك، يحدث هذا التعلم في سـياق العلاقات القريبة مع الآخريـن والـذي ليـس بالـضرورة تعميمه عـلى المواقف التـي يكون فيهـا الآخرون بعيدين عنـا فعليًا. أو ربما في المـاضي أدت الإجراءات العدوانية ضد الآخرين المقربين إلى عقوبةٍ انتقاميةٍ أدت إلى تثبيط وضع الرد بشـكلٍ عام. وفي المقابل فإن العدوان نادرًا ما يؤدي بالآخرين إلى الانتقـام. فالبـشر يتحركون وتتحول علاقاتهـم المكانية من موقف إلى آخر، كما أن حقيقة كونهم قريبين أو بعيدين قد يكون لها تأثير قوي على العمليات النفسـية التي تتوسـط سـلوكهم تجاه بعضهم البعض. ففي هـذه التجارب عندما تم تقريب الضحية من الرجل الذي أُمر بتوجيه الصدمـات لـهُ أدت إلى أعـداد متزايدة من الأشـخاص الذين عمدوا إلى قطـع التجربـة رافضين الانصياع لهـا. فالوجود الملمـوس والمرئي والقريـب للضحيـة مهـم لاختبار قـوة المجرب ولإحـداث العصيان والـذي يجـب أن يأخذ أي نمـوذج نظـري للطاعة هـذه الحقيقة بعين الاعتبار.

السلوك غير متوقع

إن المسـتوى العام للطاعة يتطلب التعليق عبر جميع التجارب الأربعة المختلفة حيثُ تعلم الأشـخاص منذ الطفولة أن إيذاء شـخص آخر ضد إرادته يُعد انتهاكًا أساسيًا للسلوك الأخلاقي. ومع ذلك يتخلى ما يقرب مـن نصـف الرعايا (المتدربين) عـن هذا المبدأ في اتباع تعليمات سـلطةٍ لا تتمتـع بسـلطات خاصـة لتنفيذ أوامـره. كـما أن العصيان لـن يجلب أي خسـارة أو عقوبـة مادية. ويتضـح جليًا من ملاحظات وسـلوك العديد

من المشاركين أنه عند معاقبة الضحية فإن تصرفاتهم في كثير من الأحيان كانت ضد قيمهم الخاصة. وغالبًا ما عبّر الأشخاص عن عدم موافقتهم على أن يتعرض الرجل للأذى وهو يواجه اعتراضاته، حيثُ انتقده آخرون ووصفوه بأنه غبي وبلا معنى ومع ذلك اتبع الكثيرون الأوامر التجريبية.

اختلفت النتائج بشكل جلي عن التنبؤات الواردة في الاستبيان الموصوف سابقًا. (هنا ومع أنهُ من الممكن أن يكون بُعد المستجيبين عن الوضع الفعلي وصعوبة نقل التفاصيل الملموسة للتجربة إليهم سببًا في التقليل الملحوظ للطاعة). لكن النتائج كانت أيضًا غير مُتوقعة للأشخاص الذين لاحظوا التجربة قيد التقدم من خلال مرايا أحادية الاتجاه. وغالبًا ما أعرب المراقبون عن عدم تصديقهم عند رؤية زيادة المتدرب في الصدمات القوية للضحية؛ حتى الأشخاص المطلعون تمامًا على تفاصيل الموقف قد توقعوا مقدارًا أقل من الطاعة التي سيظهرها الأشخاص.

والتأثير الثاني غير المتوقع هو التوتر الناتج عن الإجراءات، فقد يفترض المرء أن متدربًا ما سوف ينسحب ببساطة ويترك التجربة أو يستمر كما يمليه عليه ضميره. وهذا بعيد كل البعد عما حدث فلقد ظهر عند بعض المتدربين ردود أفعال مدهشة للتوتر العاطفي. وفي المقابلة التي أعقبت التجربة، طُلب من الأشخاص أن يشيروا على مقياس من (14 نقطة) إلى مدى التوتر أو الانفعال الذي شعروا به عند نقطة التوتر الأقصى (الشكل 6). حيثُ أن المقياس قد تراوح من «ليس متوترًا وعصبيًا

على الإطلاق» إلى «متوتر وعصبي للغاية». وتُشير التقارير الذاتية من هذا النوع والتي عادةً ما تكون محدودة الدقة وفي أحسن الأحوال تقدم مؤشرًا تقريبيًا للاستجابة العاطفية للمتدرب فقط. ومع ذلك، ومع أخذ التقارير لمعرفة قيمتها، يمكـن ملاحظة أن توزيع الردود يمتد على النطاق الكامل للمقيـاس، مـع تركيز غالبية المجربـين في المركز والنهايـة العليا. هذا وقد أظهرت حالةٌ أُخرى من الانهيار العصبي أن الأشـخاص المطيعين أفادوا بأنهم كانوا أكثر توترًا وعصبيةً مقارنةً مع الأشخاص المتحديين عند نقطة التوتر القصوى.

كيف يتم تفسير حدوث التوتر؟ أولاً، إن تفسير التوتر يشير إلى وجود صراع بحيث لو كان الميل إلى الامتثال للسـلطة هو القوة النفسية الوحيدة التي تعمل في الموقف، لكان جميع الأشـخاص قد اسـتمروا حتى النهاية، ولن يكون هناك توتر.

ومـن المفـترض أن التوتـر هـو المحصلـة الكليـة لاثنتين أو أكثـر من اتجاهات الاستجابة غير المتوافقة (ميلر، 1944). فلو كان القلق المتعاطف مـع الضحية هو القـوة الحصرية، لـكان جميع الأشـخاص في وضعية من التحـدي المضمـر تجاه المجـرب. وبدلاً من ذلـك فقد كانت هنـاك نتائج امتـازت بالطاعـة والتحدي، وبذات الوقت كانـت مصحوبةً في كثير من الأحيان بتوتر شديد. أي أن التوتر ينشأ نتيجة الصراع بين النزعة الراسخة بعمـق في عدم إلحاق الأذى بالآخرين والميل المقنع نفسـه لطاعة الآخرين في السـلطة. وأحيانًا ما ينجذب المتدرب الى وجود نقاط توتر عالية تُشـير إلى القوة الكبيرة لكل من النواقل العدائية.

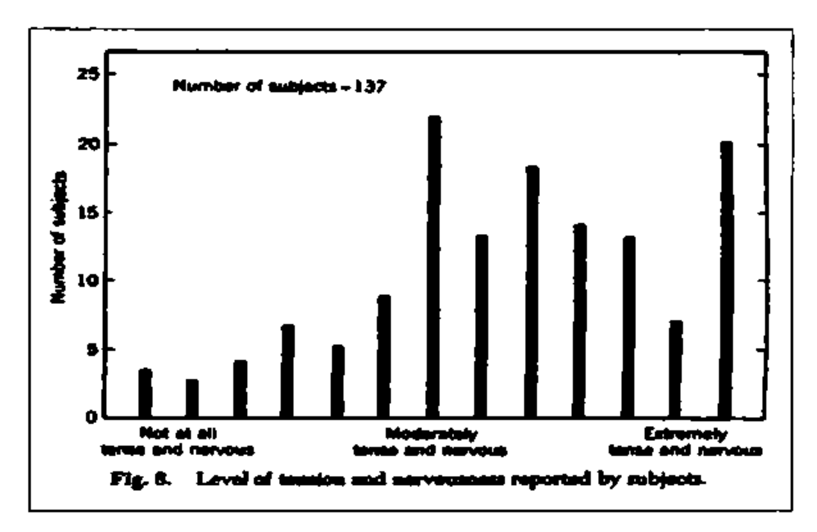


Fig. 8. Level of tension and nervousness reported by subjects.

علاوةً على ذلك يحدد التوتر شدة الحالة السلبية التي لا تستطيع الذات الهروب منها من خلال العصيان. وعندما يكون الشـخص غير مرتاح أو متوتـر أو مضطـرب، فإنه يحاول اتخـاذ بعض الإجراءات التي تسـمح له بإنهاء حالة عدم السرور المصاحبة للحالة.

وبالتـالي، قد يكون التوتر بمثابة دافع يؤدي إلى الهروب من السـلوك، ولكـن في الوضع الحالي حتى عندما يكون التوتر على أشـدهُ فلا يسـتطيع العديـد مـن الأشـخاص أداء الاسـتجابة التـي مـن شـأنها أن تـؤدي إلى الراحة. لِذلك يجب توفر الدافعية أو النزعة أو حتى التثبيط المنافس الذي يحول دون تنشـيط اسـتجابة الرافضين للطاعة. ويجـب أن تكون قوة هذا العامل المثبط أكبر من الإجهاد الذي تم التعرض له، وإلا فسيحدث فعل الإجهـاز. وكل دليـل على التوتر الشـديد هو في نفـس الوقت مؤشر على القوة التي تُبقي المتدرب في هذا الموقف. وأخيرًا يمكن اعتبار التوتر دليلاً على حقيقة الوضع بالنسـبة للمتدرب فالأشـخاص العاديون لا يرتجفون أو يتعرقون إلا إذا تورطوا في مأزق عميق.

5

سلطة مواجهة الأفراد الاولى

نشتق من كل شخص في التجربة حقيقة أساسية واحدة: هل أطاع أم عصى، لكن من الحماقة أن ترى المتدرب بهذه الطريقة فقط. لأنه يحضر معه إلى المختبر مجموعة كاملة من العواطف والمواقف والأساليب الفردية والتي تخلق في الواقع حالة من تنوع الأشخاص الذين يمرون عبر المختبر في مزاجهم وسلوكهم، لدرجة أنه يبدو أحيانًا معجزة أننا نخرج بأي انتظام على الإطلاق. فقد يكون أحد المتدربين ناشئًا خجولاً ومتواضعًا بشكل محرج يتبعه رجل أعمال واثق من نفسه، ويقدم سيجارةً للمجرب للتأكيد على إصراره. فهنا نحتاج إلى التركيز على الأفراد الذين شاركوا في الدراسة ليس فقط لأن هذا يوفر بُعدًا شخصيًا للتجربة ولكن لأن جودة تجربة كل شخص تعطينا أدلةً على طبيعة عملية الطاعة. وبالتالي سنعتمد بشكل كبير على تعليقات وتأكيدات المشارك في بناء الصورة.

وفي نفس الوقت فإن التحذير سيكون في محله بينما يجب أن نتعامل بجدية مـع كل ما يقوله المجرب، وذلك لأننـا لا نحتاج بالضرورة إلى التفكير في أنه متفهمٌ لأسباب سلوكه. ومن ثم يجب رسم خط بين الاستماع بعناية لما يقولـه المجرب والخطأ في أنه يـروي القصة الكاملة. ومن هنا يتم التحكم في المتـدرب من قبل العديد مـن القوى في الموقف بما يتجاوز وعيه، والتي هي عباره عن هياكل ضمنية تنظم سلوكه دون الإشارة إليه بهذه الحقيقة. وكذلـك قمنا بتطبيـق إجراء هام على المجرب: ففـي كل حالة قمنا بتغيير طفيف في طبيعة الظروف التي يواجهها المتدرب، وبالتالي سـنعرف أهمية كل عامل من العوامل التي تم تطبيقها على الشـخص المشـارك، ولكنه لا يستطيع وضعه في المنظور الذي يأتي فقط من نظرة عامة.

ان مصـادر المعلومـات هـي، أولاً، ملاحظتنـا للفـرد أثنـاء أدائـه في التجربة - على وجه الخصوص - والحوار الذي ينشـأ بينه وبين المجرب. بالإضافة إلى ذلك، فقد قدم جميع الأشـخاص معلومات عن أنفسـهم في مقابلة تجريبية (وقمنا بتغيير أسـمائهم في الحسابات التالية). وأخيرًا شارك عدد من المتدربين في المناقشات الفردية والجماعية، بقيادة عضو في مدرسة (ييول) للطب النفسي.

برونو باتا، عامل لحام (في التجربة الرابعة)

السـيد باتـا عامل لحـام في السـابعة والثلاثين مـن العمر وُلـد في (نيو هافـن)، والـداه في إيطاليا. ويمتاز بوجهٍ خشـن يظهر نقصًـا واضحًا من الانتبـاه. فمظهـره العـام وحشي إلى حد مـا. بحيث وصفه أحـد المراقبين بأنه «ذو شكل بسيط من الذكاء المحدود بشكل واضح». لكن رغم ذلك

فهـو يرتبط بالمجرب بعلاقـة طاعةٍ وديةٍ خاضعة. ولديـه بعض الصعوبة في إتقـان الإجـراء التجريبي ويحتـاج إلى تصحيحه من قبـل المجرب عدة مرات.

يُظهـر تقديره للمسـاعدة والاسـتعداد لفعـل ما هو مطلـوب. كما أن التجربة هي تباين تقريب اللمس. وبعد مستوى (150 فولت)، يتعين على (باتـا) إجبار المتعلم على الضغط على لوحة الصدمات، لأن المتعلم نفسـه يرفض لمسها. وعندما يشتكي المتعلم لأول مرة، يتجاهلهُ السيد (باتا) ولا يُظهر وجهه أي تعاطف، وكأنه ينأى بنفسـه عن سلوك المتعلم التخريبي. وعندمـا يطلب منه المجـرب إجبار المتعلم على التراجـع، يتبنى إجراء آليًا صارمًا مما يؤدي به الى اختبار مفتاح مولد الصدمة الكهربائية.

عندما يفشل في العمل، فإنه وعلى الفور يجبر المتعلم على وضـع يده على لوحة الصدمات ويحافظ طوال الوقت على القناع الصلب نفسه، فالمتعلم الجالس بجانبه يتوسل إليه أن يتوقف، ولكن بدون جدوى ليواصل ذات الإجراء. والمثير للدهشـة هنا هو اللامبالاة المطلقة الواضحة تجاه المتعلم؛ بحيث لا يكاد يدركه كإنسان وفي الوقت نفسه يتعامل مع المجرب بطريقة خاضعة ومهذبة.

وعند مسـتوى (330 فولت)، لا يرفـض المتعلم لمس لوحة الصدمات فحسـب، بـل يرفـض أيضًـا تقديـم أي إجابـات. وبحالةٍ مـن الانزعاج استدار إليه السيد (باتا)، ووبخه قائلاً: «من الأفضل أن تجيب وتنتهي فلا يمكننـا البقاء هنا طوال الليل». هذه هي الكلـمات الوحيدة التي يوجهها للمتعلم على مدار السـاعة. فلم يتحدث معه مرة أُخرى. فضراوة المشهد

ووحشيته وكآبته تظهرُ جليةً: فمن خلال وجهه القاسي غير العاطفي يظهر اللامبالاة المطلقة وهو يُخضع المتعلم ويصدمه. يبدو أنه لا يستمد أي متعة من الفعل نفسه، فإظهارهُ للرضا الهادئ عن أداء وظيفته بشكل صحيح هو العلامة الوحيدة. وعندما يوجه مستوى (450 فولت)، يلتفت إلى المجرب ويسأل، «إلى أين سنذهب بعد ذلك يا أستاذ؟» فلهجته تُظهر الاحترام وتعبر عن استعداده لأن يكون متعاونًا، على عكس حالة العناد لدى المتعلم. وفي مقابلةِ ما بعد التجربة، قدم وصفًا غير واضحٍ للتجربة. فعندما يسأله المجرب بشكل روتيني عما إذا كان للتجربة أي غرض آخر يمكنه التفكير فيه.

فإنه يجيب عن السؤال دون أي منطق معين لتشويه سمعة المتعلم، قائلاً «حسنًا، لدينا شخص عنيد إلى حد ما (المتعلم). إذا فهم ما هو هذا فسيذهب دون أن يحصل على عقاب». وحسب رأيه، فقد جلب المتعلم العقاب لنفسه، وعندما يسأل المجرب ما إذا كان يشعر بالتوتر أو الاضطراب أثناء التجربة. مرة أُخرى يستخدم السؤال للتعبير عن مشاعره تجاه المتعلم. «المرة الوحيدة التي حصلت فيها على القليل – لن أقول التوتر – شعرت بالاشمئزاز، عندما لا يتعاون معي». يجد المجرب صعوبة كبيرة في استجواب المتدرب في موضوع المسؤولية.

وأخيرًا يبسط من يجري المقابلة السؤال، ويعتبر المتدرب أن ما حدث يدل على المسؤولية الرئيسية للمُجرب: «أقول خطأك لسبب بسيط هو أنني دُفعت مقابل القيام بذلك وكان لزامًا علي أن أتبع الأوامر. أنا أدركتها بهذه الطريقة». بعد ذلك أعطى المبادرة للمجرب وقال: «يمكنك

أن تقـول الآن! انظر... اسـترجع المال وسننسـى هذا الـشيء، ثم إنه كان بإمكاننا اتخاذ قرارنا». نلاحظ أنه في حين أن العديد من الأشخاص الذين يعرضـون إعادة الدفع يعتبرونه وسـيلة مشرفة للانسـحاب من التجربة، فـإن هذا المجـرب لا يمكن أن يتصور القيام بأي فعل إلا إذا سـمحت له السلطة. لذا ينضم المجرب مرة أُخرى:

- «لكنني أخبرتك أن المال كان مالكَ لمجرد قدومك، بغض النظر عما حدث».

- «هذا صحيح».

وفي نهاية الجلسـة أخبر المجرب عن مدى امتنانه لمسـاعدته، وفي لحظة من الأسـف قال: «سـيدي، آسـف أنها لا يمكن أن تكون تجربـةً كاملة». لقد بذل كل ما أوتي من قوة بصدق. إن السلوك المعيب للمتعلم فقط هو الذي منع المجرب من أن يكون راضيًا بشـكلٍ كامل. وفي اسـتبيان أعاده السـيد (باتا) بعد عدة أشـهر، ذكـر بأنه اتبع تعليمات المجـرب حتى نهاية المطـاف، وباعتقـادهِ أن المتعلم يعاني من صدمات مؤلمـة، وأنهُ لم يُظهر اي انزعاج من التجربة مؤكدًا على ضرورة إجراء المزيد من التجارب من هذا النوع، ويجيب بـ «نعم» على سؤالنا حول ما إذا كان قد تعلم شيئًا قيّمًا على المستوى الشخصي لكنه لا يبوح بذلك.

بروفيسور العهد القديم (في التجربة الثالثة)

هـذا الرجـل الزاهد والهزيل إلى حد ما، يمكـن أن يكون كاهنًا في (نيو إنجلانـد). في الواقـع، يُدرس هذا البروفيسـور مادة الطقـوس الدينية في العهد القديم (الانجيل) في مدرسـة لاهوتية رئيسـية. وفي حالة التقريب

هـذه، قـام البروفيسـور بتعديـل مقعـده لينظـر إلى المتعلـم أثنـاء توجيـه الصدمات.

وأثنـاء قـراءة أزواج الكلمات، كان يقـوم بالقراءة بدقـةٍ متناهيةٍ جدًا، وإلى حـدٍ مـا يبـدو متكلفًـا في قولـه «صحيـح». وعندما يرتكـب المتعلم خطـأً فإنـه بالكاد كان يعاقبه على فشـله. وعند كل مرة يقـوم فيها بتوجيه الصدمة، يسـحب شـفتيه للخلف ويكشف عن أسـنانه. حيث تتميز كل أفعاله بالحساسـية المفرطة. بعد توجيه صدمه عند مستوى (150 فولت)، يتراجع ويرفض الاستمرار. فيصرّح المجرب أنه يجب تجاهل احتجاجات المتعلم، وعلى التجربة أن تستمر:

-المجرّب: من الضروري للغاية أن نواصل التجربة.

-المتـدرب: أعرف كل مـا تقولهُ، لكني لا أفهم سـبب تطبيق التجربة على حياة هذا الشخص.

-المجرب: لا يوجد تلف دائم في الأنسجة.

-المتـدرب: حسـنًا، هذا هـو رأيـك. إذا كان لا يريد الاسـتمرار، فأنا أتلقى الأوامر منه.

-المجرب: ليس لديك خيار آخر، يا سيدي، يجب أن تستمر.

-المتدرب: ماذا لو كانت هذه التجربة تقام في روسيا، وليس في أمريكا؟

(تم إنهاء التجربة)

وفي نقاشه مع المجرب لا يبدو أن المتدرب تخيفه بأي حال من الأحوال حالـة المجـرب، بل أنـه يعامله على أنه فني ممـل لا يرى الآثـار الكاملة لما

يفعلـه. وعندمـا يؤكـد له المجرب سـلامة مولـد الصدمـات الكهربائية، يطـرح المتـدرب مع بعض السـخط مسـألة التأثـيرات المنطقيـة العاطفية وليس الفيزيولوجية على المتعلم.

المتـدرب (بشـكل عفـوي): بالتأكيد، لقـد فكـرت في أخلاقيات هذا الشيء.

(وبحالة من الاضطراب الشـديد) هنا لا يريد أن يسـتمر: «وتعتقد أن التجربة أكثر أهمية؟ هل قمت بفحصه؟ هل تعرف ما هي حالته الجسدية؟ افترض أن قلب هذا الرجل ضعيف (صوت مرتعش).

-المجرب: نحن نعرف الآلة يا سيدي.

-المتـدرب: لكنـك لا تعـرف الرجل الـذي تجري التجـارب عليه... هـذا أمر محفـوف بالمخاطر (البلـع والارتجاف). مـاذا عن الخوف الـذي كان لـدى الرجل؟ من المسـتحيل بالنسـبة لـك تحديد تأثير ذلك عليه... الخوف الذي يولده هو نفسـه... لكن تفضل، لتطرح أسئلتك علي؛ أنا لست هنا لاستجوابك.

إنـه يحد من اسـتجوابه، أولاً لأنه يؤكد أنه ليـس لديه الحق في طرح الأسئلة، لكن نستطيع أن نشعر بأنه يعتبر المتدرب جامدًا جدًا ومحدودًا فنيًـا للانخـراط في حـوار ذكـي، ويلاحظ المـرء كذلك ذكـره التلقائي للأخـلاق، وهـذا الذي أثير هو أسـلوب تعليمي مسـتمد مـن موقعه المهنـي كمعلم للديـن. أخيرًا، من المثير للاهتمام أنه برر في البداية قطعه للتجربـة ليس من خلال تأكيد العصيان ولكن مؤكدًا على أنه سـيأخذ أوامـره مـن الضحية. وعلى هذا الحـال، فهو يتحدث عـن التكافؤ بين

أوامـر المجـرب وأوامـر المتعلم ولا يعـصي إلى حد ما الشـخص الذي سـيأخذ الأوامر منه. وبعد شرح الغرض الحقيقي من التجربة، يسـأل المجـرب: «ما هـي برأيك الطريقة الأكثر فعالية لدعم مقاومة السـلطة اللاإنسـانية؟» يجيب المتدرب: «إذا كان المرء يتمتع بسـلطة الله المطلقة، فإنـه يقلل من أهمية السـلطة البشرية». ومرة أُخرى، فالجواب بالنسـبة لهـذا الرجـل لا يكمن في التنصـل من السـلطة ولكن في استبدال الخير (أي السلطة الإلهية) بالشر.

جاك واشنطن، عامل مكبس الطباعة (في التجربة الثانية)

جـاك واشـنطن هو من الرعايا السـود، يبلغ من العمر خمسـة وثلاثين عامًـا، وُلد في سـاوث كارولينـا ويعمل كصحفي متـدرب ويؤكد حقيقة أنـه عـلى الرغم من أنـه لم يكمل دراسـته الثانويـة، إلا أنه لم يكـن متسربًا مـن الدراسـة ولكن تم تجنيده في الجيش قبـل أن يتمكن من الحصول على شهادته.

إنـه رجل ثقيل الـوزن بعض الشيء وأصلـع، ويبدو أكبر سـنًا مقارنةً بمظهرِهِ الخارجي. وتيرته بطيئةٌ جدًا وطريقته غير سلسـة؛ خطابه مشوب باللهجات الجنوبية والسوداء.

عندما يسمع الاحتجاجات الأولى للضحية، يتجه نحو المجرب وينظر إليه بحزن، ثم يواصل قراءة أزواج الكلمات. فهنا لا يتعين على المجرب أن يخبره بالاسـتمرار. وطوال التجربة، لم يُظهر أي عاطفة أو حركة جسـدية تقريبًـا. وذلـك لأنـه كان يفعل ما يطلبـهُ المجرب منه بوتـيرة بطيئة وثابتة تواجه صرخات الضحية الشديدة بحزم. وكان طوال الوقت يُظهر تعبيرًا

حزينًا وكئيبًا على وجهه فيواصل حتى مستوى (450 فولت)، ويسأل المجرب عما سيفعله في تلك المرحلة، بحيثُ يوجه صدمتين إضافيتين عندما يؤمر بذلك ويتم إعفاؤه من مهمته.

يوضح في المقابلة أنه على الرغم من شعوره بأن الصدمات كانت مؤلمة للغاية، فقد صدق ادعاء المجرب بأنه لن يتسبب في ضرر دائم.

ويعيد تأكيد هذا الاعتقاد في استبيان تمت الإجابة عليه بعد عامٍ من مشاركته تقريبًا. وعندما سُئل عن مسؤوليته عن معاناة الضحية، ألقى اللوم الأكبر على عاتق المجرب، وأتبعه بلوم الضحية، ووضع على عاتقهِ أقلَّ مقدارٍ من العبء.

وفيما يخص المتعلم (الضحية) يقول: «لقد وافق على ذلك، لذا يجب عليه أن يتحمل المسؤولية، المجرب يملك النصيب الأكبر من المسؤولية. لقد واصلت فقط لأنني كنت أتبع الأوامر ليس إلا... حيثُ طُلِبَ مني أن أستمر على ما أنا عليه وحينها لم أحصل على إشارة للتوقف». تورط في هذه الصيغة التي يكررها عدة مرات.

ويشرح للمُحاور أنه لو تلقى إشارة من المجرب، لكان قد توقف، مما يعني أنه سيتصرف بأي طريقة يطلبها المجرب. وأن الإهمال الوحيد الذي يمكن أن يتخيله في الموقف هو عدم طاعة المجرب.

ويشرح بأسلوبه البطيء والثابت قائلاً: «أعلم أنه حتى نقطة معينة فإن الصدمة لن تقتلك. لقد أصبت بصدمة لدرجة أنني كدت أن أسقط... كانت يدي كلها مخدرة. ولكن ذلك لم يقتلني. وبالتالي، فهو يشير إلى قبول تصريح المجرب بأن الصدمات قد تكون مؤلمة ولكنها ليست خطيرة.

فمن مـن جميع النواحي، يعبّر عـن إيمانه الكامل بالمجـرب ويقبل بالفعل سلطته بسهولة أكبر وبصراع داخلي أقل من العديد من المتدربين.

جان رنسيلر، مهندس صناعي (في التجربة الثانية)

إن هـذا المتـدرب هـو مهندس صناعي يبلـغ من العمـر اثنين وثلاثين عامًا، ذو شـعر وشارب أشقري اللون فهو مكتفٍ بذاته ويتحدث بلهجة أجنبيـة ويرتدي ملابس أنيقة. خلال المقابلـة أخبرنا أنه هاجر من هولندا بعد الحرب العالمية الثانية وأنه عضو في الكنيسة الهولندية الإصلاحية.

إنه لطيف وذكي فعندما يشـتكي الضحية على مسـتوى (150 فولت)، يسـتدير المتدرب إلى المجرب ويسـألهُ «ماذا أفعـل الآن؟» المجرب يطلب منهُ أن يسـتمر. فعندها يضغط المهندس بيده على رأسه ويواصل الاختبار ناظـرًا إلى المجـرب أكثر فأكثر. وعند مسـتوى (255 فولـت)، يقوم بدفع الكرسي بعيدًا عن مولد الصدمات الكهربائية ويتوجه إلى المجرب:

-السـيد رنسـيلر: «آآآآه، لا يمكنني الاسـتمرار على هـذا النحو! إنه برنامج تطوعي، إذا كان الرجل لا يريد الاستمرار فيه».

-المُجرب: «الرجاء المتابعة». (وقفة طويلة)

-السيد رنسيلر: «لا، لا يمكنني الاستمرار. أنا آسف للغاية».

-المجرب: «إن التجربة تستدعي الاستمرار».

-السيد رنسيلر: «على ما يبدو فإن الرجل يتأذى».

-المجرب: «لا يوجد تلف دائم في الأنسجة».

-السـيد رنسـيلر: «نعم، لكنني أعرف ما تفعله لك هـذه الصدمات،

فأنا مهندس كهرباء، وتعرضت لصدماتٍ من قبل... وقد صُعقت بشدة بسببها - خاصةً إذا كنت تعلم أن التالي قادم. أنا فعلاً آسف».

-المجرب: «من المهم أن تستمر».

-السيد رنسيلر: «حسنًا، لن أكون مع الرجل الذي يصرخ ليخرج».

-المجرب: «ليس لديك خيار آخر».

-السيد رنسيلر: «لدي خيار (ينظر اليه بحده وسخط) لماذا ليس لدي خيار؟ لقد جئت إلى هنا بمحض إرادتي معتقدًا أنه يمكنني المساعدة في مشروع بحثي. لكن إذا اضطررت إلى إيذاء شخص ما لفعل ذلك، أو إذا كنت محلهُ أيضًا، فلن أبقى هناك فانا لا أستطيع الاستمرار، أنا آسف جدًا».

لقد اندهشت بالفعل، ربما عندما سُئل عن المسؤول عن صدم المتعلم رغماً عنه، قال: «سأضعها على عاتقي بالكامل».

رفض إسناد أي مسؤولية إلى المتعلم أو المجرب «كان يجب أن أتوقف في المرة الأولى التي اشتكى فيها. فلقد كنت أرغب في التوقف حينها. ومن ثم استدرتُ ونظرت إليك. أعتقد أنها ليست إلا مسألة سلطة، حتى لو كنت تريد أن تعتبرها شيئًا أنا معجبٌ به للغاية، واستمريتُ في ذلك رغم أنني لم أرغب فيه. أخبرني، فيما لو كنت تخدم في الجيش، وكان عليك أن تفعل شيئًا لا تحبه، لكن رئيس العمل يطلب منك أن تفعل ذلك هذا النوع من الأشياء، هل تعرف ما أعنيه؟ إن أحد الأشياء التي أعتقد أنها ليست علامةً للشجاعة هي محاولة إلقاء المسؤولية على شخص آخر.

انظر، إذا استدرت الآن وقلت هذا خطؤك... إنه ليس خطئي، سأطلق النار على ذلك الجبان». فعلى الرغم من أن هذا المتدرب تحدى المجرب عند مستوى (255 فولت)، إلا أنه لا يزال يشعر بالمسؤولية عن توجيه أي صدمات تتجاوز الاحتجاجات الأولى للضحية. إنه قاسٍ على نفسه ولا يسمح لهيكل السلطة التي يعمل فيها بإعفائه من أي مسؤولية.

لهذا أعرب السيد رنسيلر عن دهشته من التقليل من شأن الطاعة من قبل الأطباء النفسيين قائلاً إنه بناءً على خبرته في أوروبا التي احتلها النازيون، فإنه يتوقع مستوىً عالٍ من الامتثال للأوامر ويقترح قائلاً: «سيكون من المفيد إجراء نفس الاختبارات في ألمانيا وبلدان أُخرى.

تركت التجربة انطباعًا عميقًا عند المتدرب، لدرجة أنه بعد أيامٍ قليلةٍ من مشاركته كتب رسالةً طويلةً ودقيقةً وجهها إلى الموظفين، سائلاً عما إذا كان يمكنه العمل معنا. «على الرغم من أنني موظفٌ في الهندسة، فقد أصبحت مقتنعًا بأن العلوم الاجتماعية وخاصة علم النفس، أكثرُ أهميةً في عالمنا اليوم».

موريس برافرمان، عامل اجتماعي (في التجربة الثانية)

موريس برافرمان هو عامل اجتماعي يبلغ من العمر تسعةً وثلاثين عامًا وعلى نفس شاكلة جاك واشنطن، عامل مكبس الطباعة ويبدو أكبر من عمره بسبب صلعته وسلوكه الجاد وجبينه المجعد وكأن كل أعباء العالم كانت تظهرُ على وجهه، ويبدو ذكيًا وقلقًا في الوقت ذاته. لذا فإن الانطباع الذي يخلقه هو السيطرة المفرطة الهائلة الظاهرة بوضوح عليه كرجلٍ جاد، فصوته المعدل بدقة ليس لهُ علاقةٌ بحياته العاطفية. لذا تجدهُ يتحدث

بتأثر بشكل ملموس. ومع تقدم التجربة، يتدخل الضحك في أدائه. ففي البداية يضحك بشكلٍ خفيف، ثم يصبح أكثر إصرارًا وصرامةً. وبدا أن صرخات المتعلم هي السبب وراء الضحك. فعندما كان المتعلم يرفض الإجابة ويوجهه المجرب إلى التعامل مع عدم وجود إجابة على أنها إجابةٌ خاطئة، فإنه يأخذ تعليماته على محمل الجد. فقبل توجيه الصدمة عند مستوى (315 فولت) وضح بشكل رسمي للضحية: «السيد والاس، يجب اعتبار صمتك كإجابة خاطئة». ثم قام بتوجيه الصدمة.

كان المتدرب يقوم بعرض تغيير الأماكن مع المتعلم، ثم يسأل المجرب: «هل يجب عليّ اتّباع هذه التعليمات حرفيًا؟» عندها يُظهر رضاهُ عن إجابة المجرب التي تلقاها. حيث كان يواري شعوره المتزايد بالثقة عن طريق الضحك المفرط.

ومن بين ملاحظات المجرب على السيد (برافرمان) في الصدمات القليلة الماضية انفصاله عن الواقع تقريبًا في كل مرة يصدم المتدرب فيها. إذ قام عندها بفرك وجهه لإخفاء الضحك ولمعت عيناه محاولاً إخفاء وجهه بيده، ومع ذلك فإنه لا يزال ضاحكًا ولا يستطيع التحكم في ضحكته في هذه المرحلة مهما فعل. فقام بوضع قبضة يده على الطاولة. وأثناء المقابلة لخص السيد (برافرمان) التجربة بطلاقة وذكاء مذهلين وذلك لأنه يعتقد أن التجربة ربما تم تصميمها أيضًا لاختبار التأثيرات على المعلم لكونه يلعب دورًا ساديًا بشكل أساسي، بالإضافة إلى ردود أفعال الطالب تجاه موقف التعلم الذي كان موثوقًا وقاسيًا، وعقابيًا بنفس الوقت.

وحين سؤالِهِ عن مدى الألم الذي تعرض له خلال الصدمات القليلة الأخيرة التي تعرض لها المتعلم، أشار إلى أن الفئة الأكثر تطرفًا على المقياس غير كافية (تقرأ بشدة الألم التام) ويضع علامته على الحافة القصوى للمقياس مع سهم يحمله خارج النطاق عندها يكاد يكون من المستحيل التعبير عن أي شعور بالارتياح في محادثته أثناء المقابلة، فكان يتحدث بعباراتٍ هادئة عن توتره الداخلي الشديد.

-المجرب: «في أي مرحلة كنت متوترًا أو مضطربًا؟».

-السيد (برافرمان): «حسنًا، عندما بدأ بالصراخ من الألم، وأدركت أن هذا يؤلمه وازداد الأمر سوءًا عندما رفض الإجابة. انظر الي، أنا شخص لطيف على ما أعتقد، ولا يمكنني أن أؤذي شخصًا ما، ووقعت في موقف يبدو أنه مجنون... ومن أجل العلم يمكن للمرء أن يمر به ففي وقت ما كان لدي دافع لرفض الاستمرار في هذا النوع من المواقف التعليمية».

-المجرب: «في أي نقطة كان هذا؟».

-السيد (برافرمان): «كان هذا بعد بضع مرات متتالية من الرفض والصمت. وهذا عندما طرحت عليك سؤالاً عما إذا كان لدي خيار في طريقة التدريس الخاصة بي. في هذه المرحلة كان دافعي هو مناشدته والتحدث معه وتشجيعه ومحاولة التحالف مع مشاعره والعمل على هذا حتى نتمكن من تجاوز ذلك معًا ولن أضطر إلى إيذائه. وعندما يقول السيد (برافرمان) إنه اعتزم «عدم الاستمرار في الألم»، لم يكن يقصد أنه فكر في العصيان بل كان يعني بالأحرى أنه فكر في تعديل طريقة تعليم الضحية.

أمـا في الحالة التي يطرح فيها المجرب سـؤاله العام حول التوتر، يظهر السـيد (برافرمـان) ضحكته بشـكل عفـوي. «كانت ردود أفعـالي غريبة بشكل فظيع فلم أكن أعرف ما إذا كنت تراقبني، لكن ردود أفعالي كانت مجـرد الضحك، وأحاول إخفاء الضحك وليس هذا هو الحال عادةً. كان هذا رد فعل محض نوعًا ما وربما مسـتحيلاً في أحيانٍ أُخرى وكان رد فعلي عـلى الموقف من الاضطرار إلى تجنب إيذاء شـخص ما. وأن أكون عاجزًا تمامًا وأجد نفسي عالقًا في مجموعة من الظروف حيث لم أسـتطع العصيان ولم أستطع محاولة المساعدة».

إن هذا ما دفعني بعد عامٍ من مشـاركته في التجربة، أكد في الاسـتبيان أنه تعلم بالتأكيد شيئًا ذا أهميةٍ شخصيةٍ نتيجةً لوجوده في التجربة، مضيفًا: «مـا أفزعنـي هو أنني أسـتطيع امتلاك هذه القدرة عـلى الطاعة والامتثال لفكـرةٍ مركزيـة، أي قيمة تجربة الذاكـرة حتى بعد أن اتضح أن اسـتمرار الالتزام بهذه القيمة كان على حساب انتهاك قيمةٍ أُخرى لا تؤذي شخصًا آخر عاجزًا ولا تؤذيك. ومثلما قالت زوجتي: «يمكنك أن تسمي نفسك أيخمان» لِذلك يحدوني الأمل أن أتمكن من التعامل بشـكل أكثر فاعلية مع أي تضارب في القيم في مستقبلاً وأواجهه أيضًـا».

6

مزيد من الاختلافات والضوابط

التجربة الخامسة: القاعدة الجديدة هي شرط أساسي

بعد اكتمال سلسلة التقريب، تم نقل التجربة من مختبر التفاعل من جامعة (ييول) إلى أماكن أُخرى في الطابق السفلي من المبنى نفسه. فقد كان المختبر الجديد عمليًا ولكنه متواضع لحدٍ ما، مع أنابيب بخار عارية تمتد على طول السقف، وأرضية خرسانية بدلاً من السجاد الفاخر والستائر المحلية السابقة. تساءلت عما إذا كانت هذه الأماكن وهذا المنظر الأقل إثارة للإعجاب ستؤدي إلى مستوى أقل من الطاعة. على أي حال، كان من الضروري إنشاء شرط أساسي جديد وهذا الذي تم تصميمه على غرار حالة التعليقات الصوتية مع تغييرٍ طفيف.

لن يستجيب المتعلم فقط بصرخات الألم وإنما سيقدم ملاحظات حول وجود مشكلة في القلب. ولربما سيوفر هذا العنصر الجديد مبررًا إضافيًا

للعصيان ويجعل مثل هذا الإجراء يبدو أكثر إلحاحًا. لم أكن لأرغب في أن أجعل «مشكلة القلب» خطيرة للغاية بحيث تؤدي إلى حرمان المتدرب من المشاركة ولكن لمجرد طرح اقتراح جديد. وقد تحقق ذلك من خلال تصريحات أدلى بها الضحية في الوقت الذي تم ربطه بالكرسي الكهربائي.

المجرب والمتدرب (الذي ساعد في ربط المتعلم بالكرسي) على وشك مغادرة المتعلم والعودة إلى غرفة التحكم. فيسأل المجرب بشكل روتيني: «أي أسئلة؟» فيرد المتعلم بالاستجابة بشكل مختلف إلى حدٍ ما، «عندما كنت في مستشفى (ويست هيفين)، قبل بضع سنوات، اكتشفوا حالةً قلبيةً طفيفة بدون وجود شيء خطير، ولكن هل هذه الصدمات خطيرة؟»

يرد المجرب بنبرة واثقة ورافضة نوعًا ما على أنه على الرغم من أن الصدمات قد تكون مؤلمة، إلا أنها لا تسبب تلفًا دائمًا للأنسجة، ثم تابع الإجراءات التجريبية.

إن سلسلة الاحتجاجات الجديدة والتي كان من المفترض أن تكون بمثابة معيار لجميع التجارب اللاحقة قد تزامنت مع المجموعة الأولى، باستثناء الإشارة إلى حالة قلب المتعلم عند مستوى (150 و195 و330 فولت) وكان الجدول الزمني المحدد للاحتجاجات هو كما يلي:



Experiment 5: New Base-Line Condition
The Learner's Schedule of Protests

75 volts	Ugh!
90 volts	Ugh!
105 volts	Ugh! (*louder*)
120 volts	Ugh! Hey, *this* really hurts.
135 volts	Ugh!!
150 volts	Ugh!!! Experimenter! That's all. Get me out of here. I told you I had heart trouble. My heart's starting to bother me now. Get me out of here, please. My heart's starting to bother me. I refuse to go on. Let me out.
165 volts	Ugh! Let me out! (*shouting*)
180 volts	Ugh! I can't stand the pain. Let me out of here! (*shouting*)
195 volts	Ugh! Let me out of here. Let me out of here. My heart's bothering me. Let me out of here! You have no right to keep me here! Let me out! Let me out of here! Let me out! Let me out of here! My heart's bothering me. Let me out! Let me out!
210 volts	Ugh!! Experimenter! Get me out of here. I've had enough. I won't be in the experiment any more.
225 volts	Ugh!
240 volts	Ugh!
255 volts	Ugh! Get me *out* of here.
270 volts	(*Agonized scream.*) Let me out of here. Let me out of here.

	Let me out of here. Let me out. Do you hear? Let me out of here.
285 volts	(*Agonized scream.*)
300 volts	(*Agonized scream.*) I absolutely refuse to answer any more. Get me out of here. You can't hold me here. Get me out. Get me out of here.
315 volts	(*Intensely agonized scream.*) *I told you I refuse to answer.* I'm no longer part of this experiment.
330 volts	(*Intense and prolonged agonized scream.*) Let me out of here. Let me out of here. My heart's bothering me. Let me out, I tell you. (*Hysterically*) Let me out of here. Let me out of here. You have no right to hold me here. Let me out! Let me out! Let me out! Let me out of here! Let me out! Let me out!

لم تفضِ الأسباب مثل المختبر الأقل أناقة ولا ذكر حالة القلب إلى مزيد من العصيان.

استمر ستة وعشرون شخصًا من أصل (40 شخصًا) حتى النهاية في الحالة الحالية، مقارنةً بـ (25) من أصل (40) في حالة التعليقات الصوتية فهو مجرد اختلاف طفيف. وبالتالي يُظهر توزيع نقاط الانقطاع في الجدول (3) أنه قد لا يوجد شيء يمكن للضحية أن يقوله والذي من شأنه أن يُؤدي للعصيان بشكل كامل؛ لأن أفعال المعلم لا يتحكم فيها. وفي المقابلة التي أجريت بعد التجربة، سُئل المشاركون في الدراسة، «ما هي أقصى صدمة ممكن أن تكون على استعداد لقبولها؟» إن البيانات المتوفرة لـ (39 شخصًا) في هذه الحالة وهي موضحة في الشكل (9) حيثُ قبل ثلاثة أشخاص صدمات أقوى من تلك التي تلقوها مسبقًا. فمن بين (26 شخصًا) مطيعًا، كان (7) منهم على استعداد لتجربة مستوى صدمة عند (450 فولت)، بينما رفض (19) شخصٍ منهم ذلك.

وفي معظم الحالات، يوجد تناقض واضح بين الصدمة التي يتعرض لها الشخص والمستوى الذي سيكون على استعداد لقبوله كعينة. وبالتالي، فإن النقاط الثلاثة المنخفضةِ في أقصى الجانب الأيمنِ من الرسم البياني تُمثل ثلاثة أشخاص وُجهت لهم صدمةً عند مستوى (450 فولت) لكنهم لم يكونوا مستعدين لتجربة أكثر من (450 فولت). حيثُ تم العثور على نتائج مماثلة وأكثر تطرفًا في جميع الظروف التجريبية عندما تم طرح هذا السؤال.

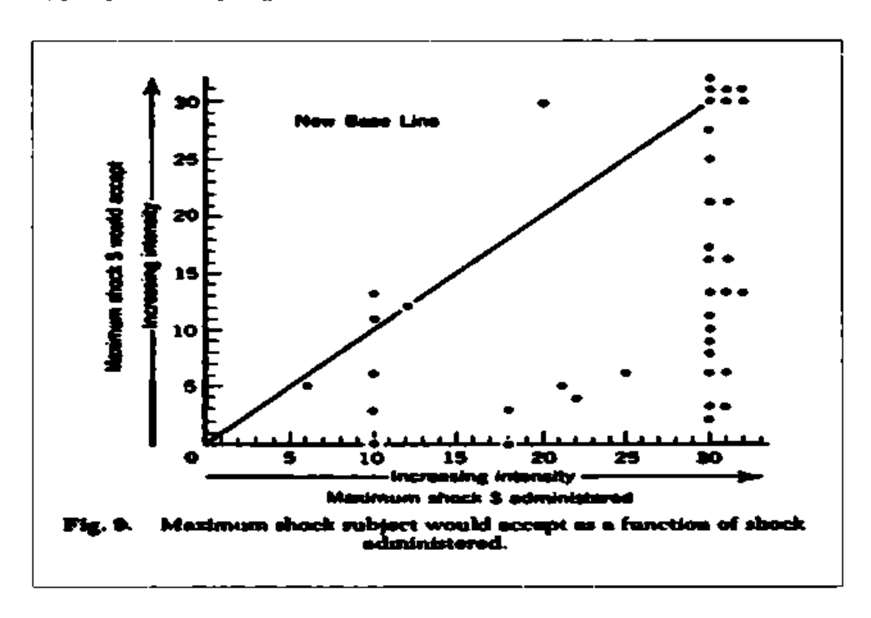


Fig. 9. Maximum shock subject would accept as a function of shock administered.

التجربة السادسة: تغيير طاقم الموظفين

هل من الممكن أن يستجيب المشاركون بشكل أساسي لشخصيات المجرب والضحية؟ ربما ظهر المجرب كشخص أكثر قوة من الضحية، وتحالف المتدرب مع شخصيةٍ أكثرَ إثارةً للإعجاب. كما أن المقارنةِ التجريبيةِ التالية جاءت عن غير قصد، لكنها يمكن أن تلقي بعض الضوء على هذه النقطة. ومن أجل تسريع إجراء التجربة، قمنا بتشكيل فريق ثانٍ، والذي بدورهِ يتألف من مجرب جديد وضحية جديدة. في الفريق الأول، كان المُختبِر رجلاً جافًا وصعب المظهر إلى حد ما، وعلى النقيض من ذلك، كانت الضحية لطيفةً وبسيطة مسالمة. كانت هذه الخصائص الشخصية أكثر أو أقل في الفريق الثاني. وكان المجرب الجديد لطيفًا وغير عدواني. وفي المقابل تم لعب دور الضحية البديلة من قبل رجلٍ ذي وجهٍ ناتئ العظام وفكّهٍويٍّ. إن النتائج الموضحة في الجدول (3)، تشير إلى أن تغيير الموظفين كان له تأثيرٌ ضئيلٌ على

مستوى الطاعة علاوةً على ذلك لم تكن الخصائص الشخصية للمختبر والضحية ذات أهمية قصوى.

التجربة السابعة: قرب السلطة

رأينا في تجارب التقريب أن العلاقة المكانية بين المجرب والضحية قد أثرت على مستوى الطاعة. ألن تؤدي علاقة المتدرب بالمجرب دورًا أيضًا؟

هناك أسباب تجعلك تشعر بأنها كانت موجهة في المقام الأول إلى المجرب بدلاً من الضحية. لقد جاء المتدربون إلى المختبر ليتناسبوا والهيكل الذي سيوفره المجرب - وليس الضحية- فكان فهمهم للسلوك بدرجة أقل من فهمهم لكشف هذا السلوك لعالم مختص، بحيث كانوا مستعدين لعرض أنفسهم على أنهم وسائل العلماء المطلوبة. وبدا أن معظم الأشخاص تنتابهم حالةٌ من القلق بشأن المظهر الذي كانوا يبدون عليه أمام المجرب، ويمكن للمرء أن يجادل في أن هذا الانشغال في بيئة جديدة وغريبة نسبيًا قد جعل الأشخاص غير حساسين إلى حد ما بالطبيعة الثلاثية للوضع الاجتماعي. وكانت المجموعات الفرعية في حالةٍ كبيرةٍ من القلق فيما يتعلق بالعرض الذي كانوا يقدمونه للمُجرب في حين أن التأثيرات من أجزاء أُخرى من المجال الاجتماعي لم تحظَ باهتمام كبير. وهذا التوجه القوي إلى المجرب من شأنه أن يفسر الحساسية النسبية للمتدرب تجاه الضحية وسيقودنا إلى الاعتقاد بأن التغييرات في العلاقة بين المتدرب والمُجرب ستكون لها عواقبها على الطاعة. وفي سلسلةٍ من التجارب الأُخرى، قمنا بتغيير القرب الجسدي للمُجرب ودرجة المراقبة التي مارسها. وفي التجربة (5)، جلس المجرب على بُعد بضعة أقدام من

المتدرب. وفي التجربة (7)، وبعد إعطاء التعليمات الأولية، غادر المجرب المختبر وأعطى أوامره عبر الهاتف بحيث انخفضت الطاعة بشكل حاد عندما تمت إزالة المجرب جسديًا من المختبر.

Table 3. Maximum Shocks Administered in Experiments 5–11.

Shock level	Verbal designation and voltage level	Experiment 5: New Base line (n = 40)	Experiment 6: Change of Personnel (n = 40)	Experiment 7: Experimenter Absent (n = 40)
	Slight Shock			
1	15			
2	30			
3	45			
4	60			
	Moderate Shock			
5	75			
6	90	1		1
7	105			1
8	120		2	
	Strong Shock			
9	135			1
10	150	6	4	7
11	165		1	3
12	180	1	3	1
	Very Strong Shock			
13	195		1	5
14	210		2	
15	225			1
16	240			
	Intense Shock			
17	255			
18	270	2	2	3
19	285			
20	300	1	1	3
	Extreme Intensity Shock			
21	315	1	2	
22	330	1	1	1
23	345			
24	360		1	2
	Danger: Severe Shock			
25	375	1		
26	390			
27	405			1
28	420			1
	XXX			
29	435			
30	450	26	20	9
	Mean maximum shock level	24.55	22.20	18.15
	Percentage obedient subjects	65.0%	50.0%	20.5%

Table 3 (contd.)

Shock level	Verbal designation and voltage level	Experiment 8: Women (n = 40)	Experiment 9: Enters with Prior Conditions (n = 40)	Experiment 10: Office Building, Bridgeport (n = 40)	Experiment 11: Subject Chooses Shock Level† (n = 40)
	Slight Shock			2*	
1	15				3
2	30				6
3	45				7
4	60				7
	Moderate Shock				
5	75				5
6	90				5
7	105			1	1
8	120				1
	Strong Shock				
9	135		1		3
10	150	4	7	7	1
11	165	1	2		
12	180	2	1	1	
	Very Strong Shock				
13	195		1	3	
14	210	1			
15	225				
16	240		1		
	Intense Shock				
17	255		1	1	
18	270	2	2		
19	285				
20	300	1	1	4	
	Extreme Intensity Shock				
21	315	2	3	1	
22	330	1		1	
23	345		1		
24	360		1		
	Danger: Severe Shock				
25	375		1		1
26	390		1		
27	405				
28	420				
	XXX				
29	435				
30	450	26	16	19	1
	Mean maximum shock level	24.73	21.40	20.95	5.50
	Percentage obedient subjects	65.0%	40.0%	47.5%	2.5%‡

* Two subjects in Bridgeport refused to administer even the lowest shock.
† Indicates the maximum shock chosen by the subject, no matter at what point it occurred in his sequence of choices.
‡ Percentage of subjects who used the last shock on the generator. Does not indicate obedience, as subjects chose their own level.

ففـي الحالـة الأولى كان عـدد الأشـخاص الممتثلـين للأوامـر (26) شـخصًا وهو ثلاثة أضعافِ ما كان عليـه في الحالة الثانية حيثُ بلغ العدد (9) أشـخاص حـين قام المجرب بتوجيـه أوامرهِ عِبر الهاتـف. بدايةً ظهر المتدرب على أنهُ متمكنٌ من مقاومة المجرب بشـكل أفضل بكثير عندما لم يكن عليه مواجهته وجهًا لوجه.

وزيادةً على ذلك، في الفترة التي غاب فيها المجرب، لم يُظهر المشاركون أي شيءٍ مثيرٍ للاهتمام. وعلى الرغم من استمرار التجربة، فقد تعرّض العديد من الأشخاص لصدمات كهربائيةٍ أقل مما هو مطلوب ولم يعبروا عن انحرافهم عن الإجراء المُتبع. لكن في واقع الامر، ومن خلال المحادثات الهاتفية، أكدت بعض العناصر الفرعية على وجه التحديد للمجرب أنهم كانوا يرفعون مستوى الصدمة على ضوء التعليمات، بينما في الحقيقة فإنهم استخدموا وبشكل متكرر الصدمة الأقلَّ تأثيرًا والموجودة على اللوحة. هذا الشكل من السلوك يبدو مثيرًا للاهتمام بشكل خاص على الرغم من أن هؤلاء الأشخاص تصرفوا بطريقة قوّضت الأهداف المعلنة للتجربة بشكلٍ صريح، والسبب في ذلك يُعزى إلى أنهم وجدوا سهولة في التعامل مع الصراع بهذه الطريقة بدلاً من الاستعجال والتسرع برفض أوامر السلطة.

وبعد دراسة كل الظروف الأُخرى والتي كان فيها المجرب غائبًا خلال الجزء الأول من التجربة ظهر مرة أُخرى بعد وقت قصير من رفض المتدرب توجيه صدمات أعلى عندما أمره المجرب بذلك من خلال الهاتف. ففي كثير الأحيان تمكن المجرب من فرض المزيد من الطاعة عندما ظهر مرة أُخرى في المختبر.

أظهرت هذه السلسلة من التجارب أن الوجود المادي للسلطة كان قوة مهمة تساهم في طاعة الفرد أو التحدي. بحيث كانت طاعة الأوامر التعسفية تعتمد إلى حد ما على العلاقات القريبة بين السلطة والمتدرب، لذا فإن أي نظرية للطاعة يجب أن تأخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار».

التجربة الثامنة: النساء كمتدربات

في التجارب الموصوفة حتى الآن كان أغلب الأشخاص من الذكور البالغين كما تمت دراسة أربعين امرأة أيضًا على اعتبارها ذات أهمية نظرية خاصة بسبب مجموعتين عامتين من النتائج في علم النفس الاجتماعي. أولاً، في معظم اختبارات الامتثال، تكون النساء أكثر إنتاجية من الرجال (فاينبيرغ وايز، 1969). وبالتالي، ربما كان من المتوقع أن يظهروا مزيدًا من الطاعة. ومن ناحية أُخرى يُعتقد أن النساء أقل عدوانيةً وأكثرُ تعاطفًا إذا ما تمت مقارنتهنَّ بالرجال؛ وبالتالي فإن مقاومتهم لصدمة الضحية ستكون أعلى أيضًا. فمن حيث المبدأ، يجب أن يعمل العاملان في اتجاهين متعاكسين والنتائج موضحةً في الجدول (3) حيث كان مستوى الطاعة مطابقًا بشكلٍ تقريبي لأداء الرجال؛ «ومع ذلك، كان مستوى الصراع الذي عانت منه النساء أعلى بشكل عام من ذلك الذي مرَّ به الذكور».

كان هناك العديد من الأساليب الأنثوية على وجه التحديد في التعامل مع الصراع. ففي المقابلات التي أجريت بعد التجارب، ربطت النساء – أكثر بكثير من الرجال – تجربتهن بمشاكل تربية الأطفال.

تمت دراسة النساء فقط في دور المعلمين (المتدربين). وسيكون من المثير للاهتمام نقلهم إلى أدوار أُخرى كضحايا حيثُ يُعتقد أنهن سيولدن مزيدًا من العصيان لأن الأعراف الثقافية تكافح ضد إيذاء النساء بشكل أقوى من إيذاء الرجال. (وبشكلٍ مماثل، إذا تم وضع طفل في دور الضحية، فإن عدم الطاعة سيكون أكبر بكثير).

سيكون من المثير للاهتمام بشكل خاص وضع النساء في موقع السلطة فمن غير الواضح هنا كيف سيستجيب لهنّ الذكور والنساء الأخريات. وهذا ممكن أن يُعزى إلى أن خبرة النساء في المناصب الإدارية أقل؛ ومن ناحيةٍ أُخرى، قد يرغب العديد من الرجال في إظهار قوتهم أمام امرأة مجربة وهذا يتم من خلال تنفيذ أوامرها القاسية دون أي انفعال أو تحسس. وسيتم وصف ثلاث حالات مختصة بالنساء سيردُ ذكرها تفصيليًا في الفصل السابع.

التجربة التاسعة: عقد الضحية المحدود

يعتمد بعض الأشخاص على فكرة العقد الاجتماعي الضمني في شرح طاعتهم. فلقد فكروا على النحو التالي: لقد تعاقدوا مع المجرب للتخلي عن بعض حريتهم في السعي وراء تقديم قيمة المعرفة بشكل عام، بالإضافة إلى ذلك، فقد أدركوا وجود نظام للقبول المزدوج: كما أبرمت الضحية عقدًا مع السلطة التجريبية ولم تكن حرةً في التخلي عن التزاماتها من جانب واحد. كما أن الضحية قد دخلت في نظام سلطة المجرب دون وضع أي شروط مسبقة حول كيفية معاملته. وفي هذه الحالة يجب عليه القبول بعواقب قراره بحرية مهما كانت التجربة غير سارة بالنسبة له؛ وكذلك يجب الوفاء بالالتزامات التعاقدية التي تم إبرامها مع المدربين.

حدثت هذه الحجة بتواتر كافٍ لتبرير اختبار تجريبي وكانت الفكرة هي تغيير طريقة دخول الضحية في التجربة بحيث لا يوافق ضمنيًا على الصدمة التي ضد إرادته.

فقد حصل تعديلٌ طفيفٌ في الإجراء والذي بدورهِ كان مطلوبًا لتحقيق ذلك. وتجدر الإشارة إلى أن كلا المتدربينِ المفترضينِ قد تم تبليغهما بطبيعة تجربة التعلم حتى قبل ربط المتعلم بالكرسي الكهربائي وحتى قبل توجيه الصدمة الأولى لهُ. بعد ذلك، وقّع الأشخاص على نموذج إعفاء عام، والذي ينص على ما يلي: «بالمشاركة في هذا البحث التجريبي بمحض إرادتي، أعفي جامعة (ييول) وموظفيها من أي مطالبات قانونية تنشأ عن مشاركتي».

وكما جرت العادة فقد تم التعامل مع هذا الامر كمسألة روتينية، ولكن في التجربة الحالية بعد إجراء الرسم وتحديد التجربة، يعترض المتعلم ويصرّح أنه بسبب حالة قلبه، يمكنه الموافقة على المشاركة في التجربة فقط بشرط إيقاف التجربة بناءً على طلبه. «سأوافق على المشاركة فيها، ولكن بشرط أن تسمح لي بالخروج عندما أقول ذلك؛ هذا هو الشرط الوحيد». ومن الواضح أن المجرب، وكذلك الشخص المتدرب، يسمعون هذا الشرط المسبق، والمجرب هو همهم الوحيد وبطريقة إيجابية إلى حد ما. فيقوم المتعلم بالتوقيع على التحرير ويتم ربطه بالكرسي الكهربائي. وبذلك يكون المتعلم قد حدد مسبقًا حدود تعاونه.

وتستمر التجربة ولكن عندما يعارض المتعلم عند قوة (150 فولت) يتجاهله المجرب ويوجه الشخص المتدرب إلى الاستمرار، كما فعل في جميع الظروف السابقة. وهكذا تم إدخال عنصر الخيانة وظلم البراءة. إن السؤال التجريبي هو ما إذا كان ذلك الشرط قد أحدث فرقًا ام لا؟ أم أن حجة «العقد» مجرد قضية فلسفية بعيدة عن القوى الحقيقية العاملة في الموقف؟

أثار حوالي ربع الأشخاص المتدربين على وجه التحديد نقطةَ أن الضحية قد ربطت شروطًا للمشاركة واستخدموا هذه النقطة كحجة للعصيان:

- المتدرب: «لقد قال إنه يريد إطلاق سراحه إذا كانت هناك أي مشكلة... لا يمكنني الاستماع إلى أي شيء آخر بغض النظر عما تقوله عن تلف الأنسجة». (عاصٍ في المستوى 18).

- المتدرب: «يجب أن نحترم رغباته فهو يريد أن يُسمح له بالخروج، وعلينا ذلك. قلت إنه يمكنه الخروج عندما يريد ذلك وليعلم أنني أريد السماح له بالخروج عندما يريد ذلك». (عاصٍ في المستوى 10)

- المتدرب: «لا أريد أن أكمل، لا يمكنني الاستمرار في هذا. إن إيذاء شخصٍ ما أمر غير مُرضٍ. فقد يكون هذا الرجل في خطر مميت بقدرٍ يشعرني بالقلق، إن موافقة الرجل كانت على أساس السماح له بالمغادرة وقد قام بالتوقيع لهذا السبب. أشعر بكل إنصاف له أنه لا ينبغي لنا أن نستمر، فقد وقع ذلك بهذه الطريقة...». (عاصٍ في المستوى 12)

ومع ذلك، فإن غالبية الأشخاص المتدربين لم يشيروا إلى العقد، على الرغم من وجود دليل جرّاء قلقهم المتزايد بشأن «الجوانب القانونية» للتجربة حيثُ أنهم كانوا على علم بها. تأمل ملاحظات المجرب التالي، وهو بائع يبلغ من العمر ستة وثلاثين عامًا:

المتدرب: (تُوجهُ له صدمةً مقدارها 195 فولت) لا، انتظر لبرُهةٍ فقط. ما هي المسؤولية المتضَمنة هنا؟ المسؤولية القانونية، نعم فأنا أتحدث عنها. لا أعتقد أن لديك الحق في إبقائه هناك إذا لم يكن يرغب بذلك وهو لا يريد الاستمرار.

- المجرب: «على الرغم من أن الصدمات قد تكون مؤلمة، إلا أنه لا يوجد تلف دائم في الأنسجة».

- المتدرب: «هذا ليس هو الرد المطلوب. إذا كان الرجل لا يريد أن يستمر، فهذا هو شأنه».

- المجرب: «من المُفترض بك أن تستمر في التجربة».

- المتدرب: «التجربة من وجهة نظر جامعة (ييول) ولكن ليس من الناحية القانونية أو بناءً على وجهة نظره. وفي هذه الحالة أنا ملزمٌ قانونيًا إذا حدث أي ضرر للشخص وأنت كذلك».

- المتدرب (عند توجيه صدمةٍ ذات مستوى 270 فولت): «لا، لا أريد المزيد من هذا: أنا أفهم ما تحاول القيام به، لكني لستُ متناسيًا لحقوقهِ في الوقت نفسه». (المتدرب يتحدث بشكل متقطع). «يجب ألا تقوم هذه التعليقات بحجب النتائج الكلية للتجربة والتي تظهر في الجدول (3) حيثُ تُظهر هذه النتائج أن عقيدة العقد الاجتماعي هي محُدِد ضعيف للسلوك. فقد استمر (16) من أصل (40) شخصًا في طاعة المجرب حتى نهاية اللوحة، متجاهلين القيد التعاقدي الذي أرفقته الضحية كشرط على مشاركتها. وهذا ما يمكن مقارنته مع (20) شخصًا كانوا قد استمروا في الانصياع في حالة التحكم ذات الصلة، الشرط 6.

كانت هناك بعض الزيادة في العصيان، ولكن يمكن اعتباره تباينًا بالصدفة. فقد كان الأشخاص على علمٍ بالظلم الذي تتعرض له الضحية، لكنهم سمحوا للمُجرب بمعالجة المشكلة على النحو الذي يراه مناسبًا.

التجربة العاشرة: السياق المؤسسي

في علـم النفـس الفيزيائـي وتعليـم الحيوانـات وفـروع علـم النفس الأُخـرى، فإن حقيقـة أن المقاييس يتم الحصول عليها في مؤسسـة واحدة بدلاً من أُخرى لا علاقة لها بتفسـير النتائج، وطالما أن التسـهيلات التقنية للقياس كافية ويتم تنفيذ العمليات باسـتخدام مهارة معينة لكن مع ذلك لا يمكـن افتراض أن هذا ينطبق على الدراسـة الحاليـة. فقد تعتمد فعالية أوامر المجرب على السياق المؤسسي الذي صدرت فيه. ومن ثم يتم إجراء التجارب الموصوفة حتى الآن في جامعة (ييول)، وهي مؤسسة ينظر إليها معظم الأشخاص باحترام وفي بعض الأحيان برهبة. ففي المقابلات التي أجريـت بعـد التجربة، لاحـظ العديد من المشـاركين أن مكان الدراسـة ورعايتها منحتهم الثقة في نزاهة الموظفين وكفاءتهم وأغراضهم الحميدة؛ والتي أشـار الكثيرون إلى أنهم لن يصدمـوا المتعلم لو تم إجراء التجارب في مكان آخر.



Site of Bridgeport experiments (building to left of Austin's).

Fig. 10

Bridgeport site (interior).



وقـد كان لابـد من النظر في مسـألة أخذ نظرة عن خلفيه السـلطة عند تفسـير النتائـج التي تم الحصول عليها حتـى الآن؛ علاوة على ذلك، فهو وثيق الصلة بأي نظرية ترتبط بالطاعة البشرية.

وعندمـا تضـع في اعتبارك مـدى ارتباط التزامنا بـضرورات الآخرين بمؤسسات ومواقع معينة في أنشطتنا اليومية تجد الأمر مقبولاً، فعلى سبيل المثـال قد نعرض أن نحلق لرجل بشـفرة حلاقة في صالون الحلاقة، لكننا لا نفعل ذلك في محل أحذية؛ في السـياق ذاته، نتبع عن طيب خاطر طلب الموظـف بالوقـوف على أقدامنا بانتظام في الـدور، لكننا نرفض الأمر ذاته في المـصرف. وفي مختبر إحدى الجامعات العظيمة، قد يخضع الأشـخاص لمجموعة من الأوامر التي يمكن مقاومتها إذا أعطيت في مكان آخر. وهنا يجب أن يتسـاءل المرء دائمًا عن علاقة الطاعة بإحساس الشخص بالسياق الذي يعمل فيه.

ولاستكشـاف المشـكلة، قمنا بنقـل أجهزتنا إلى مبنـى إداري في مدينة صناعية مجـاورة، (بريدجبورت)، وقمنا بتكرار الظـروف التجريبية دون أي رابط واضح للجامعة.

تمـت دعوة الأشـخاص في (بريدجبورت) للتجربة مـن خلال تعميم بريدي مشـابه لذلك المسـتخدم في دراسـة جامعة (ييول)، مع التغييرات المناسـبة في الـورق المحتـوي عـلى اسـم الجامعـة ومـا إلى ذلـك. وكما في الدراسـة السـابقة، تم دفع (50 ,4) دولارًا مقابل القدوم إلى المختبر ومن ثم اسـتخدمت نفس التوزيعات العمرية والوظيفية المستخدمة في جامعة (ييول) وحتى الموظفون كانوا متطابقين.

كان الغـرض مـن الانتقـال إلى (بريدجبـورت) هـو تحقيـق غـرض الانفصـال التام عن جامعة (ييول)، وفي هذا الصدد كنا قد حققنا النجاح بشـكلٍ تام، فكان الظاهر بشـكل سـطحي يُظهر أن الدراسـة قد أجريت بواسـطة Research Associates of Bridgeport، وهي منظمة ذات طابع غير معروف (وتم إعداد العنوان حصريًا للاستخدام في هذه الدراسة).

أجريـت التجـارب في جناح مكتب مـن ثلاث غـرف في مبنى تجاري متهدم يقع في منطقة التسـوق بوسط المدينة ولم يكن المختبر مؤثثًا بالكامل وعندما اسـتفسر الأشـخاص عن الانتماءات المهنية، تم إبلاغهم فقط أننا شركة خاصة تجري أبحاثًا لأغراض الصناعة.

كان بعض الأشـخاص شكوكين بشـأن دوافع مجرب (بريدجبورت) حيـث جاء رجل بسردٍ مكتوبٍ يحتوي على الأفكار التي واجهها في لوحة التحكم: «هل يجب أن أترك هذا الاختبار اللعين؟ ربما أُغمي عليه؟ إن ما يؤلمنـي هو عدم تأكدنا من هذه الصفقـة. فكيف نعرف أن هؤلاء الرجال شرعيـون؟ فلا أثـاث، والجدران عاريـة، ولا هاتف عندهـا كان بإمكاننا استدعاء الشرطة. لقد تعلمت الدرس القاسي وهو كيف أعرف أن السيد (ويليامز) [المجـرب] يقول الحقيقة؟ أتمنى لو كنت أعرف عدد الفولتات التي يمكن أن يأخذها الشخص قبل أن يغادر وهو مغميّ عليه» ...

وذكـر متدرب آخر: «لقد تسـاءلت لدى وصولي عن رأيي الشـخصي [بشأن المجيء]. كانت لدي شكوك حول شرعية العملية ونتائج المشاركة وشـعرت أنها طريقة غير رحيمـة لإجراء اختبارات الذاكـرة أو عمليات التعلم على البشر وهي بالتأكيد خطيرة دون وجود طبيب».

لم يكن هناك انخفاض ملحوظ في التوتر لمتدربي (بريدجبورت) حيث كان تقدير الأشخاص لمقدار الألم الذي شعرت به الضحية أعلى قليلاً، وإن لم يكن بشكل ملحوظ، من دراسة جامعة (ييول).

إن الفشل في تحقيق الطاعة كليًا في (بريدجبورت) هو مؤشرٌ إلى أن الامتثال الشديد الموجود في فروع (نيو هافن) كان وثيق الصلة بالسلطة الخلفية لجامعة (ييول). كما أن بقاء نسبة كبيرة من الأشخاص في حالة الطاعة التامة يحتّم التوصل إلى استنتاجات مختلفة جدًا.

كما اتضح فيما بعد، فإن مستوى الطاعة في (بريدجبورت) على الرغم من انخفاضه إلى حدٍ ما، لم يكن أقل بكثير من المستوى الذي تم الحصول عليه في جامعة (ييول). فقد كانت نسبة كبيرة من الأشخاص في (بريدجبورت) مطيعين تمامًا لأوامر المجرب (%48) من الأشخاص في (بريدجبورت) قدموا أقصى صدمة مقابل (%65) في الحالة المماثلة في جامعة (ييول) وهذا يوضحهُ الجدول (3).

كيف يتم تفسير هذه النتائج؟ من الممكن أنه إذا تم النظر إلى أوامر من النوع الذي قد يكون ضارًا أو مدمرًا فهنا يجب أن تحدث داخل نوع من الهيكل المؤسسي. لكن يتضح من الدراسة أنه ليس من الضروري أن تكون مؤسسة مرموقة أو متميزة. فقد أُجريت تجارب (بريدجبورت) من قبل شركة متواضعة تفتقر إلى أي أوراق اعتماد وتم إنشاء المختبر في مبنى إداري محترم مع عنوانه المدرج في دليل المبنى؛ وإلا لم يكن هناك دليل على الكفاءة. من الممكن أن تكون فئة المؤسسة التي يُحكم عليها وفقًا لوظيفتها المعلنة، بدلاً من موقعها النوعي ضمن تلك الفئة والتي تحظى

بالامتثال. ويقوم الأشخاص بإيداع الأموال في بنوك أنيقة ولكن أيضًا في بنوك ذات مظهر غير اعتيادي دون التفكير كثيرًا في الاختلافات في الأمان الذي تقدمه. وبالمثل، قد يعتبر موضوعنا أن أحد المختبرات مؤهل مقارنةً بالآخر طالما أنه مختبر علمي. لذا سيكون من المفيد متابعة التحقيق في سياقات تذهب إلى أبعد من دراسة (بريدجبورت) في رفض الدعم المؤسسي للمُجرب.

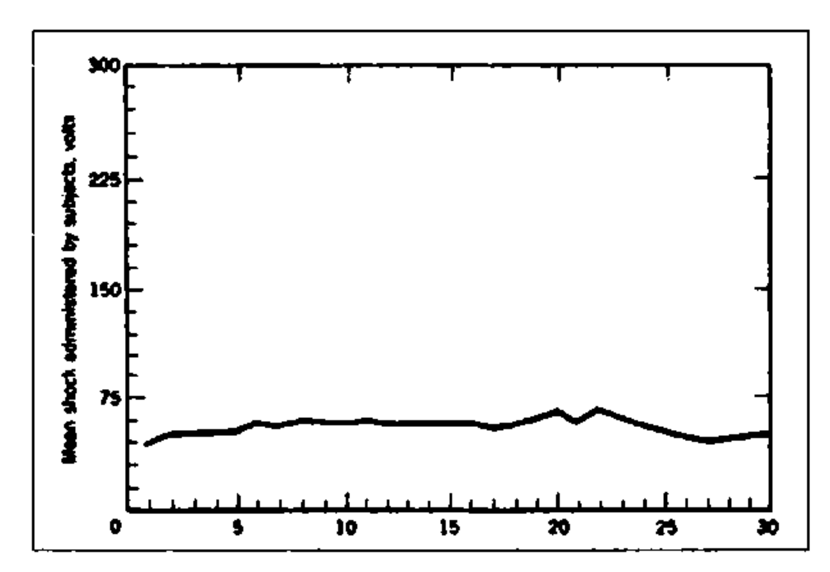
من الممكن أن تختفي الطاعة تمامًا بعد نقطة معينة ولكن لم يتم الوصول إلى هذه النقطة في مكتب (بريدجبورت): فقد قام نصف الأشخاص تقريبًا بإظهار الطاعة للمجرب وبشكل تام.

التجربة الحادية عشرة: حرية الضحية في اختيار مستوى الصدمة

في التجارب الموصوفة حتى الآن، كان تصرّف المتدرب يحدث بناءً على استجابته للأمر، على افتراض أن هذا هو السبب الفعال لعمله. لكن هذا الاستنتاج لا داعي له إلا بعد أن نجري تحكمًا تجريبيًا وحيويًا وذلك لكونه يمكن أن يكون غير ضروريٍّ وأنه ببساطة يتوافق مع ما سيفعله الفاعل بمفرده.

في حقيقة الأمر، يُظهر أحد التفسيرات النظرية للسلوك أن الرجال لديهم غرائز شديدة للعدوانية وهذه بدورها تسعى للتعبير عن نفسها باستمرار وهذه التجربة توفر تبريرًا مؤسسيًا لإطلاق هذه الدوافع. ووفقًا لهذا الرأي، إذا وُضع الشخص في موقف يتمتع فيه بسلطةٍ كاملةٍ على شخص آخر، قد يعاقبه بقدر ما يشاء، فكل ما هو سادي ووحشي في الإنسان يأتي في المقدمة.

يُنظر إلى الدافع لصدمة الضحية على أنه ينبع من الميول العدوانية القوية والتي هي جزء من الحياة التحفيزية للفرد، وهذه التجربة لكونها توفر الغطاء الشرعي الاجتماعي فهي ببساطة تفتح الباب أمام تعبيرهم. لِذلك يصبح من الضروري مقارنة أداء الأشخاص عندما يخضعون للأوامر، وعندما يُسمح لهم باختيار مستويات الصدمة التي يتعرضون لها.



شكل 11. الصدمة في كل تجربة عندما يكون الأفراد أحرار في اختيار المستويات.
(تشير التجربة الحاسمة إلى كل مناسبة يخطئ فيها المتعلم ويتعرض لصدمة أن هناك ثلاثين تجربة حاسمة في غضون ساعة مختبريةٍ واحدة).

كان الإجراء مطابقًا للإجراء المستخدم في التجربة (الخامسة) باستثناء أن المعلم أُخبر بأنه يتمتع بحرية اختيار أي مستوى صدمة في أي من التجارب. (بذل المجرب جهدًا للإشارة إلى أن المعلم يمكنه استخدام أعلى المستويات في مولد الصدمة الكهربائية، أو الأدنى أو أي مستوى بينهما أو حتى أي مجموعة من المستويات). استمر كل متدرب في ثلاثين

تجربـة حاسـمة. وتم تنسـيق احتجاجـات المتعلم مع مسـتويات الصدمة القياسـية، حيث جـاء اعتراضه الأول عند مسـتوى الصدمـة (5)، وأول احتجـاج عنيف له كان عند المسـتوى (10) حيثُ تظهـر نتائج التجربة في الجدول (3).

يوضح الشـكل (11) متوسـط الصدمات الكهربائية المسـتخدمة عبر ثلاثـين تجربـة حرجـة بمتوسـطٍ إجمـالي (6, 3)، ومـن الجديـر بالذكر أن الضحيـة لم يـشر إلى أي علامات عدم ارتياح على الإطلاق حتى مسـتوى الصدمة (5) فقد نفكر أيضًا في الحد الأقصى للصدمة التي تسـبب بها كل متدرب (حتى لو اسـتخدمها مرة واحدة فقـط وفي أي وقت أثناء أدائه). حيثُ حدد ثلاثة أشـخاص صدماتهم إلى أدنى مسـتوى على السبورة، ولم يتجاوز (28) شـخصًا منهم المؤشر الأول لعدم الراحة، ولم يتجاوز (38) شـخصًا آخرين النقطـة التي احتج فيها المتعلـم بشـدة (مسـتوى الصدمة 10). قـدم متدربان الاسـتثناء، بإدارة مسـتويات الصدمة (25 و30) لكن النتيجة الإجمالية كانت أن الغالبية العظمى من الأشـخاص قاموا بتوجيه أدنى الصدمات للضحية عندما تُرِكَ الاختيار لهم.

يجـب أن نضـع هذه النتيجة دائـمًا بعين الاعتبار عند تفسـير معنى هذه التجارب فمن غير الكافي أن نقول إن الموقف وفّر إطارًا كان مسموحًا فيه أن يؤذي شخصٌ ما شخصًا آخر. وظل هذا الإعداد على حاله في التجربة الحاليـة، وعـلى العمـوم لم يكـن الأشـخاص يميلـون إلى جعـل الضحية تعـاني. ويقدر معرفتنـا عن ماهيـة الطبيعة البشرية من خـلال التجارب، فقد استطعنا الكشـف عن كيفية تصرف الأشخاص تجاه الآخرين عندما

يكونـون موجودين هنا بمفردهم. فـكل ما يؤدي إلى صدمة الضحية على أعلى مسـتوى لا يمكن تفسـيره من خلال العدوان المتولد بشكل مستقل وإنـما يحتاج إلى تفسـيره من خلال تحول السـلوك الـذي يحدث من خلال الطاعة للأوامر.

7

سلطة مواجهة الأفراد الثانية

دعونا الآن نفكر في أداء العديد من المتدربين الذين شاركوا في الاختلافات التي تم وصفها للتو.

(فريد بروزي)، عاطل عن العمل (في التجربة الخامسة)

هذا المتدرب يبلغ من العمر حوالي (50) عامًا، يرتدي سترةً ولكن بدون ربطة عنق وهو ذو مظهرٍ حسن، وإن كان فاسدًا قليلاً، يستخدم في كلامه لغة الطبقة العاملة ويتعامل كزميل عادي إلى حد ما.

يبدأ التجربة بهدوء لكنه يزداد توترًا مع استمرارها فبعد إصابته بصدمةٍ عند مستوى (180 فولت)، قام بالدوران حول كرسيه هازًا رأسه، وخاطب المجرب بنبرة مضطربة:

-المتدرب: «لا أطيق ذلك، ولن أقتل ذلك الرجل هناك. هل تسمعه يصرخ؟».

-المُجرب: «كما أخبرتك من قبل، قد تكون الصدمات مؤلمة، لكن..»..

-المتدرب: «لكنه يصرخ. لا يمكنه تحمل ذلك. ماذا سيحدث له؟».

-المجرب (صوته صامد وهي مسألةٌ طبيعيةٌ): «تتطلب التجربة أن تستمر، أيها المعلم».

-المتدرب: «آآآآآآآآآآآآآآآآه».

-المجرب: «سواء أحب المتعلم ذلك أم لا، يجب أن نواصل، من خلال كل أزواج الكلمات».

-المتدرب: «أنا أرفض تحمل المسؤولية. إنه هناك يصرخ!».

-المجرب: «من الضروري للغاية أن تستمر، أيها المعلم».

-المتدرب (يشير إلى الأسئلة غير المستخدمة): «بقي الكثير هنا؛ أعني - صرخةٌ عاليةٌ من الاحتجاج - إذا أخطأ في فهمهم، فهناك الكثير منهم بعد، أعني من سيكون مسؤولاً إذا حدث أي شيء لِذلك الرجل؟».

-المجرب: «أنا مسؤول عن أي شيء يحدث له، أكمل من فضلك».

-المتدرب: «حسنًا». (قائمة الاستشارات بالكلمات)، «التالي هو (المشي البطيء، الشاحنة، الرقص، الموسيقى). أجب رجاءً». (يشير صوتٌ من الأزيز إلى أن المتعلم قد أشار إلى إجابته). «خطأ». (195) فولت. «الرقص».

-المتعلم (يصرخ): «دعني أخرج من هنا. قلبي يؤلمني!». (ينظر المتدرب إلى المجرب).

-المجرب: «تابع من فضلك».

-المتعلم (يصرخ): «دعني أخرج من هنا، ليس لك الحق في إبقائي هنا دعني أخرج من هنا، دعني أخرج فقلبي يؤلمني، دعني أخرج!». (الشخص يهز رأسه، يربّت على الطاولة بعصبية).

-المتدرب: «أترى؟ إنه يصرخ. أتسمع ذلك؟».

-المجرب: «لا أعرف. تتطلب التجربة..»..

-المتدرب (مقاطعًا): «أعلم أنها كذلك، سيدي، لكنني أعني! إنه لا يعرف ما الذي يدخل من أجله. إنه يصل إلى مستوى (195) فولت!». (تستمر التجربة، وصولاً إلى (210) فولت، (225) فولت، (240) فولت، (255) فولت، (270) فولت، وعند هذه النقطة، مع كامل الارتياح يطرح ما عند المتدرب من أسئلة أزواج الكلمات).

-المجرب: «سيتعين عليك العودة إلى بداية تلك الصفحة وتعيد تصفّحها مرة أُخرى حتى يتعلمها جميعًا بشكل صحيح».

-المتدرب: «عذرًا. لن أقتل ذلك الرجل. تقصد أن علي الاستمرار في العمل؟ لا سيدي. إنه يصرخ هناك. لن أعطيه (450) فولت».

-المجرب: «إن التجربة تتطلب منك الاستمرار».

-المتدرب: «أعلم أنه كذلك، لكن ذلك الرجل يتأرجح هناك، سيدي».

-المجرب (بنبرة الصوت الجدية الحازمة نفسها): «وكما قلت من قبل، على الرغم من أن الصدمات قد تكون مؤلمة...».

-المتدرب (مقاطعًا له): «أوووووووووو. إنه يصرخ هناك».

-المجرب: «ابدأ بـ(أزرق) من فضلك أعلى الصفحة. تابع من فضلك أيها المعلم. فقط استمر».

-المتدرب (مركزًا بدقةٍ على قائمة الكلمات التي أمامه، كما لو كان لتجاهل كل شيء آخر): «صبي أزرق، فتاة، عشب، قبعة». (تشير المشاركة إلى الإجابة) «صحيح». يتابع: «ليل، نهار، سماء، وظيفة، كرسي».

«خطأ». الجواب هو «اليوم». (285) فولت.

-المتعلم: «أوه اوه اوه اوه اوه اوه!».

المجرب: «تابع من فضلك».

-المتدرب: «(رجل سمين، سيدة، حوض، رقبة) أجب من فضلك». (صوت الرنة) «خطأ، الجواب هو (عنق)». (300) فولت.

-المتعلم: «أوه. أنا أرفض الرد بشكلٍ مُطلق». (صارخًا بشدةٍ الآن) «دعني أخرج من هنا. لا يمكنك إبقائي هنا. أخرجني، أخرجني من هنا».

-المجرب: «تابع. الكلمة التالية هي (أخضر) من فضلك».

-المتدرب: «عشب أخضر، قبعة، حبر، تفاح». (لا شيء يحدث. لا جواب ولا ضجيج. فقط صمت كئيب).

-المتدرب: «لا أعتقد أنه سيجيب».

-المجرب: «إذا لم يجب المتعلم في وقت معقول، حوالي أربع أو خمس ثوان، فاعتبر الإجابة خاطئة. واتّبع نفس الإجراءات التي كنت تقوم

بهـا للإجابـات الخاطئة. قل (خطأ) أخبرهُ بعدد الفولتـات، عاقبه، اقرأ له الإجابة الصحيحة. أكمل من فضلك».

-المتدرب: «عشـب أخضر، قبعـة، حبر، تفاح. أجب رجـاءً». (مزيد من الصمت. المتدرب جالسٌ هناك فقط).

-المجرب: «تابع الإجراء من فضلك يا معلم».

-المتدرب: «(315) فولت. الجواب هو (الحبر)».

-المتعلم: «أوه. أووه».

-المتدرب (مرتاح لسماع الرد): «الشخص التالي».

-المتعلم: «أنا أرفض الإجابة قطعيًا».

-المتدرب: «ستصاب بصدمة إذا لم ترد». (تستمر التجربة مع المتعلم الـذي يرفـض الإجابـة، وأخيرًا، يفشـل حتـى في النخر أو التـأوه. وعند مستوى (375) فولت يقف المتدرب).

-المتدرب: «أعتقد أن شيئًا ما حدث لِذلك الزميل هناك. فليس هناك إجابة لأنه كان يصرخ بجهد أقل. ألا يمكنك الوصول ومعرفة ما إذا كان على ما يرام، من فضلك؟».

-المجـرب (بنفـس الهدوء): «ليس بمجرد أن نبـدأ. من فضلك أكمل يا معلم».

-المتـدرب (يجلس، متنهدًا بعمق): «يوم بارد، ظل، ماء، طلاء. أجب من فضلك. هل أنت بخير هناك؟ هل أنت بخير؟».

-المجـرب: «من فضلك تابع يا معلم. أكمـل من فضلك». (المتدرب دافعًا الرافعة).

المتـدرب (يـدور في كرسـيه): «شيء ما حـدث لِذلك الرجـل هناك». (يسـتديرُ للخلـف) «التالي». «الدولار المنخفض، قـلادة، القمر، الطلاء» (يسـتدير مرة أُخرى). «شيء ما حدث لِذلـك الرجل هناك. من الأفضل أن تتحقق منه يا سيدي فإنه لن يردَّ أبدًا».

-المجرب: «تابع من فضلك».

-المتدرب: «هل تقبل كل المسؤولية؟».

-المجرب: «المسـؤولية تقع على عاتقي. صحيح. من فضلك استمر». (يعـود المتـدرب إلى قائمته، ويبدأ في المرور عـبر الكلمات بأسرع ما يمكن قراءتها، ويعمل حتى عند مستوى (450) فولت).

-المتدرب: «هذا كل شيء».

-المجـرب: «اسـتمر في اسـتخدام مفتـاح (450) فولـت لـكل إجابة خاطئة. أكمل من فضلك».

-المتدرب: «لكني لا أحصل على شيء!».

-المُجرب: «الرجاء المتابعة. الكلمة التالية هي (أبيض)».

-المتدرب: «ألا تعتقد أنه يجب عليك النظر إليه من فضلك؟».

-المُجرب: «ليس بعد أن بدأنا التجربة».

-المتدرب: «ولكن ماذا لو حدث شيء للرجل؟».

-المجرب: «إن التجربة تتطلب منك أن تستمر».

-المتدرب: «ألا تعني صحة الرجل شيئا؟».

-المجرب: «سواء أحب المتعلم ذلك أم لا...».

-المتدرب: «ماذا لو مات هناك؟». (إيماءاتٍ باتجاه الغرفة ذات الكرسي الكهربائي) «أعني، أخبرني أنه لا يتحمل الصدمة، سيدي. لا أقصد أن أكون وقحًا، لكن أعتقد أنه يجب عليك النظر إليه. كل ما عليك فعله هو النظر إليه. كل ما عليك فعله هو النظر في الباب. لا أحصل على إجابة ولا ضوضاء. ربما حدث شيء ما للرجل المحترم هناك، سيدي».

-المجرب: «يجب أن نستمر. استمر من فضلك».

-المتدرب: «تقصد الاستمرار في إعطائه ماذا؟ (450) فولت، ماذا لديه الآن؟».

-المُجرب: «هذا صحيح. استمر. الكلمة التالية هي أبيض».

-المتدرب (وبوتيرةٍ عصبيةٍ الآن): (سحابة بيضاء، حصان، صخرة، منزل) أجب من فضلك». الجواب هو «حصان». (450) فولت. (يوجه الصدمة) الكلمة التالية، «رسم، حقيبة، موسيقى، مهرج، فتاة» الجواب «رسم» (450) فولت. (صدمة أُخرى). الكلمة التالية هي «جملة قصيرة، فيلم»...».

-المجرب: «معذرةً أيها المعلم. سيتوجب علينا إيقاف التجربة!».

من الواضح أن أداء الشخص يتحدث عن نفسه بشكل أو بآخر، لكننا قد نلاحظ بعض النقاط. أولاً: على الرغم من اعتراضاته المستمرةِ

والمثيرة، فإنه يواصل إدارة الصدمات وفقًا لأوامر المجرب. وبالتالي فإن هنالك انفصال بين الكلمات والأفعال. ثانيًا: على أي حالٍ من الأحوال، لا يمكن القول إن هذا الرجل أراد توجيه الصدمات إلى المتعلم وإنما على العكس من ذلك، فقد كان عملاً مؤلمًا بالنسبة له، وقد حدث بسبب علاقته بالمختبر. ثالثًا: نلاحظ أن «المسؤولية» هي قضية مهمة للمتدرب، حيثُ لا يمكن لهُ أن يستمر بعد عدة ثوانٍ من التردد إلا عندما يقبل المجرب المسؤولية صراحةً.

وأخيرًا، إن اللغة المستخدمة من قبل المشارك هي لغةٌ لطيفة. فعلى الرغم من التوتر الشديد في الموقف، يتم الحفاظ على نبرة اللباقة والاحترام بحرص. كما أن اعتراضات المتدرب تبدو لنا على أنها ضعيفة وغير مناسبة في ضوء الأحداث التي ينغمس فيها. فهو يعتقد أنه يمارسُ عملية قتل لشخصٍ ما، ومع ذلك فلهجتهُ كانت أشبه بمن يحتسي الشاي على المائدة.

كارين دونتز، ممرضة (في التجربة 8)

كارين دونتز تصف نفسها بأنها ربة منزل تبلغ من العمر (40) عامًا، فقد عملت على مدار السنوات الست الماضية بدوام جزئي كممرضة مساعدة. زوجها يعمل سبّاكًا وهي كاثوليكيةٌ وأمها مولودةٌ في تشيكوسلوفاكيا (سابقًا). تتمتع السيدة دونتز بأسلوب غير عادي في التحدث ببطء، بالإضافة لنبرتها التي تعبّر عن تواضعها المستمر؛ ويبدو الأمر كما لو أن كل كلمة تحمل رسالة عاطفية: «أنا مجرد شخص عادي جدًا، فلا تتوقع مني الكثير». ومظهرها الجسماني يشبه شيرلي بوث في فيلم (Come Back, Little Sheba).

طوال التجربة كانت دونتز متوترةً للغاية، فعند مستوى (225) فولت، لجأت إلى المجرب، قائلةً بصوتٍ خافتٍ للغاية: «أنا مترددة في الضغط على هؤلاء».

وعندما أُمرت باتباع الإجراء، فإنها كانت تقوم بعملها دونما مزيدٍ من التعليقات. ولكن قبل استخدام صدمة (345) فولت، أشارت إلى علامة «خطر» على مولد الصدمات الكهربائية.

يجيب المجرب أنه على الرغم من أن الصدمات مؤلمة، إلا أنها لا تسبب تلفًا دائمًا للأنسجة. وتقبل تعليق المجرب قائلةً، «سأستمر بشرط أن الأمر ليس خطيرًا». تجلس على حافة مقعدها، لكن صوتها يظل عاديًا عند قراءة أزواج الكلمات. عندما لا يسمع صوت من المتعلم، تستعلم قائلةً: «هل أستمرُ حتى النهاية، سيدي؟ آمل ألا يكون هناك شيء خطر أو حدث خطأ معه».

تبدأ دونتز بالتمتمة مع نفسها بشكل غير مسموع وعندما أمرها المجرب بالاستمرار في استخدام مفتاح (450) فولت، قالت بنبرةٍ مثيرةٍ للقلق ولكنها متواضعةٌ في الوقت ذاته: «ماذا لو كان هناك شيء خاطئ مع الرجل، سيدي؟».

لكنها تواصل واجبها.

كانت استجاباتها بطيئةً جدًا في المقابلة، وحتى بعد أن عرفت أن المتعلم لم يتلقّ أي صدمات، فهي لا تزال تعتبر أن هذه هي إحدى تجارب تأثير العقوبة على التعلم. وأكدت أنها فعلت ما طلب منها المجرب أن تقومَ به والذي على ما يظهر أنها راضية عن امتثالها له. صرحت بأنها كانت متوترة

لأنهـا تعلم أن (210) فولت (وكذا) هو تيـار كهربائي منزلي «ويمكن من خلالِهِ أن يتعرض معظم الناس للصعق بالكهرباء» وتؤكد أن حالة التوتر عندهـا كان على أشـدها هنا، وهذا ممـا كانت عليه في المستشـفى لأنه «في المستشفى أنا أعرف ما هي حقوقي؛ وهنا لم أكن أعرف».

- المحاور: «هل فكرت في التوقف مرة واحدة؟».

-السـيدة دونتز (بنبرة غير تقليدية): «لا أعتقد أنني يجب أن أستمر في هذا الأمر. لكن المجرب قال: عليك الاستمرار».

- المحـاور: «هـل كان هنـاك أي شيء يمكن أن يقوله السـيد والاس (المتعلم) من شأنه أن يتسبب في إيقاف التجربة؟».

-السـيدة دونتـز: «لا أعتقد ذلك»، وتشـير السـيدة دونتـز إلى أنه يحق للممرضـات في المستشـفى التشـكيك في أوامـر الطبيب إذا بـدا أنها تضر بالمريض.

«إذا سـألت عن جرعة دواء، يمكنني أن أسـأل الطبيب ثلاث مرات: «هـل هذا هو الترتيـب الذي تريده؟ هـل هذا هو الترتيـب الذي تريده؟ وإذا اسـتمر في قول «نعم»، وأنا أعلم أن هذا هو فوق الجرعة المتوسـطة، قد ألفت انتباهه إلى حقيقة أنها أكثر من اللازم. ليس الأمر أنك أفضل مما هـو عليه، ولكن يمكنك أن تقول: «هـل كنت تريدها أن تتناول الكثير يا دكتور»، ثم تكرر ثم لا يزال لديك الحق في طرح السؤال على المشرف».

في التجربـة، «تسـاءلت» عـن مسـتويات الجهـد لكنها كانـت راضية تمامًـا عن الإجابـات التي قدمها المجرب. ولاحـظ أن ردها الأكثر تطرفًا

على سلطة الطبيب هو إحالة المسألة إلى مشرف. وعلاوةً على ذلك، من الواضح أن السيدة دونتز تصف بشكل روتيني إجراء قواعد المستشفى، بدلاً من وصف ميولها الشخصية.

- المحاور: «هل أتيحت لك الفرصة للقيام بذلك في المستشفى؟».

- السيدة دونتز: «نعم، كان لدي».

- المحاور: «غالبا؟».

- السيدة دونتز: «لا، نادرًا جدًا. في الواقع، كنت أعمل خلال السنوات الست الماضية وأعتقد أني شككتُ بالجرعةِ لمرةٍ واحدة».

- المحاور: «كيف كان صوت الصراخ بالنسبة لك؟ هل بدا حقيقيًا؟».

- السيدة دونتز: «أوه، نعم! كنت مهتمةً بالرجل هناك فعلاً بحيث أني كنتُ قلقةً من إصابته بنوبة قلبية. قال إن قلبه سيء. نعم، أعلم أن هذا احتمال».

السيدة دونتز هي شخصيةٌ متواضعةٌ، حسنة التصرف فهي ربة منزل مُرهقة فهي لا تجادل وإنما تؤدي واجباتها في المستشفى بشكل موثوق. وكذلك فإنها تتمتع بأسلوب رقيق يستفيد منه مرضاها والأطباء العاملون معها. كما ويُشار إلى أن علاقتها بالسلطة ليست مدعاةً للمشاكل والسبب لأنها اختارت العمل في بيئة رعاية في مستشفى يوجد فيها تطابق بين طبيعتها الحميدة والمطالب التي تفرضها عليها السلطة.

وفي ختام المقابلة، استجابت السيدة دونتز، واستفسرت، «هل لي أن أسألك، هل قام أحدٌ من الرجال واتبع مستوى (450) فولت؟».

يقول المحاور بأنهُ سيكون مهتمًا برأيها في هذا الشأن.

أجابت: «لا، لا أعتقد أن الرجال سوف يمتثلون».

الينور روزنبلوم، ربة منزل (في التجربة الثامنة)

تستمتع السيدة روزنبلوم بوصفِ حياتها: فقد تخرجت من جامعة (ويسكونسن) منذ أكثر من عشرين عامًا وقد حضر زوجها الذي هو موزع أفلام، واسمه (دارتموث). تعمل الينور متطوعة مع الأحداث الجانحين مرة واحدة في الأسبوع، وكانت نشطة في منظمة فتيات الكشافة المحلية وPTA.

إنها حيويةٌ وثرثارةٌ وتفرض نفسها بقوة، وقد ذكرت العديد من إنجازاتها الاجتماعية على إنها تجذب الناس كسحر لطيف رغم الثرثرة المفرطة التي تتحلى بها.

في بداية التجربة، زعمت أنها لا تعرف شيئًا عن الكهرباء وهي قلقة من صدمة الضحية. وأثناء تأدية مهمتها، تحاول الينور تقديم صورة عن الكفاءة والنعمة الاجتماعية ولكنها سرعان ما تنجرف في الصراع التجريبي. إنها تحافظ على نبرة صحيحة بشكل ظاهري، وواثقةٌ تقريبًا في قراءة أزواج الكلمات للمتعلم، والتي تتناقض مع التعليقات الضعيفة التي توجهها إلى المجرب. فهي تعرب عن قلقها المتزايد لأنها تتحرك صعودًا في مقياس الجهد. وعند مستوى (270) فولت، تشير إلى الإجابة الصحيحة للمتعلم من خلال التأكيد عليها بصوت عالٍ. وبينما كانت تستمر في قراءة أزواج الكلمات باستعراض القوة الخارجية، تمتمت بنبرة من العجز إلى المجرب: «هل يجب أن أستمر؟ أوه، أنا قلقة جدًا عليه. هل سنذهب إلى

هناك (مشيرةً إلى الطرف الأعلى لمولد الصدمات الكهربائية)؟ ألا يمكننا التوقف؟ فأنا أرتعش، أنا أرتعش. هل يجب أن أصعد هناك؟». إنها تستعيد رباطة جأشها بشكلٍ مؤقت لكنها لا تستطيع بعد ذلك تجنب نوبات الضيق الدورية. وفي حالة من التمتمة في نفسها: «أنا أرتجف هنا»، لكن تواصلها مع المتعلم يستمر بنفس النبرة الرسمية. يبدو الأمر كما لو كانتا امرأتين، إحداهما تقدم أداءً عامًا كفؤًا، والأُخرى تقوم بأداءٍ داخلي محزن لامرأة غير قادرة على الامتناع عن الكلام المقلق. انتقلت إلى نهاية اللوحة، ووجهت صدمة من المستوى (450) فولت ولثلاث مرات. وفي المقابلة، قالت إن الصدمات التي تعرضت لها المتعلمة كانت مؤلمة للغاية. وعندما سألها المجرب، «ما هي أعلى صدمة قد تكونين على استعداد لأخذها كعينة؟». ترد بسخط شديد: «(15) فولت. لا أعتقد أنه ضروري (15)، إذا كنت سأحصل على أي منها، ولن أريد ذلك حتى، لا أعتقد أنه ضروري».

- المحاور: «هل كنت متوترة؟».



السيدة الينور: «للغاية».

- المحاور: «هل تتذكرين متى كنت أكثر توترًا؟».

- السيدة الينور: «عندما بدأ بالصراخ: «دعيني أخرج من هنا». فكيف أعاقب مثل هذا الشخص؟ كنت أرتجف فعلاً، فلم أكن أعرف حتى ما كنت أقرأه. أنا لازلت أرتعش. أنا متوترة لأنني كنت أقوم بأذيته». كانت متوترة ليس بسبب إصابة الرجل ولكن لأنها كانت تؤدي العمل. وبالمثل، أثناء إدارتها للصدمة، تؤكد أن حزنها هو السبب الرئيسي لإنهاء التجربة حيثُ تتخلل ملاحظاتها صفة تتمحور حول الذات.

تقوم الينور عفويًا بالسرد التالي لعملها التطوعي، وتسرده بحماس شديد:

السيدة الينور: إني أعمل في مدرسة (فاريل) الثانوية مع المتسربين خصوصًا، فهُم جميعًا رجال يرتدون سترات جلدية، إنهم كأولادي. أحاول تعليمهم البقاء في المدرسة ومواصلة دراستهم... لكنني لا أفعل ذلك بالعقاب، فأنا أفعل ذلك باهتمام وحب. في الواقع، هم يعتبرون أنه امتياز في هذه المرحلة عندما يرافقونني. في حين أنهم في البداية كانوا يفعلون ذلك فقط للابتعاد عن المدرسة وتدخين سيجارة. لكنهم لم يفعلوا ذلك بعد الآن. لقد حصلت منهم على كل شيء من خلال الحب واللطف. ولكن ليس من خلال العقاب.

– المحاور: «ماذا تعلمينهم؟».

– السيدة الينور: «حسنًا، أولاً وقبل كل شيء، أعلمهم الأخلاق. هذا هو أول شيء كان علي فعله؛ أعلمهم احترام الناس واحترام كبار السن واحترام الفتيات في سنهم واحترام المجتمع. هذا هو أول شيء كان علي فعله قبل أن أعلمهم أي شيء آخر. ثم يمكنني تعليمهم أن يصنعوا شيئًا بأنفسهم بعد ذلك، وأن يلاحقوا ما يسمى بوسائل الترف».

إن الأهمية التي تتبعها باحترام المجتمع لا علاقة لها بأسلوبها الخاضع في التعامل مع المجرب فالسيدة الينور تتحدث والنظرة التقليدية تتخلل تفكيرها.

حوارها مليء بالمراجع النسائية: لقد حصلت على الكثير من خلال الحب ولدي ابنة رائعة، إنها في الخامسة عشرة من عمرها، فتاة مشرقة.

وكل ذلـك حصل من خلال الحـب وليس من خلال العقاب. لا يا إلهي! أسـوأ شيء يمكنـك القيام به هو العقـاب. والوقت الوحيـد الذي يكون العقاب فيه جيدًا هو مع الرضيع.

- المحاور: «ما رأيك في التجربة؟».

- السـيدة الينور: (لا تسمح للسؤال بتغيير سلسلة أفكارها السابقة): «لا أعتقد أنك ستحصل على أي شيء من العقاب؛ فقط مع الرضع حيث لا عقـل لهـم. فعندمـا كانت ابنتـي صغـيرة، عاقبتها على ثلاثة أشـياء. في واقع الأمر، تركتها تعاقب نفسها. سمحت لها بلمس موقد ساخن حيثُ أحرقت نفسها ولم تلمسها مرة أُخرى».

- المحـاور: «اسـمحي لي أن أخبرك قليلاً عن التجربـة. أولاً، لم يتلق السيد والاس أي صدمات».

السيدة الينور: «أنت تمزح! فهو لم يحصل على ما حصل عليه. (صرخت الينور) لا أصدق هذا. تقصد أن تقول إن كل هذا كان في ذهنه!».

- المجرب: «أوه لا، إنه موظف في جامعة (ييول)».

- السيدة الينور: «في كل مرة ضغطت فيها على الزر، كنت أموت. هل رأيتنـي أرتجف. فقد كنـت أموت هنا لأعتقد أنني كنـت أعالج صدمات هذا الرجل الفقير». (عندها يتم إحضار المتعلم وتلتفت إليه).

- السـيدة الينـور: «أنت ممثل يـا فتى ورائع! يا إلهي، مـا الذي فعله بي [المجرب]. أنا مرهقةٌ فعلاً فلم أرغب في الاسـتمرار في ذلك الامر وأنت لا تعـرف مـا مـررت به هنا. شـخص مثلي يؤذيـك! يا إلهـي! لم أكن أريد

أن أفعل ذلك لك، الرجاء أن تسامحني لأنني لا أستطيع تجاوز هذا. احمرَّ وجهي ولم يكن بمقدوري أن أؤذي ذبابة. أنا أعمل مع الأولاد لتعليمهم، محققةً نتائجًا رائعةً، دونما أي نوع من العقاب. لذا قلت لنفسي في البداية، لا أشعر أنك ستنال شيئًا من العقاب. ومع ذلك نلاحظ أنهُ عندما تذكرنا كيف سمحت لابنتها أن تلمس الموقد الساخن، فإنها تؤكد عدم رفضها القطعي لوجود العقوبة بحد ذاتها ولكن فقط ضد إلحاقها الفعلي به. إذا «حدث» فقط، فهذا مقبول. إنها تثق بالمتعلم، «في واقع الأمر، حاولت الضغط على المفتاح لأسفل بخفة شديدة. هل سمعتني أشدد على الكلمة؟ لقد تمنيتُ أن تسمعني».

– المحاور: «أليس هذا مشابهًا لعمل الممرضة وما تقومُ به، إذا طلب منها الطبيب إعطاء إبرة؟».

– السيدة الينور: «أنا أروع شخص في حالة الطوارئ. سأفعل كل ما يجب فعله بغض النظر عمن آذيت. ولن يهزني هذا الشيء أبدًا، مع ذلك سأفعلها بدون تفكير ولن أتردد حتى»، وهذا يوازي إلى حد ما سلوكها في المختبر.

– السيدة الينور: «بقيت أقول: لأي سبب أؤذي هذا الرجل المسكين؟»

– المحاور: «لماذا ذهبتِ؟».

– السيدة الينور: «إنها تجربة. وأنا هنا لسببٍ ما لِذلك كان علي أن أفعل ذلك وأنت قلت ذلك فلم أرغب في ذلك وأنا مهتمة جدًا بهذا... هذا المشروع بأكمله».

- المجرب: «ما رأيك؟».

- السيدة الينور: «حسنًا، أقول لك إن اختياري كامرأة تفعل هذا... فلقد اخترت بالتأكيد. في عملي التطوعي، لا يوجد الكثير من النساء اللائي سيفعلن ما أفعله... أنا غير عادية، فأنا رقيقةُ القلب، وحتى أنني لا أعرف كيف سأقف كامرأة تجاه النساء الأخريات؛ إن الأمر يبدو صعبًا نوعًا ما. لا أعتقد أنهم يهتمون كثيرًا».

«فلقد شعرت بالإغراء الشديد للتوقف والقول: «انظر، لن أفعل ذلك بعد الآن انا آسفة. لن أفعل ذلك. ظللت أقول ذلك لنفسي، آسفه، لن أفعل ذلك» ثم تملكني الصمت واعتقدت أنه ربما يكون في حالة صدمة، لأنه قال إنه مصاب ولديه حالة قلب، لكنني علمت أنك لن تدع أي شيء يحدث له ولِذلك واصلت الأمر، رغم أنني كنت أعاني من الجحيم... لا أعتقد أن الآخرين سيكونون بنفس مستوى التوتر الذي أعانيه... لا أعتقد أنهم سيهتمون كثيرًا بالطريقة التي يتعاملون بها مع أطفالهم، لا أعتقد أنهم يهتمون كثيرًا بالآخرين». وهي بهذا تفسر تعبيراتها عن التوتر على أنها علامة على الفضيلة فقط: لقد كانت متوترة لأنها كانت تهتم بالضحية من خلال إصرارها على الحديث عن نفسها. وهنا ينصت المجرب بتأنٍ.

- السيدة الينور: «أحيانًا أقول لنفسي، «لماذا لا تأخذين وظيفة كرئيسة لجمعية المرأة، وتحصلين على الإشادة، والشرف، والصحف، بدلاً من العمل مع الرجال الذين يرتدون سترات جلدية؟». أفعل ذلك مرة واحدة في الأسبوع. هذه هي قصة حياتي، لقد كنت أمًا كشافة لمدة خمس

سنوات. وانتهى الأمر بثلاثين فتاة في قواتي والجميع يتوسلون للانضمام إليها. لكنني لم أستطع لأن هناك حد، فأنا أشعر بارتياح كبير الآن. أنا واحدة من أجل العلم؛ هذا ما أردت دراسته. على أي حال. أحاول أن أجعل ابنتي تستمر بذلك بعدي. أنا سعيدةٌ جدًا لأنني فعلت ذلك؛ ترى كيف أنا مرتاحةٌ الآن؟

استمرت المقابلة حتى بدت السيدة الينور هادئة بما يكفي لتخرج من المختبر فهي شخص تفتقر حياته النفسية إلى التكامل. ولم تكن قادرة على إيجاد أغراض حياتية تتفق مع احتياجاتها للاحترام والنجاح. أهدافها وتفكيرها وعواطفها كانت جميعها مجزأة. وقامت بدورها التجريبي كمعلمة تظهر اقتناعًا خارجيًا كبيرًا، وفي الوقت نفسه عرضت جانبًا آخرًا من نفسها للمُجرب، وتتصرف بخنوع وخضوع. حتى أنه ليس من المستغرب فشلها في حشد الموارد النفسية اللازمة لتفسير تعاطفها مع المتعلم إلى فعل عصيان. وكانت مشاعرها وأهدافها وأفكارها متنوعة للغاية وغير متكاملة. من هنا تشير جميع الأدلة إلى أنها اعتقدت في وقت أدائها أن المتعلم قد صُدم، لكن ليس من الصعب على المرأة ذات الميول الهستيرية أن تعدل تفكيرها بطريقة تتفق مع الصورة الإيجابية للذات. وفي استبيان أعيد إلينا بعد بضعة أشهر، صرحت أنه خلال التجربة لم يكن «دماغها الناضج والمتعلم جيدًا» يعتقد أن المتعلم يتعرض لأي نوعٍ من الصدمات.

جريتشن براندت، تقنيه طبية (في التجربة الثامنة)

ان المتدربة الفنية الطبية، في هذه التجربة هي فتاةٌ جذابةٌ تبلغ من العمر واحدًا وثلاثين عامًا وتعمل في كلية الطب الجامعية. فقد هاجرت من

ألمانيا قبل خمس سنوات وتتحدث بلهجة ألمانية غليظة. وفي عدة مناسبات، عندما يشتكي المتعلم، تلجأ إلى المجرب بهدوء وتسأل: «هل أستمر؟». بعد ذلك تعود فورًا إلى مهمتها عندما يطلب منها المجرب القيام بذلك. وعند توجيه صدمة في مستوى (210) فولت، لجأت إلى المجرب، قائلةً بحزم، «حسنًا، أنا آسفة، لا أعتقد أننا يجب أن نستمر».

المجرب: «تتطلب التجربة أن تستمر حتى يتعلم كل أزواج الكلمات بشكل صحيح».

جريتشن: «إنه يعاني من مرض في القلب، أنا آسفة. لقد أخبرك بذلك مسبقًا».

المجرب: «قد تكون الصدمات مؤلمة لكنها ليست خطيرة».

جريتشن: «حسنًا، أنا آسفة، أعتقد أنه عندما تستمر الصدمات على هذا النحو، فإنها تكون خطيرة وتسأله عما إذا كان يريد الخروج لكونها إرادته الحرة».

المجرب: «من الضروري للغاية أن نواصل».

جريتشن: «أحب أن تسأله، فلقد جئنا إلى هنا بإرادتنا. إذا طُلِبَ مني الاستمرار، فسأمضي قدمًا. لقد أخبرك أنه يعاني من مرض في القلب. أنا آسفة. لا أريد أن أكون مسؤولة عن أي شيء يحدث له. لا أحب ذلك بالنسبة لي».

المجرب: «ليس لديك خيار آخر».

جريتشن: «أعتقد أننا هنا بمحض إرادتنا. لا أريد أن أكون مسؤولة إذا كان يعاني من مرض في القلب في حالة حدوث شيء لهُ. من فضلك تفهم هذا»، وترفض المواصلةِ وتنتهي التجربة.

كانت المرأة حازمةً طوال الوقت حيثُ تشير في المقابلة إلى أنها لم تكن متوترة أو مضطربة بأي حال من الأحوال، وهذا يتوافق مع مظهرها المُسيطَر عليه طوال الوقت. وتشعر أن الصدمة الأخيرة التي وجهتها للمتعلم كانت مؤلمة للغاية وتكرر أنها «لا تريد أن تكون مسؤولة عن أي ضرر يلحق به». تستمع إلى شرح المجرب بطريقة مهتمة معربةً عن دهشتها من أن المتعلم لم يُصب بالصدمة، وتشير إلى أنها لن تقبل سوى (45) فولت كصدمة قصوى. حيث يبدو أن سلوك المرأة الصريح واللطيف في التجربة، وقلة التوتر، والسيطرة الكاملة على أفعالها، تجعل العصيان عملاً بسيطًا وعقلانيًا. فسلوكها هو تجسيد حقيقي لما كنت أتخيله في البداية سيكون صحيحًا لجميع المتدربين تقريبًا. ومن المفارقات أن جريتشن براندت نشأت حتى سن المراهقة في (ألمانيا هتلر) وقضت فترة طويلة من شبابها معرضة للدعاية النازية. وعندما سُئلت عن التأثير المحتمل بحياتها، قالت ببطء «ربما رأينا الكثير من الألم».

باسكوال جينو، فاحص المياه (في التجربة السابعة)

باسكوال جينو هو مفتش في دائرة المياه يبلغ من العمر (43) عامًا، وُلد في الولايات المتحدة الأمريكية لأبوين إيطاليين. حيث شارك في التجربة التي قام فيها المجرب، بعد أن أعطى المتدربَ معلوماتٍ عن الضحية، خرج المجربُ من المختبر وترك رقم هاتفه. وبالتالي، سيُترك المتدرب بمفرده مع الضحية في المختبر، ولكن له الحرية في الاتصال بالمجرب إذا ظهرت أية مشاكل.

اتصل السيد جينو بهاتف المجرب لعدة مرات. فبعد تعرض الضحية لصدمة عند مستوى (150) فولت، اتصل قائلاً، «أستاذ، هذا الرجل

يشتكي. يريد أن يخرج. لا يريد أن يتعرض لها مرة أُخرى... لقد أعطيته (150) فولتًا فقط وقال:» هذا كل شيء!»

يوجه المجرب المتدرب عن طريق الهاتف للمتابعة، والسيد جينو يقوم بذلك.

يبقى وحيدًا في غرفة التجربة، وينفذ التعليمات بإخلاص؛ وأثناء ذلك، احتج الضحية بقوة على مستوى (300) فولت، وعندما رفض الضحية الإدلاء بالإجابات، اتصل السيد جينو عن طريق الهاتف مرة أُخرى وطلب منه المجرب أن يستمر، قائلاً إن عدم وجود إجابة يجب التعامل معها على أنها إجابة خاطئة. «هل تريدني أن أذهب مباشرة إلى نهاية اللوحة؟ اه اه، وعندما أصل إلى النهاية، ماذا أفعل؟» وبعد مستوى (330) فولت، لم يُسمع أي كلام آخر من الضحية، سواء كان احتجاجًا أو ألمًا. وحالما بدأ يساوره القلق، اتصل السيد جينو مرة أُخرى: «أستاذ، لا أسمع أي ضجيج هناك الآن على الإطلاق. إن الصدمة تصل إلى مستوى (330) فولت ولا أسمع أي أنين أو أي شيء وأنا قلق نوعًا ما بشأن هذا الشيء. هل تعتقد أن شيئًا ما حدث للرجل المحترم؟». يؤكد المجرب أنه على الرغم من أن الصدمات قد تكون مؤلمة نوعًا ما، إلا أنه لا يوجد تلف دائم في الأنسجة. ويعود المتدرب مرة أُخرى إلى مهمته، وحيدًا في غرفة المختبر وبعد أن يوجه مستوى (450) فولت، اتصل بالمجرب، مذكرًا إياه مرة أُخرى أن المتعلم لا يصدر أي صوت في الوقت المناسب، ويعود المجرب إلى المختبر مخبرًا السيد جينو أن المتعلم لم يصب بأذى.

أثناء المقابلة عندما سُئل عن درجة التوتر التي يشعر بها، أجاب: «كنت أكثر توتـرًا تجاه الرجل مما كنت عليه من نفسي... كنت متوتّرًا عليه فعلاً. كنت متوتّرًا لأنك لم تكن هنا فلو كنت هنا، لما كنت متوتّرًا على الإطلاق. أعنـي، إذا كان مقـدّرًا لذلـك الرجـل أن يغمـى عليـه وأنـا أعطيـه هـذه الصدمات أعتقد أنني سأشعر بمسؤولية بسبب إصابته بهذه الصدمات». يأخذ المتدرب المسؤولية بطريقة فلسفية عامة ولكنه يشعر فقط أن الموقف بدا أنه يركز المسؤولية عليه لأنه كان بمفرده مع المتعلم. ويتابع: «إذا كنت هنا ستقول: دعنا نتوقف عن ذلك، أو دعنا نستمر أو شيء من هذا القبيل. أنـت تعـرف أفضل مني. أنت الأسـتاذ. أمـا أنا فلا... ولكـن، من ناحية أُخرى يجب أن أقول إن آخر ما عرفته عنه كان حوالي (255) فولت وكان هـذا آخر ما اشـتكى منه». (ثم يعيد المتدرب شـكاوى المتعلم). بعد عدة أشـهر من أدائه في التجربة، شارك السيد جينو في مناقشة جماعية لتجربته. ففـي الماضي، اعتبر التجربة «رائعة». «لقد كنت منبهرًا بها وفي تلك الليلة ذهبـت إلى حفلة لقد كان لدي أختـان تعملان كممرضات، كما تعلمون، وقـد فتنوا واندهشـوا بذلك أيضًـا... أقول لك إنه شيء لن أنسـاه أبدًا ما دمت حيًا». يبدو أن التجربة، حتى بعد مرور أشهر، لم تثر فيه مسألة ما إذا كان يجـب عليه التفكير في عصيان التعليمات لمواصلة إعطاء الصدمات أم لا...»كان لدي حوالي ثمانية مسـتويات أُخرى لأجذبها وكان [المتعلم] في حالة هستيرية حقًا. لِذلك اتصلت بالأستاذ ثلاث مرات. وفي المرة الثالثة قال: «استـمر فقـط». فأعطيته الصدمة التالية. وبعد ذلك لم أسـمع إجابة أُخـرى منـه، ولا أنينًا أو أي شيء. قلـت: «يا إلهي، لقد مات؛ حسـنًا، ها نحن ذا سنقضي عليه. وواصلت الطريق حتى (450) فولت».

إن السيد جينو لا يعترض على تلقي الأوامر، على الرغم من أنه يشير إلى أنه كان سيشعر براحة أكبر لو كان المدرب موجودًا معه في المختبر. وعندما سُئل عما إذا كان قد تعرض للانزعاج بسبب توجيهه للصدمات، قال: «لا... لقد فهمت: حسنًا، هذه تجربة، وجامعة (يول) تعرف ما يحدث، وإذا كانوا يعتقدون أن الأمر على ما يرام، حسنًا، كل شيء معي هو على ما يرام. إنهم يعرفون أكثر مني... سأقوم بأي شيء يطلبون مني القيام به...». ثم يشرح قائلاً:

«كل هذا يعتمد على مبدأ الرجل في الحياة، وكيف نشأ والأهداف التي وضعها في الحياة. وكيف يريد أن يستمر في فعل هذه الأشياء؟ أعلم أنه عندما كنت في الخدمة، إذا قيل لي: «نحن ذاهبون للهجوم» فنحن نهاجم. وإذا قال الملازم: «سنذهب إلى ميدان الرماية، ستزحف على أمعائك»، فسوف تزحف على أمعائك. وإذا صادفت ثعبانًا، ورأيت الكثير من الزملاء يصادفونه، وقد طُلب من الرجال عدم النهوض، وقاموا وقتلوا، لِذلك، أعتقد أن الأمر كله يعتمد على الطريقة التي نشأ بها الرجل في خلفية حياته».

وفي قصته، على الرغم من أن الرؤوس النحاسية كانت تشكل خطرًا حقيقيًا، وتسبب في رد فعل غريزي للوقوف، فإن القيام بذلك ينتهك أمر الملازم بعناق الأرض. وفي النهاية هلك الذين عصوا الطاعة، حتى في مواجهة الظروف الصعبة، هي أكثر ضمان موثوق به للبقاء. وفي ختام المناقشة، لخص السيد جينو رد فعله على أدائه. «حسنًا، لقد اعتقدت بصدق أن الرجل مات حتى فتحنا الباب، وعندما رأيته، قلت:» عظيم، هذا

رائـع!». لكن لن يزعجني حتى العثور عليه ميتًا، فقد قمت بعمل رائع». أفـاد أنـه لم ينزعج مـن التجربة في الأشـهر التي تلت ذلك مبـاشرة، لكنه كان مهتـمًا بها. وعندما تلقى التقريـر النهائي، يتحدث عن إخبار زوجته، «أعتقـد أننـي تصرفت وأتصرف عـلى نحو مطيع، ونفـذتُ التعليمات كما أفعل دائمًا. لِذلك، قلت لزوجتي: «حسنًا، ها نحن وأعتقد أنني قد قمت بعمل جيد. فقالت: «افترض أن الرجل مات؟».

أجاب السيد جينو: «حتى لو مات. لقد قمت بعملي!».

8

تبادل الأدوار

حتى الآن، لاحظنا استجابة المتدرب لحالة تم تغييرها بطرق ميكانيكية تقريبًا ولكن تم الاحتفاظ ببنيتها الأساسية بشكلٍ سليم. فمن المؤكد أن تغيير المسافة بين المتدرب والضحية له آثار نفسية مهمة، ولكن من الضروري إجراء تحليل بعيد المدى للوضع، خصوصًا إذا أردنا فحص جذور هذا السلوك الاجتماعي. وسيتطلب مثل هذا العلاج ليس فقط حركة الضحية من هذا الجانب من أرضية المختبر، وإنما يجب أيضًا الانتقال من تحليل المكونات الأساسية، ثم السعي إلى إعادة تركيبها في كيمياء ظرفية متغيرة.

وضمن الإعداد التجريبي، نجد العناصر الثلاثة: الموضع، والحالة، والإجراء. حيث يشير الوضع إلى ما إذا كان الشخص يصف الصدمة أو يعالجها أو يتلقاها. وهذا يُعتبرُ قابلاً للفصل من الناحية المفاهيمية عن دور

المجرب أو المتدرب، كما سنرى. تشير الحالة التي يتم التعامل معها على أنها سمة ذات قيمتين في هذه الدراسة إلى ما إذا كان يتم تقديم الشخص كسلطة أو كرجل عادي. ويشير الإجراء إلى سلوك الشخص في كل من المواقف الثلاثة، وبشكل أكثر تحديدًا ما إذا كان يؤيد أو يعارض صدمة الضحية. في التجارب التي تم الإبلاغ عنها حتى الآن، ظلت جميع العلاقات بين هذه العناصر ثابتة. فالإجراء، على سبيل المثال، كان دائـمًا مرتبطًا بحالة معينة. وهكذا، فإن الشخص الذي تلقى الصدمة كان دائمًا رجلاً عاديًا (على عكس السلطة)، وكان عمله دائمًا هو الاحتجاج على الصدمة.

فطالما يتم الاحتفاظ بالعلاقات الثابتة بين الموقف والعمل والمكانة، لا يمكننا الإجابة عن بعض الأسئلة الأساسية. وعلى سبيل المثال، هل يستجيب المتدرب بشكل أساسي لمحتوى الأمر لإحداث صدمة أم لوضع الشخص الذي أصدره؟ هل ما يقال أو من يقوله هو الذي يحدد أفعاله إلى حد كبير؟

	Person I	Person II	Person III
Position:	Person who orders the shock	Person at the control board	Person who receives the shock
Status:	Authority	Ordinary man	Ordinary man
Action:	Advocates administration of shock	Indeterminate	Opposes shock
Specific name	"Experimenter"	Teacher	Learner
Conceptual referent	Authority	Subject	Victim

Fig. 12. Role permutations.

التجربة الثانية عشرة: مطالبات المتعلم للصدمة الكهربائية

دعنا نبدأ بأوامر متعاكسة بين المجرب والضحية:

حتى الآن، أبلغ المجرب الشخص المعني بالاستمرار في مواجهة الصدمات، وكان المتعلم دائمًا ما يحتج. ففي الدور الأول، سيتم عكس هذا التغيير بحيث أن المتعلم هو الذي سيطالب بأن يتعرض للصدمة، والمجرب هو من سيمنعه من تلقيها.

تم إجراء هذا الاختلاف على النحو التالي: أطلق المتعلم صرخات الألم وهو مصدوم؛ ومع ذلك، وعلى الرغم من عدم ارتياحه، بدا أنه مستعد للمضي قدمًا. وبعد توجيه صدمة عند مستوى (150) فولت، دعا المجرب إلى وقف الدراسة، مشيرًا إلى أن ردود فعل المتعلم كانت شديدة بشكل غير عادي وأنه نظرًا لحالة قلبه، لا ينبغي إعطاؤه مزيدًا من الصدمات. ثم صرخ المتعلم بعد ذلك. أراد الاستمرار في التجربة، وأن صديقًا له كان قد أجرى هذه الدراسة مؤخرًا واستمر بها وأكملها وأنه سيكون إهانة لرجولته أن يتم إعفاؤه من التجربة. أجاب المجرب أنه على الرغم من أنه سيكون من المفيد استمرار الدراسة، إلا أنه في ضوء رد فعل المتعلم للألم، لن يتم تعريضهُ لمزيدٍ من الصدمات. وأصر المتعلم على المطالبة باستمرار التجربة، مؤكدًا أنه جاء إلى المختبر «للقيام بعمل ما» وأنه ينوي القيام بذلك مصرًا على أن يستمر المعلم في الإجراء. وهكذا واجه المتدرب متعلمًا طالب بالصدمة والمُجرب هو الذي منعه.

إن نتائج التجربة موضحة في الجدول (4) فلا يوجد متدرب واحد يمتثل لطلب المتعلم؛ فقد توقف كل متدرب عن توجيه الصدمات بناءً

على طلب المجرب. وكان الأشخاص على استعداد لصدمة المتعلم بناءً على طلب السلطة ولكن ليس بناءً على طلب المتعلم. وبهذا المعنى، فإنهم يعتبرون أن للمتعلم حقوقًا على نفسه أقل من حقوق السلطة عليه. عندها أصبح المتعلم مجرد جزء من نظام شامل تسيطر عليه السلطة. والمهم في الامر أن مصدر السلطة هو فقط الذي يتمتع بالأهمية الحاسمة. وفي التجربة الأساسية، عندما يطلب المجرب «165 فولت»، فإن معظم الأشخاص يفعلون ذلك على الرغم من احتجاج المتعلم. ولكن عندما يقول المتعلم نفسه: «165 فولت» لا يوجد فرد واحد مستعدٌ للقيام بذلك. وبالطبع، ضمن الأغراض التي تحددها السلطة، فإنه ليس من المنطقي القيام بذلك، ومن يوضح فقط مدى هيمنة أغراض السلطة هو الموقف برمته. وهنا يريد المتعلم أن يمر بسلسلة الصدمات للحصول على الرضا الشخصي لإظهار رجولته، ولكن هذه الرغبة الشخصية غير متعلقةٍ تمامًا بالموقف الذي يتبنى فيه المتدرب وجهة نظر السلطة بالكامل. ولا يعتمد قرار صدم المتعلم على رغبات المتعلم أو الدوافع الحسنة أو العدائية للمتدرب، بل على درجة ارتباط المتدرب بنظام السلطة. حيث يشكل عكس الضرورات بين الضحية والمُجرب تغييرًا شديدًا للوضع القياسي، وينتج عنه تأثيرات واضحة، إن لم تكن مفاجئة تمامًا؛ ولكن تم تغيير الكثير مقارنة بالوضع المعتاد لتمكيننا من تحديد الأسباب الدقيقة للتأثيرات. وفي هذه الحالة يجب علينا فحص التغييرات الأكثر اعتدالاً في الموقف، بحيث يمكن تحديد مصدرها بدقة أكثر حتى لو كانت التأثيرات أقل شمولاً.

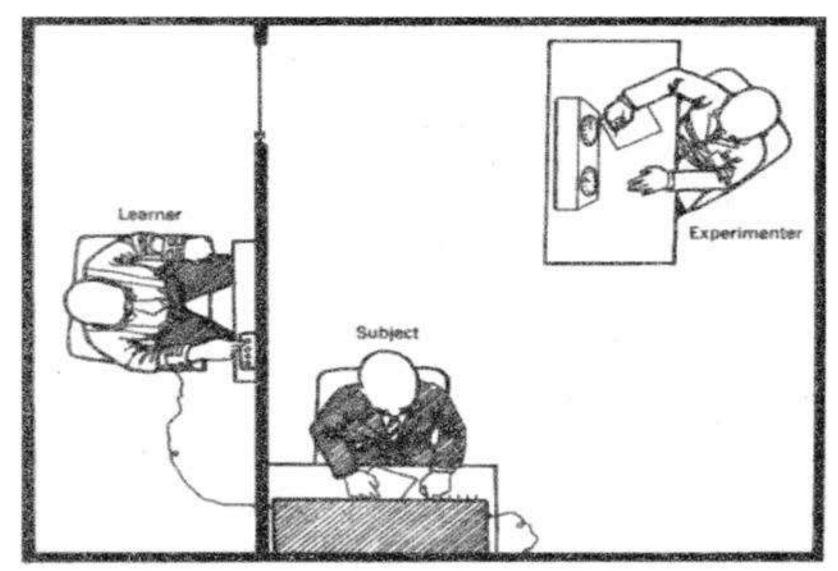


Fig. 13. Learner demands to be shocked.

التجربة 13: رجل مألوف يوجه الأوامر

يتعلق السؤال الأكثر أهمية بأساس قدرة المجرب على حث الشخص على صدمة الضحية. هل يرجع ذلك إلى محتوى الأمر في حد ذاته، أم أن فاعلية الأمر تنبع من المصدر الموثوق الذي صدرت منه؟ وكما أشرنا، فإن دور المجرب يمتلك كلاً من مكوّن الحالة وضرورة خاصة لصدمة الضحية. وهذا يمكنّنا الآن من إزاحة الحالة مع الاحتفاظ بالأمر. إن أبسط طريقة للقيام بذلك هي إزالة الأمر من المجرب وتخصيصه لشخص عادي.

فقد سمح الإجراء في هذا الاختلاف للرجل العادي الذي يبدو أنه متدرب، بطلب مستويات صدمة محددة. ويصل ثلاثة أشخاص (اثنان منهم من شركاء المجرب) إلى المختبر، ومن خلال رسم مزور يتم تعيين

دور الضحيـة للحليـف المعتـاد. ويتم إيلاء الشريك الثاني مهمة تسـجيل الأوقات من سـاعة من سـاعة موضوعةٍ في مكتـب المجرب. ومن خلال هـذا الرسـم يُكلـف المتـدرب بواجـب قـراءة أزواج الكلـمات وإدارة الصدمـات للمتعلم. وكما هو الحال يمر المجرب بالتعليمات المعتادة رابطًا الضحية بالكرسي الكهربائي، وموجهًا عينة من الصدمات. ومع ذلك، لم يشر المجرب في أي وقت من الأوقات إلى مسـتويات الصدمة التي سـيتم توجيههـا. وفي مكالمـة هاتفية مزورة تأخذ المجرب بعيـدًا عن المختبر وفي حالـةٍ من الارتباك، مع الحرص الكامل على إكمال التجربة يشـير المجرب قبل المغادرة إلى أنه سـيتم تسـجيل معلومات التعلم تلقائيًا وأنه يجب على الأشـخاص مواصلة التجربة حتى يتم تعلم جميع أزواج الكلمات بشـكل مثالي (مـرة أُخرى، دون ذكر مسـتويات الصدمة التي يتم اسـتخدامها). وهنـا أظهر الشريك نوعًـا من الحماس والذي صاحـب مغادرة المجرب، فقـد فكـر للتو في نظـام جيد لاسـتخدامه في إدارة الصدمـات وعلى وجه التحديـد، لزيادة مسـتوى الصدمة خطوة واحـدة في كل مرة يرتكب فيها المتعلم خطأً ما؛ مع إصراره المتكرر لاتباع هذا الإجراء.

Table 4. Maximum Shocks Administered in Role-Permutation Experiments

Shock level	Verbal designation and voltage level	Experiment 12: Learner Demands to Be Shocked (n = 20)	Experiment 13: Ordinary Man Gives Orders (n = 20)	Experiment 13a: Subject as Bystander (n = 16)
	Slight Shock			
1	15			
2	30			
3	45			
4	60			
	Moderate Shock			
5	75			
6	90			
7	105		1	
8	120			
	Strong Shock			
9	135			
10	150	20	7	3
11	165		1	1
12	180			
	Very Strong Shock			
13	195		3	
14	210			
15	225			
16	240			
	Intense Shock			
17	255		1	
18	270		1	
19	285			
20	300		1	
	Extreme Intensity Shock			
21	315			
22	330			
23	345		1	
24	360			
	Danger: Severe Shock			
25	375			
26	390			
27	405			
28	420			1
	XXX			
29	435			
30	450		4	11
	Mean maximum shock level	10.0	16.25	24.9
	Percentage administering maximum shock	0.0%	20.0%	68.75%*

* Refers to the percentage of subjects, of the 16 who had defied the common man, who did not interfere with the common man's administration of the maximum shock. See text.

Table 4 (contd.)

Shock level	Verbal designation and voltage level	Experiment 14: Authority as Victim (n = 20)	Experiment 15: Two Authorities: Contradictory Commands (n = 20)	Experiment 16: Two Authorities, One as Victim (n = 20)
	Slight Shock			
1	15			
2	30			
3	45			
4	60			
	Moderate Shock			
5	75			
6	90			
7	105			
8	120			
	Strong Shock			
9	135		1	
10	150	20	18	6
11	165		1	
12	180			
	Very Strong Shock			
13	195			
14	210			
15	225			
16	240			
	Intense Shock			
17	255			
18	270			
19	285			
20	300			1
	Extreme Intensity Shock			
21	315			
22	330			
23	345			
24	360			
	Danger: Severe Shock			
25	375			
26	390			
27	405			
28	420			
	XXX			
29	435			
30	450			13
	Mean maximum shock level	10.0	10.0	23.5
	Percentage administering maximum shocks	0.0%†	0.0%	65.0%

† See text, p. 99 for a meaning of this figure.

وهكـذا، فـإن المتـدرب يواجـه موقفًا عامًا تـم تحديده من قبل سـلطة تجريبية، ولكن بأوامر على مستويات محددة صادرة عن رجل عادي يفتقر إلى أي مكانة كسلطة.

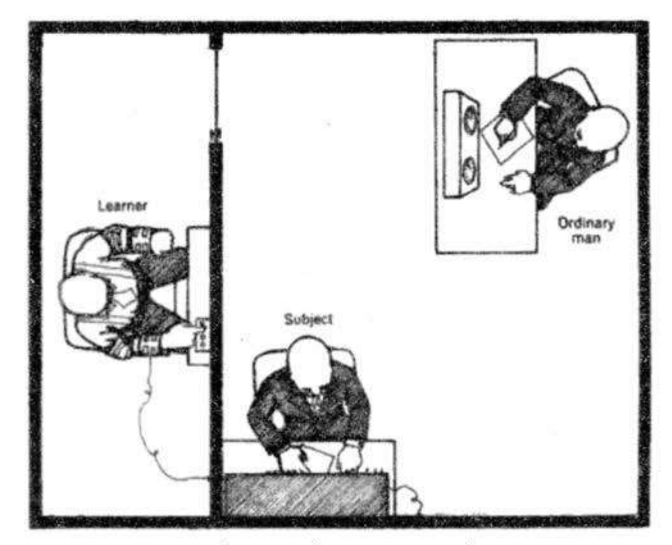


Fig. 14. An ordinary man gives orders.

وقبل الشروع في مناقشة النتائج، هناك حاجة إلى بعض الملاحظات حول الوضع العام.

أولاً، كان انطلاق هذه التجربة مشوبًا بتوترٍ أكثر من المعتاد حتى كان انسحاب المجرب من المختبر محرجًا إلى حدٍ ما والذي بدورهِ أربك مصداقية الموقف إلى حد ما.

ثانيًا، على الرغم من أن التجربة كانت تهدف إلى تجريد الأوامر من أي مصدر موثوق، فقد كان مستحيلاً القيام بذلك بطريقة فعالة تمامًا. كانت هناك آثار كثيرة للسلطة المشتقة حتى عندما كان المجرب غائبًا. وقد تم تحديد الوضع العام من قبل السلطة، وكذلك فكرة إدارة الصدمات حيثُ كان فقط تحديد مستويات الصدمة الدقيقة هو الذي تم حجزه للرجل العادي وكانت السلطة تحوم في الخلفية وخلقت الوضع الأساسي الذي وجد المشاركون أنفسهم فيه.

ومـع ذلـك، كان هنـاك انخفـاض حـاد في الامتثـال للأوامـر: (6) اشـخاص مـن بـين (20) شـخصًا انفصلوا عـن المتعلـم (الضحية)، على الرغم من إصراره على استمرار التجربة بل ظل مستمرًا في الحجج المقنعة من جانبه. ومن خلال استعراض الدرجات في الجدول (4) يتبين أن ثلث عدد الأشـخاص قاموا باتباع المجرب. وقبل مناقشـة هـذه النتائج، دعنا ننتقل إلى امتداد التجربة.

التجربة الثالثة عشرة (أ): المتدرب كالمرشد

عندمـا رفـض المتـدرب الموافقة عـلى تعليـمات (الضحية)، تـم تقديم وضـع جديـد، فالحليف الذي يبدو أنه يشـعر بالاشـمئزاز مـن الرفض، سـيؤكد أنه إذا كان الرجـل الآخر غير رافضٍ للقيام بذلك، فإنه سـيتولى شخصيًا إدارة الصدمات. ثم طلب من الشخص تسجيل فترات الصدمة وانتقـل إلى الجلوس أمـام مولد الصدمات الكهربائيـة. وهكذا، تم إعفاء الشـخص من توجيـه الصدمات للمتعلم شـخصيًا ولكنه حضرَ مشـهدًا مروّعًا تابع فيه المشـارك العـدواني خطته لزيادة الصدمـة خطوة بخطوة. ومـن بـين الأشـخاص السـتة عشر الذيـن تعرضوا لهـذا الموقـف، احتج جميعهم تقريبًا على تصرفات المشـارك؛ (5) منهم اتخذوا إجراءات جسدية ضـده أو ضـد مولـد الصدمـات الكهربائية لإنهـاء اسـتخدام الصدمات (حاول العديد منهم فصل المولد عن مصدره الكهربائي؛ وقام (4) بتقييد المشـارك جسـديًا) حيث رفع أحدهـم - وهو رجل كبـير - الضحية من كرسـيه مُلقيـا إياه في أحـد أركان المختبر، ومنعه مـن الحركة حتى كان قد وعـد بألا يتعـرض لصدمات أُخرى. وبغض النظر عن العناصر السـلبية

التي قد تبدو عند مواجهة السلطة، فقد ارتقى (5) منهم في الوضع الحالي بشكل بطولي إلى حماية الضحية. وقاموا بتهديد الرجل ولم يترددوا في انتقاد حكمه أو تأديبه شخصيًا؛ وهنا نرى نوعًا من التناقض في موقفهم بشكل حاد مع موضوعات اللباقة المحترمة التي تُعرض في تجارب أُخرى على الدوام. ولكي يتحقق العصيان من جانب الرعايا، قاموا بالحفاظ على علاقة مهذبة وهذا ما تظهرهُ نقاط الانقطاع في الجدول (4).

فيما يلي ملاحظات أحد المتدربين في اللحظة التي يقترح فيها المشارك تولي مسؤولية إدارة الصدمات بنفسه:

- الرجل العادي: «هل تريد مني أن أتولى المسؤولية؟».

- المتدرب: «أنت جالس! أنت لا تملك السلطة على أي شيء أفعله».
(يحاول المتدرب إخراج الضحية من غرفته، لكنه لا يستطيع ذلك لأن الباب مغلق. ويشير إلى أنه سيبحث عن المجرب. ويقترح الشريك مرة أُخرى تلقي المزيد من الصدمات).

- المتدرب: «لا، لا أكثر». (صرخ في وجه الشريك) «قلت لا! هذا يعني «لا!» لقد آذيته و...». (يريد الخروج). «لقد آذيته مرة أُخرى ومن الأفضل أن تضع نظارتك جانبًا».

ومن خلال رفضهم التوافق مع الرجل العادي، يعتقد معظم الأشخاص أنهم يفعلون ما يريدهم المجرب أن يفعلوه. وعندما طُلب منهم التعبير عن انطباعهم عن الرجل العادي، لاحظوا: «إنه من النوع الرقيق الذي يمكنه سحب المفاتيح الكهربائية طوال اليوم طالما أنه لا يسبب أذى له بما أنه ما زال على قيد الحياة».

وبشكلٍ متواصل كان يقول: «لا أريد أن أكون كالطفل حيث أصر على.. دعنا نواصل ونمضي». لقد نزل للتو إلى الأسفل وقال «أنا أملكُ نظامًا. اعتقدت أنه صعب للغاية». «اعتقدت أنه كان شديد القسوة فقد صدمه رغم أنه لم يعد يرد».

لكن واحدًا من الأربعة الذين ذهبوا إلى أبعد الحدود في ظل حث الرجل العادي على ذلك ذكر عنهُ الآتي: «لقد اعتقدت أنه معلم قوي ومتمكنٌ وبقوة، لم يقم بأي عبث. كان يفكر بمشروع، وكان لابد من تنفيذه بشكل صحيح، وهذا هو الموقف الذي أتخذه. اعتقدت أنه جديرٌ بالثناء عليه لاتخاذه هذا النوع من المواقف. وبقدر قدراته». لم يكن هناك شك حول كيفية التشغيل وبدا أنه يعمل بشكل جيد للغاية».

التجربة الرابعة عشرة: السلطة كضحية: قيادة المتعلم

نظرنا في حالة الشخص الذي يأمر بالصدمات الكهربائية. أما الآن فدعونا نفكر في وضع الشخص الذي يتلقى الصدمات. ويتبع هذا التغيير عادةً ما يكون منطقيًا إذا أردنا استنفاذ التعديلات الأكثر أهمية للموضع والحالة.

نحتاج أن نلاحظ تأثير معاملة السلطة كضحية - أي لإدخال حالة المجرب في موقف الضحية. ولكن من الذي يأمر بالصدمات، السلطة أم المتعلم؟ سوف نصف كلتا الحالتين، لكن دعونا نبدأ بالمتعلم الذي يأمر بصدمات ضد السلطة. ومن أجل خلق حالة يمكن أن تأتي فيها السلطة بشكل معقول لتلقي الصدمات بناءً على تعليمات من شخص عادي، تم استخدام الإجراء التالي حيث يصل شخصان إلى المختبر ويقومان برسم

أدوار المعلم والمتعلم. ومن خلال هذا الإجراء تبدأ التجربة كالمعتاد حتى النقطـة التي يبدأ فيها المجرب في وصف العقوبـة التي قد يتلقاها المتعلم. وفي هـذه المرحلـة، يعبر المتعلم عـن عدم رغبته في الاسـتمرار، مؤكدًا أنه خائف من الصدمات. ومع ذلك، يقول إنه إذا كان بإمكانه رؤية شخص آخر - أي المجرب، فعلى سـبيل المثال، يمـر بالتجربة تمامًا كما يجب عليه، فعندئذ سـيكون على اسـتعداد للمتابعة. فالمجرب الذي أشـار بالفعل إلى حاجته الشـديدة إلى متعلمين وصعوبة الحصول على متطوعين ليُصدموا، يوافق على العمل كمتعلم. لكنه ينص على أنه يفعل ذلك بشرط أن يعمل الآخر كمتعلم بعد ذلك مباشرة. ثم يتم ربط المجرب في الكرسي، ووضع معجـون الإلكـترود (أو القطـب الكهربائـي السـالب)، ومـا إلى ذلـك. وتسـتمر التجربة مع الشـخص الذي يقوم بإعطاء الصدمات إلى المجرب بينما يجلس الحليف في مكتب المجرب.

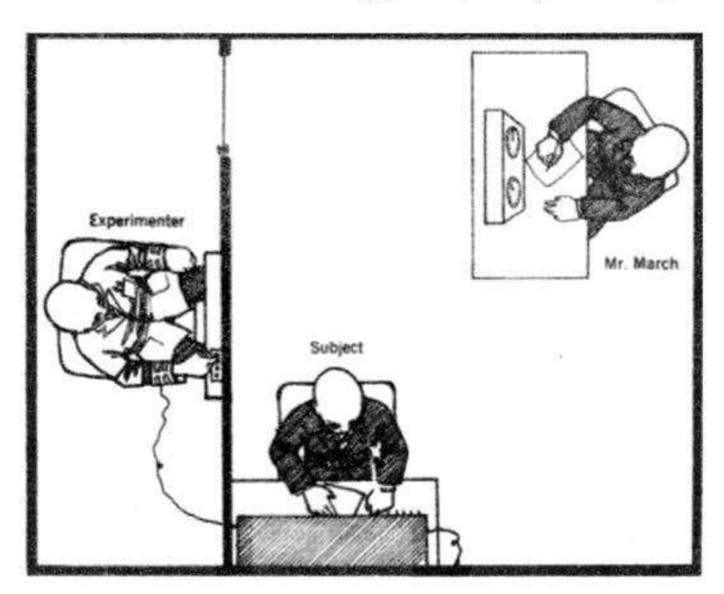


Fig. 15. Authority as victim: an ordinary man commanding.

وعند مستوى (150) فولت، يطلب المجرب السماح له بالخروج، لكن المتحالف يصر بقوة على الاستمرار على ضوء الاتفاق. وهكذا، يجد المتدرب نفسه مصدومًا لمختبِرٍ يطلب السماح له بالخروج، بينما يصر المتعلم على استمرار الصدمات، تمامًا كما هو الحال في حالته. وبالنظر إلى الطبيعة غير العادية إلى حد ما لهذه التجربة، يجب القول إن الإجراء نجح بشكل جيد، وكان معقولاً بشكل مدهش، إلى حد كبير بسبب مهارات التمثيل الممتازة للشركاء. وهنا نسخة مطابقةٌ للأصل من أحد الادعاءات:

لقد تقاسموا الحصص (الأدوار) للتو. فالمتدرب البسيط سيكون المعلم. وسيكون الحليف، السيد مارش، هو المتعلم.

- المجرب: «أول شيء يتعين علينا القيام به هو إعداد المتعلم حتى يتمكن من الحصول على نوع من العقوبة. من فضلك تعال معي إلى هذه الغرفة المجاورة».

- السيد مارش: «ماذا تقصد بالعقاب؟».

- المجرب: «حسنًا، لدينا هذه الآلة، وهي مولد الصدمات الكهربائية. والعقاب الذي نستخدمه هو صدمة كهربائية».

- السيد مارس: «سأصاب بصدمة كهربائية؟».

- المجرب: «إذا ارتكبت أخطاءً في الدرس فسوف يوجه لك المعلم صدمة».

- السيد مارس: «تقصد (15) فولت، (30) فولت؟».

- المجرب: «نعم».

- السيد مارش: «كلي أمل أن تبقى هنا». (مشيرًا إلى صدمات المستوى الأدنى).

- المجرب: «حسنًا، هذا يعتمد عليك يا سيد مارش. يعتمد ذلك على التقدم الذي تحرزه في الدرس».

- السيد مارش: «حسنًا، هل ستصل إلى (75) فولت؟».

- المُجرب: «ربما، نعم. هذا يعتمد على عدد الأخطاء».

- السيد مارش: «وهل ستُرتفع حتى مستوى (120)؟».

- المجرب: «نعم، هذا ممكن أيضًا...».

- السيد مارش: «برأيك ما هي أكثر صدمة قد أتلقاها؟».

- المجرب: «حسنًا، هذا يعتمد مرةً أُخرى على التقدم الذي تحققهُ في الدرس».

- السيد مارش: «فقط أقول إذا لم أقم بعمل جيد، كم يمكنني أن أتلقى؟».

- المجرب: «حسنًا، من المتصور أن المعلم سيضطر للذهاب إلى نهاية اللوحة، إذا كانت التجربة تتطلب ذلك لكن هذا يعتمد كليًا على التقدم الذي تحققهُ أنت...».

- السيد مارش: «أنا متردد قليلاً في تلقي الصدمات بهذه القوة. أنا على استعداد للقيام بذلك هنا (مشيرًا إلى صدمات أقل 15) فولت».

- المجرب: «بصراحة، واجهنا بعض الصعوبة في ترتيب عدد كافٍ من الأشخاص للتطوع في هذه التجربة بالذات بسبب الصدمة».

- السيد مارش: «أستطيع أن أرى السبب».

- المجرب: «هناك الكثير من الصعوبة لدرجة أنني كنت أميل لأن أصبح متعلمًا بنفسي في أحد هذه الأشياء. ولأكون صريحًا علينا أن نكمل هذا الشرط بحلول هذا المساء. إذا لم يتعاون الجميع معنا ونجري التجربة، فلن ننهي التجربة هذا المساء. لِذلك، سأكون ممتنًا حقًا لتعاونكم».

- السيد مارش: «إذا كان بإمكاني الحصول على بعض التأكيد. إذا مررتَ بذلك أولاً، على سبيل المثال، وأظهرتَ لي أنه يمكنك تحمل الصدمات، فسأفعل ذلك بالتأكيد. إذا أظهر أحد أنه يمكنه تحمل هذه الصدمات».

- المجرب: «ماذا عن هذا يا سيد مارش؟ إذا أجرينا تجربة واحدة معي بصفتي المتعلم، فهل ستكون على استعداد لخوض التجربة كمتعلم؟».

- السيد مارش: «هل ستمر بها بالطريقة التي يجب أن أستمر بها؟ الحصول على الصدمات وكل شيء؟».

- المجرب: «العمل كله».

- السيد مارش: «إذا رأيتك تفعل ذلك، ورأيتك تخرج على قدميك؛ سأفعل ذلك».

- المجرب: «حسنًا، لماذا لا نفعل ذلك؟ في الواقع، هذا سوف يساعدنا. ستكون تجربتان بدلاً من تجربة واحدة، وستساعدنا على

اكتمال التجربة بحلول هذه الليلة. لماذا لا نفعل ذلك بهذه الطريقة إذًا؟ سأخوض التجربة أولاً. وبمجرد أن أكمل التجربة، ستكون أنت المتعلم. حسنًا؟».

- السيد مارش: «نعم».

- المجرب: «حسنًا، حسنًا».

- السيد مارش: «إذا أديتها يمكنك الحصول عليها، نعم يمكنني الحصول عليها».

يعطي المجرب تعليمات إضافية للمتدرب الجالس في مولد الصدمات الكهربائية؛ ثم يقوم المتدرب بمساعدة المجرب من خلال ربطه بجهاز الكرسي الكهربائي، وتطبيق الأقطاب الكهربائية، وما إلى ذلك. هنا يبدأ النص من النقطة التي يطلب فيها المجرب السماح له بالخروج: (150 فولت).

- المجرب (يصرخ): «هذا يكفي أيها السادة».

- المتدرب: «أنا لا ألومك».

- السيد مارش: «أوه، لا، دعنا نكمل. أوه، لا هيا، سأضطر إلى المرور بكل شيء دعنا نستمر، دعنا نواصل».

- المتدرب: (للسيد مارش): «ماذا تقول؟».

- السيد مارش (مقاطعًا): «قال بأنهُ قد يضطر إلى توصيلها عند الحد (450) فولت. أريد أن أرى ما إذا كان يمكنه فعل ذلك».

- المتدرب: «مع ذلك لا يستطيع الرجل فعلها فلا معنى لفعل ذلك، أنت تعرف ما أعنيه».

مكتبة
t.me/soramnqraa

- السيد مارش: «أوه، لا».

- المتدرب (للسيد مارش): «سأدعك تنهي التجربة في الوقت الذي ترغب. كيف ترى هذا؟».

- السيد مارش: «لقد قلت أنت إنه يجب أن نتعلمها كاملاً».

- المتدرب: «حسنًا، سأتركهُ منها فان لم يكن راغبًا فلا طائل من جعلهُ يعاني».

- السيد مارش: «أرجوك! دعنا نلغيها تمامًا».

- المجرب: «حسنًا».

- المتدرب: «حسنًا». (يذهب المتدرب على الفور إلى حجرة حيث يتم ربط المجرب في الكرسي ويطلق سراحه ويواصل السيد مارش الإصرار على استمرار التجربة).

- السيد مارش: «ألم تقل لي ذلك».

- المجرب: «بغض النظر عما قلته، أنا ألغيه».

- المتدرب: (بحماسة، بينما يتم إطلاق المجرب): «إنني حقًا قد شعرت بهذه الصدمات بنفسي في كل مرة ضغطت فيها على هذا الزر. وكما هو معلومٌ لديكَ فإن العينة التي قدمتها لي كانت سيئة للغاية وكانت عند مستوى (75) واستمرت حتى المستوى (160)».

قُوبلت تعليمات السيد مارش بتوجيه صدمة المجرب بتجاهل تام، وكما يوضح الجدول (4). ففي أول احتجاج للمختبِر المصدوم، انقطع المتدرب عن توجيه الصدمات للمجرب، معبرًا عن رفضه حتى توجيه صدمة واحدة إلى أبعد من هذه النقطة. فلا يوجد اختلاف على الإطلاق في الاستجابة. علاوة على ذلك، قفز العديد من الأشخاص لمساعدة المجرب، وركضوا إلى الغرفة الأُخرى لتحريرِه من كرسي التجربة. وغالبًا ما أعرب الأشخاص عن تعاطفهم مع المجرب، لكنهم بدوا غير راضين عن السيد مارش الذي ظهر كما لو كان مجنونًا. شرح العديد من الأشخاص استجابتهم السريعة على أسس إنسانية، ولم يعترفوا بجانب السلطة في الموقف. وعلى ما يبدو، أنهُ كان شيئًا يبعثُ على السرور أن يرى الأشخاص الخاضعون للحقوق أن أفعالهم نابعة من اللطف الشخصي أكثر من الاعتراف بأنهم كانوا يتبعون أوامر رئيسهم. وعندما سُئل هؤلاء الأشخاص عما سيفعلون إذا أصيب رجل عادي بالصدمة، عبّروا عن نكرانهم الشديد لاستمرارهم إلى ما بعد النقطة التي يحتج فيها الضحية؛ ولا يقومون بتقييم وزن السلطة بشكل صحيح في قرارهم. ومما لا شك فيه أن العديد من الأفعال التي يقوم بها الأفراد في الحياة اليومية، والتي يبدو لهم أنها تنبع من الصفات الأخلاقية الداخلية، مدفوعة بالمثل بالسلطة. وأثناء قيامنا بفحص ثلاث تجارب يقوم فيها رجل عادي، وليس سلطة، بإرشاد شخص آخر لإدارة الصدمات. حيثُ أنهُ في التجربة الأولى، طالب المتعلم نفسه لإثبات رجولته، بمواصلة التجربة، بينما دعاها المجرب إلى التوقف. ولم يتماشى متدرب واحد مع طلب المتعلم أن يصاب بصدمة أُخرى.

أما في التجربة الثانية، وفي غياب المجرب حاول رجل عادي أن يصف مستويات صدمة متزايدة لمشارك آخر، على الرغم من احتجاجات الضحية حيث أن (16) من أصل (20) من الرعايا رفضوا اتباعه.

وفي التجربة الثالثة، أمر رجل عادي بصدمات ضد السلطة. وفي اللحظة التي دعت فيها السلطة إلى وقف الإجراء، توقف جميع الأشخاص على الفور، متجاهلين تمامًا أوامر الرجل العادي القاسية.

إن هذه الدراسات إن أكدت فهي تؤكد حقيقة أساسية وهي: أن العامل الحاسم هو الاستجابة للسلطة، وليس الاستجابة لترتيب معين لإدارة الصدمات. وأن الأوامر الصادرة من خارج السلطة تفقد كل قوتها. وحتى أولئك الذين يجادلون بأن الدوافع العدوانية أو الغرائز السادية تُطلق حينما يُؤمر بإيذاء شخص آخر يجب أن يأخذوا في الاعتبار رفض الأشخاص الصارم لمواصلة هذه التجارب كما وأنهُ ليس المهم ما يفعله الأشخاص بل لمن يفعلونه.

السلطة المزدوجة

كان تركيز الصراع حتى الآن بين شخص عادي وسلطة. لذا دعونا الآن نرى ما يحدث عندما تكون السلطة نفسها في صراع. في الحياة الواقعية، لدينا أحيانًا خيار واحد من بين السلطات، وبالتالي يجب أن ننظر إلى هذه الظاهرة في التجربة والتي من الممكن أنه عندما تدعو السلطات المختلفة في وقت واحد إلى خطوط عمل متعارضة، فإن قيم الشخص الخاصة سوف تسود وتحدد السلطة التي يتبعها. أو ربما تكون النتيجة النهائية هي تسوية بين السلطتين المتنازعتين. كذلك من المتصور أن يؤدي هذا الموقف

إلى صراع في نفس المتدرب، الأمر الذي يجب أن يقرر ليس فقط ما إذا كان سيصدم الضحية أم لا ولكن أيضًا السلطة التي يجب اتباعها. فقد نتعلم شيئًا إضافيًا عن الظروف التي تكون فيها الممارسة الفعالة للسلطة ممكنة، وعندما لا تكون كذلك أيضًا.

التجربة الخامسة عشرة: سلطتان: وأوامر متناقضة

في هذا الاختلاف والذي من خلاله وصل المتدرب إلى المختبر، واجه اثنين من المجربين، كل منهما يرتدي معطفًا رسميًا رماديًا ويتناوبان في قراءة التعليمات. كان المجربان متقاربين في العمر لحدٍ ما، لكن أحدهما (المجرب الأول I) أظهر مظهرًا أكثر ليونةً من الآخر (المجرب الثاني II). اتبع الضحية التعليمات المعتادة في هذه التجربة وكان مربوطًا في كرسيه كالمعتاد. وكل شيء سار كما في الحالة القياسية حيثُ جلس كل من المجربين خلف طاولة التحكم الخاصة بهم، وبدا كلاهما نشطًا في تدوين الردود. انتهى الاتفاق بينهما فجأةً عند مستوى (150) فولت. (من الجدير بالذكر أنه في هذه المرحلة، أطلق الضحية أول احتجاج قوي حقًا) ويعطي أحد المجربين الأمر المعتاد للمضي قدمًا في التجربة. ومع ذلك، يشير المجرب الثاني إلى العكس تمامًا موجهًا ملاحظاته إلى المتدرب.

إن الضغط الذي تمارسه السلطة الحاقدة لا يقل عن الضغط في الظروف الأُخرى. وهنا يحث المتدرب على الاستمرار، إشارةً منه إلى عدم وجود خيار آخر في ذلك. لكن قوة أمره تقوضها السلطة الثانية والتي تعلن العكس تمامًا. كان التأثير هنا أقل توترًا مما كنا نتوقعه والذي من خلاله ظهر المجربان كرئيسين لم يتوافقا على رغم من أنهما كانا مقتنعين

بنفس القدر بصحة مواقفهما. وبدلاً من الجدال مع بعضهما البعض، ركز المجربان ملاحظاتهما على المتدرب. وهكذا وجد الشخص نفسه في مواجهة أوامر متضاربة وموثوقة بنفس القدر. وفيما يلي نسخة من التبادل:

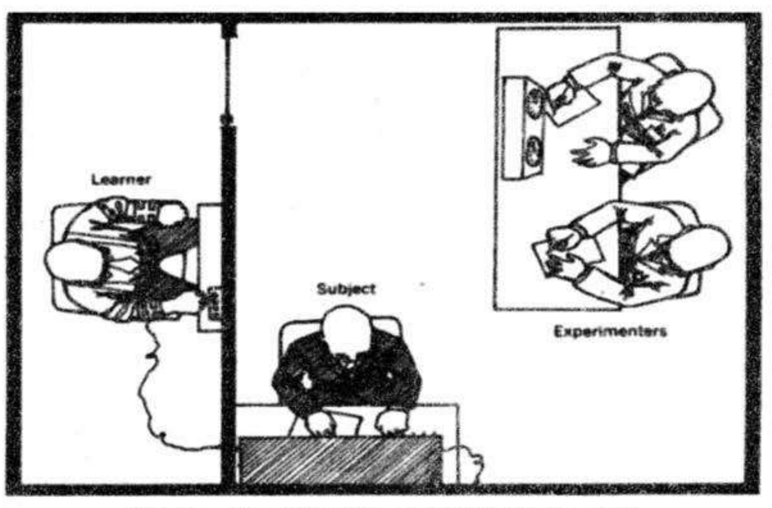


Fig. 16. Two authorities: contradictory commands.

- المجرب الأول: «علينا أن نتوقف».

- المُجرب الثاني: «تتطلب التجربة أن نواصل. من فضلك استمر يا معلم».

- المتدرب: «يا فتى».

- المجرب الأول: «المتعلم يتألم ولا يمكننا الاستمرار في التجربة».

- المجرب الثاني: «ليس لدينا خيار آخر أيها السادة. تتطلب التجربة أن نواصل. يرجى المواصلة».

- المجرب الأول: «توقف! لن نستمر في التجربة».

- المُجرب الثاني: «سيد ويليامز، تتطلب التجربة أن نواصل».

- المتدرب: «أتمنى أن تتخذا قراركما». (وقفة)

- المتدرب: «انتظر... انتظر. ما الذي أفعله؟ أحدكما يريدني ان أتوقف، والثاني يرغب أن أستمر. أي واحد أتبع؟».

ويواجه المتدرب وصفتين متنافرتين للعمل، واللتين يصدر كل منهما عن شخصية متسلطة. حيثُ تظهر نتيجة التجربة في الجدول (4) خاليةً من اللبس. فمن بين (20) شخصًا، انفصل أحدهم قبل الخلاف وتوقف (18) عند النقطة التي حدث فيها الخلاف بين السلطات لأول مرة. أما الآخر فقطع خطوة واحدة وراء هذه النقطة. ويتضح أن الخلاف بين السلطات أدى الى ظهور عجز تام على مستوى العمل. حيث لم «يستغل» أي واحد من الاشخاص التعليمات لكي يستمر؛ ولم تلتصق الدوافع العدوانية الفردية بأي حال بالعقوبة الرسمية التي قدمتها السلطة الحاقدة، وبدلاً من ذلك، توقف العمل في مساره. ومن الجدير بالملاحظة هنا، اه على النقيض من ذلك، لا يوجد شيء يمكن أن تفعله الضحية - فلا توسلات أو صراخ أو أي استجابة أُخرى للصدمات - قد كان ذو تأثيرٍ مفاجئ في سير العملية وهذا يُعزى إلى أن الإجراء ينحدر من أعلى للتسلسل الهرمي الاجتماعي إلى الأسفل؛ بمعنى أن المتدرب يستجيب لإشارات من مستوى أعلى من مستواه، لكنه غير مبال بمن هم دونه. وما إن «تتغير» الإشارة الصادرة من المستوى الأعلى يتم تدمير تماسك النظام الهرمي، إلى جانب فعاليته في تنظيم السلوك وظهور ظاهرة مثيرة للاهتمام في هذه التجربة. حاول بعض الأشخاص بشكل متكرر إعادة بناء التسلسل الهرمي وجعله ذو مغزى. وهنا أخذت جهودهم شكل

محاولةِ التأكد أي من المجربين هو السلطة الأعلى. وتكوّن هناك نوعٌ من عدم الراحة في عدم معرفة من هو الرئيس، وقد سعى الأشخاص أحيانًا لتحديد ذلك.

التجربة السادسة عشرة: سلطتان: واحدة كضحية

في الشكل الموصوف للتو، تم بذل جهدٍ لتحقيق المساواة بين السلطة الواضحة للمجرِّبين عن طريق اختيار ملابس متطابقة ومواضع جلوس متساوية وتقسيم التعليمات التجريبية بالتساوي على كل منهما. وبالتالي، ليس فقط في الهيئة ولكن أيضًا في موضع كل منهما داخل هيكل الموقف حيث تم جعله يبدو متطابقًا قدر الإمكان. ومع ذلك، هناك سؤال مثير للاهتمام أثارته هذه التجربة. هل هو مجرد التعيين الإلزامي للسلطة أم أن المساواة في الموقف بشكل ملموس هي التي تفسر التأثيرات التجريبية؟ بمعنى، هل تكمن السلطة فقط في تعيين الرتبة أم أنها تعتمد بدرجة كبيرة على الوضع الفعلي للفرد داخل هيكل العمل في الموقف؟ ضع في اعتبارك، على سبيل المثال، أن الملك قد يمتلك سلطة هائلة أثناء وجوده على عرشه، لكنه لا يكون في ذات الوقت قادرًا على فعل شيء عند وضعِهِ في السجن. كما أن أساس سلطته يكمن في جزء منه في عمله الفعلي كسلطة بالإضافة إلى كل ملحقاتها. علاوةً على ذلك، وبالنظر إلى حقيقة أن السلطات المتعددة المتصارعة لا يمكنها أن تشغل بشكل مشترك مكانًا مشابهًا في هيكل هرمي، فإن المزايا الظرفية التي تعود إلى واحدة أو أُخرى من السلطات المتنازعة قد تكون كافية لتحويل الولاء إليه. دعونا نترك هذا النقاش التخميني إلى حد ما وننتقل إلى دراسة تجريبية لهذه المسألة.

هذا الاختلاف مشابه في التصميم العام لتلك الحالة الموصوفة أعلاه، من حيث أن المتدرب يواجه اثنين من المجربين، على حد سواء في المظهر والسلطة الظاهرة. ومع ذلك، في البداية، بينما ينتظر المجربون والمتدرب ظهور المشارك الرابع، يتم تلقي مكالمة هاتفية في المختبر. يبدو أن المشارك الرابع قد ألغى موعده. وعبّر المجربون عن خيبة أملهم مشيرين إلى أن لديهم حاجة خاصة لإكمال تراكم البيانات في تلك الليلة. يقترح أحدهم أن المجرب قد يعمل كمتدرب، على الرغم من أنه بديل رديء، إلا أنه سيمكنهم على الأقل من تلبية مهمتهم التجريبية. يقوم المجربون بقلب عملة لتحديد أي منهم سيأخذ دور المتدرب. ثم يرسم الخاسر مع المتدرب ليحدد من سيكون المعلم والمتعلم. فالرسم المجهز يجعل المجرب متعلمًا ويتم ربطه بالكرسي. إنه يؤدي دور الضحية العادية. وهكذا، عند 150 فولت، يصرخ ويطالب بالخروج من التجربة. ومع ذلك، يصر المجرب الثاني على استمرار التجربة حيث يكون الاختلاف هنا مهمًا بالنسبة لتجربة السلطة المزدوجة السابقة: فلم تعد السلطتان اللتان تصدران أوامر متناقضة في مواقع متماثلة داخل بنية الوضع. وتم تعريف أحدهما على أنه الضحية والآخر تم تعريفه من خلال قلب عملة إلى حالة التبعية.

تظهر نتائج هذه التجربة في الجدول (4) حيث أن ما يحدث مذهل تمامًا: فالمجرِّب، المربوط بالكرسي الكهربائي لا يكون أفضل من الضحية التي لا تتمتع بسلطة على الإطلاق. فصحيح أن مصير جميع المتدربين تقريبًا كان إما بالانفصال عندما يطلب السماح له بالخروج أو تجاهله تمامًا. كما أن كل نتيجة باستثناء واحدة تقع في نمط الكل أو اللا شيء ولكنه في

المجمل لا يعامل بشكل أفضل من شخص عادي في نفس الموقف. وعلى ما يبدو فقدَ كل ما لديه من قوة كسلطة.

خذ بعين الاعتبار النتائج الثلاث التالية:

1. عندما أصدر رجل عادي أمرًا بصدمة المجرب، لم ينفذ أي شخص الأمر بعد الاحتجاج الأول للمختبِر (التجربة 14).

2. عندما أعطى اثنان من المجربين من نفس الوضع، وكلاهما جالسان في مكتب القيادة أوامر غير متوافقة لم يتم توجيه أي صدمات على الإطلاق (التجربة 15).

3. عندما أمر أحد المختبرين شخصًا ما بتوجيه الصدمات إلى زميله لم يكن لاعتراضات الزميل تأثير أكبر من تأثير احتجاجات الشخص العادي (التجربة 16). السؤال الأول هو: لماذا يفقد المجرب – الذي تم وضعه في دور الضحية – سلطته في هذه الحالة بينما لم يفعل في التجربة 15؟ المبدأ السائد هنا هو أن عمل الذات موجّه من قبل شخص ذي مكانة أعلى. وفي الوقت نفسه، هناك ضغوط لإيجاد خط عمل متماسك في هذه الحالة. ويصبح مثل هذا الخط واضحًا فقط عندما يكون هناك تسلسل هرمي واضح خالٍ من التناقضات والعناصر غير المتوافقة.

مقارنة مع التجربة الرابعة عشرة

في التجربة الرابعة عشرة عند الانقطاع عن الاحتجاج الأول للمُجرب، لاحظوا بأن الفعل يتحكم فيه الفرد الذي يمتلك مكانةً أعلى. وكانت جهود السيد (مارش) لتوجيه الصدمات على المجرب عبارةً عن

إخفـاق تـام. فبمجـرد أن طلب المجرب السماح له بالخروج، فعل جميع الأشخاص ذلك. ولم تشكل أوامر الإلغاء الصادرة عن السيد (مارش) بأي حال منافسة جادة. حيثُ كان يفتقر إلى المكانة التي يجب أخذها على محمل الجد وظهر كطفل يحاول قيادة الجيش بالقفز في حذاء الجنرال. حتمّا كان يتحكم في العمل شخص ذو سلطة أعلى.

مقارنة مع التجربة الخامسة عشرة:

في التجربة الخامسة عشرة، عندما أعطى اثنان من المجربين أوامر متناقضة من مكتب القيادة، تم إيقاف كل الإجراءات لأنه لم تكن هناك سلطة أعلى يمكن تمييزها بوضوح، وبالتالي لا توجد وسيلة لتحديد مسار العمل الذي يجب اتباعه. إنه جوهر نظام السلطة الذي يكون قابلاً للتطبيق بأن يأخذ الفرد أوامر من مصدر أعلى وينفذها تجاه شخصٍ محدد. وإن أدنى شرط لتشغيل هذا النظام هو أمر واضح ومتماسك. وعندما تكون هناك أوامر متناقضة، يكتشف المتدرب من هو الرئيس ويتصرف على ضوء ذلك. وعندما لا يكون هناك أساس لاتخاذ قرار بشأن هذه المسألة، لا يمكن التقدم في الإجراء وذلك لأن الأمر غير متماسك في مصدره. حيثُ يجب أن تكون دائرة السلطة خالية من مثل هذه التناقضات إذا أُريد لها أن تكون فعالة.

لماذا يفقد المجرب سلطته بالكامل في التجربة السادسة عشرة؟ إن المتدربين مهيؤون لإدراك التسلسلات الهرمية الواضحة التي تفتقر إلى التناقضات والعناصر غير المتوافقة. لِذلك، سوف يقومون باستخدام أية قواعد ممكنة للتأكد من السلطة العليا والاستجابة لها ضمن الحالة:

1. تولى أحد المجربين عن طيب خاطر دور الضحية. وهكذا، فقد قلل مؤقتًا من مكانته القيادية، مقارنة بالمجرب الآخر.

2. السلطة ليست مجرد تعيين إجباري ولكن شغل مكان معين للعمل في مناسبة محددة اجتماعيًا. حيث يجد الملك في الزنزانة أن الامتثال الذي يمكن أن يلاقيه من عرشه قد تبخر. وكذلك يجد المجرب السابق نفسه في وضع مواجهة السلطة الجالسة على كرسي القيادة.

3. هذا يعبرُ بشكلٍ كافٍ عن إعطاء ميزة في السلطة المتصورة للمختبر في مكتب التحكم، وهذه الزيادة الطفيفة أمر بالغ الأهمية لأنه من طبيعة التحكم الهرمي أن تكون الاستجابة مرتبطة بطريقة الكل أو اللا شيء بالشخص ذي المكانة الأعلى. ولا تحتاج إلى مكانة أكثر بكثير مثل إضافة حصاة إلى أرجوحة متوازنة، ويتم من خلالها تحديد التحكم بالكامل في زيادة الكل أو اللا شيء. وهنا لا يُعتبر التأثير حلاً وسطًا وذلك لأن نظام السلطة يجب أن يعتمد على أشخاص مرتبين في تسلسل هرمي. وبالتالي، فإن السؤال الحاسم في تحديد السيطرة هو منْ يُدير من؟ المقدار الزائد أقل أهمية بكثير من الضغط المرئي للتنظيم المرتب.

9

تأثيرات المجموعة

يُعتــبرُ الفــردُ ضعيفًــا في معارضته الفردية للســلطة، مقارنــةً بوجوده ضمن مجموعــة والتــي بطبيعــة الحال تكــون أقوى. إن الحــدث النموذجــي يصوره فرويــد (1921)، والذي يروي من خلاله كيف أن اتحاد الأبناء المعارضين معًا ينتج عنهُ تمردٌ ضد أبيهم المستبد. وكذلك الحال يصورهُ ديلاكرويكس في حالة تمرد الجماهير ضد السلطة، وقد نجح غاندي في تحريض الجماهير ضد السلطة البريطانية في مواجهة سلميةٍ خاليةٍ من أي نوع من العنف من قِبل السجناء في Attica Penitentiary والذين ينظمون ســلطة ســجن التحدي المؤقت والذي يمكن لعلاقة الفرد مع أقرانه أن تتنافس مع روابطه بالسلطة ولا تحل محلها.

التمييز بين المطابقة والطاعة

في هــذه المناســبة عــلى وجــه الخصــوص، هنــاك ضرورةٌ للتمييــز بــين مصطلحي الطاعة والامتثال. فالامتثال، على وجه الخصوص يحملُ معنىً

واسـعًا جدًا، ولكن لأغراض هذه المناقشـة، سأقصرها على فعل المتدرب عندما يماشي شـخصيته مع الأشـخاص الذين يتدخلون بوضعه الخاص، وليس لديهم حق خاص في توجيه سـلوكه. وسيكون اقتصار الطاعة على عمل الشخص الذي يمتثل للسلطة. من الممكن أن نعتبر أن مجندًا يلتحقُ بالخدمة العسـكرية وينفذ أوامر مسـؤوليه وقادتهِ بدقـة. في ذات الوقت، يتبنـى عـادات وروتين ولغـة أقرانه، فهنا تكـونُ الطاعةُ ممثلـةً بالأول أما الثاني فهو ما يُقصد بالامتثال.

تـم إجراء سلسـلة مـن التجـارب الباهـرة عـلى الامتثال مـن قِبل (Asch, 1951) حيث تم عرض خط بطول معين على مجموعة من (6) أشخاص وطُلب منهم تحديد أي من الأسطر الثلاثة الأُخرى يطابقها. أُعطي هؤلاء الاشـخاص تعليمات سرية باستثناء واحدٍ منهم لاختيار أحـد الخطـوط «الخطأ» في كل تجربة أو في نسـبة معينة مـن التجارب. وكان المتـدرب في موضعه بحيث سـمع إجابة معظم الأشـخاص من المجموعـة قبـل أن يضطـر إلى إعلان قراره. ومن خـلال هذه التجربة وجـد (آش) أنه في ظل هـذا النوع من الضغط الاجتماعي، انضم جزء كبـير من الأشـخاص إلى المجموعة بـدلاً من قبول الأدلـة التي كانت جليةً بالنسبة لهم.

إن الأشخاص موضوع دراسـة (آش) يمتثلون لأوامر المجموعة. كما أن الأشـخاص في التجربة الحالية يطيعـون المجرب. وهذا ما يدل على أن كلاً مـن الطاعة والامتثال يشـيران إلى التنازل عن المبادرة لمصدر خارجي مع اختلافهما في النواحي المهمة التالية:

1. التسلسل الهرمي: تحدث طاعة السلطة ضمن هيكل هرمي يشعر فيه الممثل أن الشخص أعلاه لديه الحق في وصف السلوك. أما الامتثال فينظم السلوك بين أولئك الذين لديهم وضع متساوٍ: فالطاعة تربط حالة بأُخرى.

2. التقليد: إن الامتثال هو تقليد ولكن الطاعة ليست كذلك. كما أن الامتثال يؤدي إلى حالةٍ من تجانس السلوك، حيث يتبنى الشخص المتأثر سلوك أقرانه. أما في حالة الطاعة، فهناك امتثال دون تقليد المصدر المؤثر. وهنا يبرز دور الطاعة في حالة الجندي الذي لا يكرر الأمر الصادر له فحسب، وإنما ينفذه.

3. التوضيح: في حالة الطاعة تأخذ وصفة العمل الصراحة على شكل الأمر. أما عند الامتثال، فغالبًا ما يظل شرط الانتماء للمجموعة ضمنيًا. وهكذا، في تجربة (آش) المتعلقة بضغط المجموعة، لم يكن هناك شرط صريح من أعضاء المجموعة بأن يتماشى المتدرب معهم حيث يُعتمد الإجراء تلقائيًا بواسطة المتدرب. في الواقع، قد يقاوم العديد من الأشخاص طلبًا صريحًا من أعضاء المجموعة للتوافق، حيث يتم تعريف الموقف على أنه موقف واحد متساوٍ وليس هناك حق للأشخاص في ترتيب بعضهم البعض.

4. التطوع: إن التمييز بين الطاعة والامتثال يحدث بعد الحقيقة، وبمعنىً آخر الطريقة التي يشرح بها الأشخاص سلوكهم. فيقوم الأشخاص بإنكار الامتثال متبنين الطاعة كتفسير لأفعالهم. دعني أوضح هذا، في تجارب (آش) ومن خلال أثر الضغط على المجموعة،

عادةً ما يقلل الأشخاص من درجة تأثر أفعالهم بأعضاء المجموعة. لذا فإنهم يقللون من تأثير المجموعة ويحاولون اللعب باستقلاليتهم، حتى عندما يخضعون للمجموعة في كل تجربة وغالبًا ما يُصرون على أنهم إذا ارتكبوا أخطاءً في الحكم، فهذه مع ذلك كانت أخطاءهم الخاصة، والتي تُعزى إلى رؤيتهم الخاطئة أو سوء تقديرهم وهم بهذا يقللون من درجة ارتباطهم بالمجموعة.

في تجربة الطاعة، يكون التفاعل عكسيًا تمامًا. وهنا يشرح المتدرب تصرفه المتمثل في صدمة الضحية بإنكار أي تورط شخصي وعزو سلوكه حصريًا إلى مطلبٍ خارجي تفرضه السلطة. وهكذا، بينما يصر الشخص الممتثل على أن استقلاليته لم تضعف من قبل المجموعة، يؤكد الشخص المطيع أنه لم يكن لديه استقلالية فيما يتعلق بصدمة الضحية وأن أفعاله كانت خارج نطاق سيطرتهِ بشكلٍ مُطلق.

لماذا هو كذلك؟ لأن التماثل هو استجابة للضغوط الضمنية، ويفسر الأشخاص سلوكهم على أنه طوعي دون القدرة على تحديد سبب شرعي للخضوع لأقرانهم، فينفون ذلك. أما في الطاعة يكون العكس هو الصحيح. يُعرَّف الموقف علنًا بأنه خالٍ من الطوعية، لأن هناك آمرًا صريحًا يُتوقع منه إطاعته. وهنا يعود المتدرب إلى هذا التعريف العام للوضع باعتباره التفسير الكامل لعمله.

لذا فإن الآثار النفسية للطاعة والامتثال مختلفة فكلاهما شكلان قويان للتأثير الاجتماعي، ويمكننا الآن التحقيق في دورهما في هذه التجربة».

التجربة السابعة عشر: تمرُّد اثنينِ من النظراء

قلنا إن التمرد ضد السلطة المؤذية يحدث بشكل أكثر فاعلية من خلال العمل الجماعي وليس العمل الفردي هذا درس تتعلمه كل مجموعة ثورية، ويمكن إثباته في المختبر بتجربة بسيطة. فلقد رأينا في السابق أن هناك تناقضًا ملحوظًا بين المبادئ الأخلاقية للأفراد وأدائهم الفعلي في المختبر. فعلى الرغم من احتجاجاتهم والصراع الواضح في صدمة الضحية، إلا أن عددًا كبيرًا منهم لا يملكون القدرةَ على مجابهة سلطة المجرب حتى أنهم يشرعون في إدارةٍ لأعلى مستويات الصدمة التي أُمروا بها.

ومن هذا المنطلق يمكننا التأكد الى أي درجة يمكن أن يؤدي تأثير المجموعة إلى تحرير المتدرب من السيطرة الاستبدادية والسماح له بالتصرف في اتجاه يتوافق مع قيمه ومعاييره الشخصية. إن الاستراتيجية المتبعةَ تتمثل في تكرار التجربة الأساسية، ولكن مع هذا الاختلاف: يتم وضع المتدرب وسط اثنين من الزملاء الذين يتحدون المجرب ويرفضون معاقبة الضحية ضد إرادته. فيا ترى إلى أي درجة سيؤثر الضغط الناتج عن أفعالهم على سلوك المتدرب؟

الأسلوب

يظهر (4) من المتدربين في المختبر للمشاركة في تجربة حول «آثار التدريس الجماعي والعقاب على الذاكرة والتعلم». ثلاثةٌ منهم من أتباع المجرب والرابع هو متعلمٌ بسيط. ويوضح المجرب أن ثلاثة مدرسين ومتعلمٌ واحد سيتم استخدامهم في الدراسة، وعن طريق الرسم المجهز، يتم تعيين موضع المعلم الثالث. أما أدوار المعلم الأول، والمعلم الثاني،

والمعلم الثالث فيتم تعيينها بواسطة الشركاء. كما أن المتعلم يكون مقيدًا من خلال جلوسهِ في الكرسي الكهربائي بينما يكون المعلمون الثلاثة أمام مولد الصدمات الكهربائية. يُطلب من المعلم الأول قراءة قائمة أزواج الكلمات، ويخبر المعلم الثاني المتدرب ما إذا كانت إجابته صحيحة أم لا، والمعلم الثالث (المتدرب) يدير العقوبة. كما هو الحال في التجربة الأساسية، يُطلب من الأشخاص رفع مستوى الصدمة خطوة واحدة في كل مرة يرتكب فيها المتعلم خطأً.

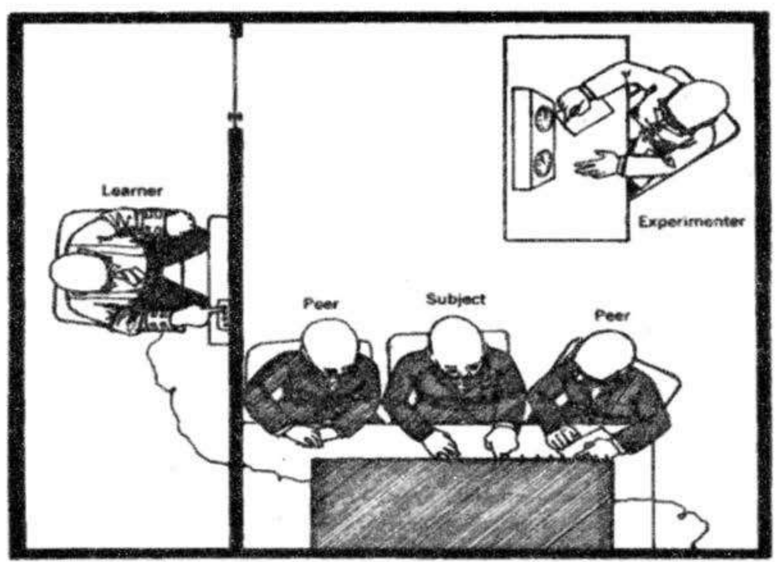


Fig. 18. Two peers rebel.

سلوك الحلفاء عادةً ما يمتثل الحلفاء لأوامر المجرب من خلال صدمة عند المستوى (150) فولت، والتي تثير أول معارضةٍ شديدة من جانب الضحية، وفي هذه المرحلة، يخبر المعلم الأول المجرب أنه لا يرغب في المزيد من المشاركة، بسبب شكاوى المتعلم. ويصر المجرب على أن يستمر المعلم الأول بما بدأهُ. ومع ذلك، لا يتأثر المعلم الأول بأوامر المجرب،

وينهض من كرسيه أمام مولد الصدمات الكهربائية، ويجلس في مكان آخر من الغرفة. ونظرًا لأن جهود المجرب لإعادة المتدرب إلى مولد الصدمات الكهربائية لا طائل من ورائها، فإن المجرب يوجه المعلمين (المتدربين) المتبقين لمواصلة التجربة. إن وظيفة المعلم الثالث (المتدرب) كانت مُنصبةً على التعامل مع قراءة أزواج الكلمات، بالإضافة إلى وظيفته المعتادة في إدارة الصدمة الكهربائية للمتعلم.

بعد توجيه مستوى الصدمة 14 (210 فولت)، يرفض المعلم الثاني الاستمرار معزيًا ذلك إلى قلقه على المتعلم، ومن خلال المشاركة أكثر يأمره المُجرب بالاستمرار، لكنه يترك كرسيه أمام مولد الصدمات الكهربائية ويجلس في زاوية مقابلة من الغرفة قائلاً: «أنا على استعداد للإجابة على أي من أسئلتك، لكنني لست على استعداد لتوجيه صدمةٍ لهذا الرجل رغمًا عنه ولن أساهم في أي جزء منها».

وفي هذه المرحلة تحديدًا، يجلس المتدرب بمفرده أمام مولد الصدمات الكهربائية، فلقد شهد تصرفات التحدي لاثنين من زملائه. وعندما يأمره المجرب بالاستمرار، يوضّح لهُ بأنه من الضروري للتجربة أن تكتمل.

إن نتائج التجربة موضحة في الجدول (5). ففي هذا الإعداد للمجموعة، يتحدى المجرب (36) شخصًا من أصل (40) (بينما الرقم المقابل في حالة عدم وجود ضغط المجموعة هو 14). فآثار تمرد الأقران مؤثرة للغاية في تقويض سلطة المجرب. وفي الواقع، من بين درجات الاختلافات التجريبية التي اكتملت في هذه الدراسة، لم يكن أي منها فعالاً في تقويض سلطة المجرب كما ورد في التلاعب هنا.

ردود الفعل على الأقران إن ردود الافعال الخاصة بالمتدربين البسطاء قد تباينت تجاه الشركاء المتحدين بشكل كبير والتي كانت تعتمد جزئيًا على النقطة الدقيقة التي تحدى المتدرب فيها المجرب. حيثُ صرّح أحد الأشخاص الذين استقالوا في نفس الوقت مع أول شريك: «حسنًا، كنت أفكر بالفعل في الاستقالة عندما انفصل الرجل». امتدح معظم الأشخاص بعبارات مثل، «اعتقدت أنهم رجال خلوقون. وعندما قال الضحية: «توقف، فقد توقفوا»، (توقفوا عند مستوى الصدمة 11). «أعتقد أنهم كانوا أناسًا متعاطفين للغاية... ولم يكونوا على دراية بما هو مخفيّ لهم». (توقفوا عند مستوى الصدمة 14).

قام شخصٌ ما بتحدي المجرب في المستوى (21) والذي كان مؤهلاً للحصول على موافقته: «حسنًا، أعتقد أنه ينبغي عليهم الاستمرار إلى أبعد من ذلك، لكني لا ألومهم على التراجع عندما فعلوا ذلك».

Table 5. Maximum Shocks Administered in Group Experiments

Shock level	Verbal designation and voltage level	Experiment 17: Two Peers Rebel (n = 40)	Experiment 18: Peer Administers Shocks (n = 40)
	Slight Shock		
1	15		
2	30		
3	45		
4	60		
	Moderate Shock		
5	75		
6	90		
7	105	1	
8	120		
	Strong Shock		
9	135		
10	150	3	1
11	165	4	
12	180	1	1
	Very Strong Shock		
13	195	4	
14	210	12	1
15	225		
16	240		
	Intense Shock		
17	255		
18	270	4	
19	285		
20	300	2	
	Extreme Intensity Shock		
21	315	3	
22	330		
23	345		
24	360	1	
	Danger: Severe Shock		
25	375		
26	390	1	
27	405		
28	420		
	XXX		
29	435		
30	450	4	37
	Mean maximum shock level	16.45	28.65*
	Percentage obedient subjects	10.0%	92.5%*

* See text, p. 121 for meaning of this figure.

أقر أربعة من المتدربين بأهمية تصرفات الشركاء لتحديهم الخاص للمجرب: «إن فكرة التوقف لم تخطر ببالي حتى تم اقتراحها من قِبل الاثنين الآخرين» (توقف عند مستوى الصدمة 14). «سبب استقالتي هو أنني لم أرغب في أن أبدو قاسيًا في أعين الرجلين الآخرين اللذين رفضا متابعة التجربة فعليًا» (انقطعت عند مستوى الصدمة 14). ومع ذلك، أنكرت غالبية الجماعات الفرعية المتمردة أن يكون عمل الحلفاء هو العامل الحاسم في تحديهم.

يشير التحليل الدقيق للوضع التجريبي إلى عدة عوامل تساهم في فعالية المجموعة:

1. إن فكرة تحدي المجرب يغرسها الأقران في المتدرب وربما لا يكون قد حدث لبعض المتدربين ذلك.

2. لم يمتلك الشخص الوحيد في التجارب السابقة أي وسيلة لمعرفة ما إذا كان تحدي المجرب قد يؤدى بطريقة غريبة أو ما إذا كان هذا الإجراء شائعًا في المختبر وهنا يشير العصيان إلى أن التحدي هو رد فعل طبيعي على أي موقف.

3. إن ردود أفعال الشركاء المتحدين تعتبر فعل توجيه الصدمة للضحية بأنه غير لائق. كما أنها تُعطي تأكيدًا اجتماعيًا للاشتباه في المتدرب بأنه من الخطأ معاقبة رجل رغمًا عن إرادته، حتى وإن كان الوضع هو تجربة نفسية.

4. يظل المتحدون في المختبر حتى بعد الانسحاب من التجربة (وافقوا على الإجابة على أسئلة ما بعد التجربة). وكل إعلان صدمة إضافي

يقدمه المتدرب يحمل في طياته قدرًا من الرفض الاجتماعي من جانب الطرفين.

5. طالما أن الشركاء يمارسون الإجراء التجريبي سويةً، فهناك تشتت في المسؤولية بين أعضاء المجموعة لصدمة الضحية. وعندما ينسحب المتحالفون، تتركز المسؤولية على المجرب.

6. المتدرب هو شاهد على حالتين من العصيان ويلاحظ أن عواقب تحدي المجرب ضئيلةٌ.

7. قد تتضاءل قوة المجرب بسبب حقيقة الفشل في إبقاء الحلفاء متفقين، ووفقًا للقاعدة العامة القائلة بأن كل فشل للسلطة في الامتثال لأوامرها يضعف القوة المتصورة للسلطة (هومانز، 1961).

تذكرنا حقيقة أن المجموعات تقوّض بشكل فعال قوة المجرب بأن الأفراد يتصرفون كما يفعلون لثلاثة أسباب رئيسية: فهم يحملون معايير داخلية معينة للسلوك، ويستجيبون بشدة للعقوبات التي قد تفرضها عليهم السلطة؛ وأخيرًا، فهم يستجيبون للعقوبات التي يُحتمل أن تطبق عليهم من قبل المجموعة. وعندما يرغب الفرد في مجابهة السلطة، فيُفضّل أن يجد دعمًا لموقفه من الآخرين في مجموعته. إن الدعم المتبادل الذي يقدمه الرجال لبعضهم البعض هو أقوى حصن لدينا ضد تجاوزات السلطة. (لا يعني ذلك أن المجموعة دائمًا مُحقةٌ فيما يتعلق بالمشكلة. وتذكرنا عصابات (لينش) ومجموعات من الأشرار المتوحشين بأن الجماعات قد تكون شريرة من خلال التأثير الذي تمارسه).

التجربة الثامنة عشرة: نظراء يوجهون الصدمات

السلطة ليست عمياء عن توظيفاتها للجماعات والتي ستسعى عادة لطريقة تسهل الخضوع. حيثُ يوضح الاختلاف البسيط للتجربة هذا الاحتمال. وأي قوة أو حدث يتم وضعه بين المتدرب وعواقب صدمة الضحية، بمعنى أن أي عامل من شأنه أن يخلق مسافة بين المتدرب والضحية سيؤدي إلى تقليل الضغط على المشارك وبالتالي تقليل العصيان. ففي المجتمع الحديث، غالبًا ما يقف الآخرون بيننا وبين الفعل المدمر الذي نساهم فيه.

في الواقع، وهو الشيء المعتاد في البيروقراطية الحديثة، حتى عندما تكون مصممة لأغراض مدمرة، فإن معظم الأشخاص المشاركين في تنظيمها لا يقومون بأي أعمال تدميريةٍ مباشرة. وإنما يخلطون الأوراق أو يحمّلون الذخيرة أو يؤدون أي عمل آخر، على الرغم من أنه يساهم في التأثير التدميري النهائي، إلا أنه بعيد عنه في عيون الموظف وعقله.

ولغرض التأكد من هذه الظاهرة داخل المختبر، تم إجراء تباين حيث تم إزالة فعل صدمة الضحية من المتدرب ووضعها في يد مشارك آخر (شريك). حيثُ يؤدي المتدرب أعمالاً فرعيةً والتي على الرغم من أنها تساهم في التقدم الشامل للتجربة، إلا أنها تزيل الفعل الحقيقي المتمثل في الضغط على الرافعة الموجودة في مولد الصدمات الكهربائية.

ومن السهل تحمل الدور الجديد للمتدرب حيث يوضح الجدول (5) توزيع نقاط التوقف لـ (40) موضوعًا بينها (3) فقط من أصل (40) يرفضون المشاركة في التجربة حتى النهاية. إنها ملحقات رد فعل صدمة

الضحية، ولكنها ليست متورطة نفسيًا فيه إلى الحد الذي ينشأ فيه التوتر وينتج عنه العصيان.

كما يمكن لأي مدير مختص لنظام بيروقراطي مدمر أن يرتب موظفيه بحيث لا يشارك مباشرةً في أعمال العنف إلا الأكثر قسوة وبلادة. ويمكن أن يتكون الجزء الأكبر من الموظفين من الرجال والنساء الذين بحكم بُعدهم عن الأعمال الوحشية الفعلية فهم لن يشعروا بإجهاد ضئيل في أدائهم للوظائف الداعمة كما سيشعرون بأنهم محرومون بشكل مضاعف من المسؤولية. وهذا يمكن عزوهُ إلى سببين، أولاً أن السلطة الشرعية أعطت الضمانة الكاملة لأفعالهم، وثانيًا أن هؤلاء الأشخاص لم يرتكبوا أعمالاً وحشيةً جسمانيةً بأنفسهم.

10

لماذا الطاعة؟ ـ تحليل

لقد رأينا الآن عدة مئات من المشاركين في تجربة الطاعة، وشهدنا مستوى من الانصياع للأوامر غير المرغوب فيها. ومع انتظام التخدير، كان يُنظر إلى الأشخاص الطيبين على أنهم يخضعون لمطالب السلطة ويقومون بأعمال قاسية وصلبة. وأن الرجال الذين يتسمون بالمسؤولية واللطف في الحياة اليومية تم إغواؤهم من خلال أصوات فخ السلطة، والتحكم في تصوراتهم، والقبول غير الناقد لتعريف المجرب للموقف عند القيام بأعمال قاسية.

يجب علينا أن نحاول إدراك هذه الظاهرة من منظورها النظري وأن نتعمق أكثر في أسباب الطاعة. لأن الخضوع للسلطة هو شرط قوي وفاقد لقدرة الإنسان. فلماذا هو كذلك؟

قيمة بقاء التسلسل الهرمي

دعنا الآن نبدأ تحليلنا بالإشارة إلى أن الرجال ليسوا منعزلين بل يعملون ضمن هياكل هرمية. ونجد في الطيور والبرمائيات والثدييات هياكل مهيمنة (تنبيرغن، 1953، مارلر، 1967)، كما وتوجد في البشر سلطة الهياكل التي تتوسطها الرموز بدلاً من التنافس المباشر للقوة الجسمانية. فتشكيل التجمعات المنتظمة بشكل هرمي يمنح ميزة هائلة لأولئك المنظمين في التعامل مع مخاطر البيئة المادية والتهديدات التي تشكلها الأنواع المتنافسة والاضطراب المحتمل من الداخل. وتكمن ميزة الميليشيا المنضبطة على الحشد المضطرب بالتحديد في اللعب ضد الأفراد الذين يتصرفون بدون أي توجيه.

إن التحيز التطوري متضمن في وجهة النظر والسلوك وهو من الخصائص التي توارثتها الأجيال المتعاقبة والتي بدورها تشكلت من خلال متطلبات البقاء على قيد الحياة. لذا فإن السلوكيات التي لا تعزز فرص البقاء على قيد الحياة تولدت من الكائن الحي لأنها أدت في نهاية المطاف إلى انقراض المجموعات التي عارضتها.

ويُشار إلى أن القبيلة التي كانت تتمتع بالتنظيم في مجموعات (بعضها التي كان أفرادها محاربين، بينما كان الآخرون يعتنون بالأطفال والبعض الآخر من الصيادين) تتفوق بميزة هائلة على قبيلة لم يحدث فيها تقسيم للعمل. من هنا ننظر حولنا إلى الحضارات التي بُنيت على أكتاف الرجال مدركين أن العمل الموجه والمتضافر هو الوحيد الذي كان بإمكانه رفع الأهرامات، وتشكيل مجتمعات اليونان، ورفع قيمة الإنسان من مخلوق

يرثـى له ويكافح مـن أجل البقاء إلى إجـادة فنيةٍ عاليـة التنظيم للكوكب الذي نعيشُ عليه.

إن مزايـا التنظيـم الاجتماعـي لا يمكـن أن تقتـصر عـلى الداخل وأن تتعداهـا لتصل إلى الخـارج أيضًا، وهذا ما يمنح الاسـتقرار والانسـجام للعلاقـات بـين أعضـاء المجموعـة. ومـن خـلال تحديد حالـة كل عضو بوضـوح، فإن ذلـك يقلل الاحتكاك إلى الحد الأدنى. وهذا الحال مشـابه عندمـا يسـقط الذئب فريسـته، على سـبيل المثـال، حيث أنه يتمتـع بميزة المهيمن كميزةٍ أولى، متبوعًا بالآخر المسيطر التالي، وهكذا... كما إن إقرار كل عضـو بمكانـه في التسلسـل الهرمـي يعمل عـلى اسـتقرار المجموعة. وينطبق الشيء نفسه على المجموعات البشرية: والتي من خلالها يتم ضمان الانسـجام الداخـلي عندمـا يقبل جميـع الأعضاء الوضـع المخصص لهم. ومـن ناحيةٍ أُخرى، غالبًا ما تثير التحديات التي تواجه التسلسـل الهرمي العنف. وبالتالي، فإن التنظيم الاجتماعي المستقر يعزز قدرة المجموعة على التعامـل مـع بيئتها ومن خـلال تنظيم العلاقات الجماعية يتـم التقليل من العنف الداخلي.

وتعد إمكانية الطاعة شرطًا أساسيًا لمثل هذا التنظيم الاجتماعي، ولأن التنظيم له قيمة بقاء هائلة لأي نوع، فقد نمت هذه القدرة في الكائن الحي مـن خلال العملية الموسـعة للعمليات التطورية. أنـا لا أقصد هذا كنقطة نهايـة لحجتـي، ولكن فقـط البداية، لأننا لـن نصل إلى أي مـكان إذا كان كل مـا يمكننا قوله هـو أن الرجال يطيعون فقط لمجـرد امتلاكهم لغريزة الطاعة.

في الواقع، إن فكرة غريزة الطاعة البسيطة ليست ما يُقترح الآن. فبدلاً من ذلك، نحن كبشر نُولد بإمكانية الطاعة، والتي تتفاعل بعد ذلك مع تأثير المجتمع لإنتاج الإنسان المطيع. وفي هذا السياق، فإن القدرة على الطاعة تشبه القدرة على تحدث اللغة: يجب أن تكون بعض الهياكل العقلية المحددة للغاية موجودة إذا كان الكائن الحي لديه إمكانيات للغة، ولكن التعرض لوسط اجتماعي ضروري لخلق رجل متحدث. ولشرح أسباب الطاعة، نحتاج إلى النظر في كل من الهياكل الفطرية والتأثيرات الاجتماعية التي تؤثر علينا بعد الولادة. وكذلك نسبة التأثير الذي يمارسه كل منهما هي نقطةٌ محل الخلاف. فمن وجهة نظر البقاء التطوري، كل ما يهم هو أن ينتهي بنا المطاف مع كائنات حية يمكنها العمل في تسلسل هرمي.

وجهة النظر السيبرانية

أعتقد أنه سيتم تحديد أو إيجاد فهم أوضح من خلال النظر في المشكلة من وجهة نظر مختلفة قليلاً - وهي بالتحديد تلك الخاصة بعلم التحكم الآلي - والتي قد تبدو القفزة من التطور إلى علم التحكم الآلي في البداية الاعتباطية، لكن أولئك الذين يواكبون التطورات العلمية الحالية يعرفون أن تفسير العمليات التطورية من وجهة نظر سيبرانية قد تقدم ببراعة في السنوات الأخيرة (أشبي، 1956، وينر، 1950). تعتبر السيبرانية العلم الذي يُعنى بالتنظيم أو التحكم، ومن الممكن طرح السؤال التالي: ما هي التغييرات التي يجب أن تحدث في تصميم كائن حي متطور أثناء انتقاله من القدرة على الأداء المستقل إلى القدرة على العمل داخل المنظمة؟ عند التحليل، تصبح بعض المتطلبات اللازمة لهذا التحول واضحة. في حين

أن هذه المبادئ العامة – إلى حد ما – قد تبدو بعيدةً كل البعد عن سلوك المشاركين في التجربة، إلا أنني مقتنعٌ بأنها أصل السلوك المعني. أما بالنسبة للسؤال الرئيسي في أي نظرية علمية للطاعة هو؟ وما هي التغيرات التي تحدث عندما يكون الفرد الذي يتصرف بشكل مستقل جزءًا لا يتجزأ من بُنية اجتماعية حيث يعمل كمكوِّن للنظام بدلاً من كونه يعمل بمفرده؟ يمكن للنظرية السيبرانية – من خلال تزويدنا بنموذج – أن تنبهنا إلى التغيرات التي يجب أن تحدث منطقيًا عندما يتم إدخال كيانات مستقلة في الأداء الهرمي. وبقدر ما يشارك البشر في مثل هذه الأنظمة يجب أن يخضعوا لهذه القوانين العامة.

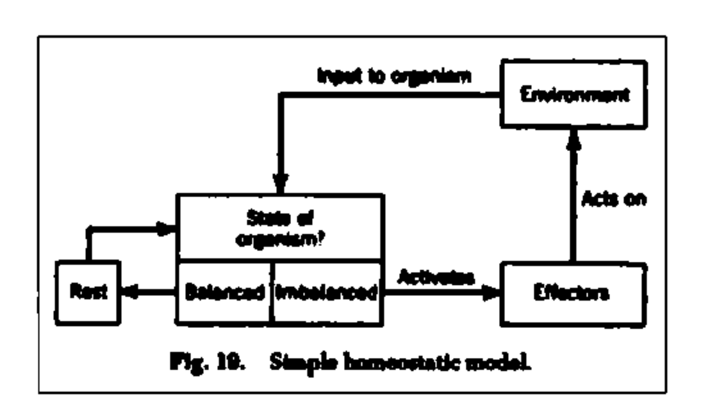


Fig. 19. Simple homeostatic model.

عندما نبدأ بتحديد تصميم لمخلوق مبسط أو آلي، سوف نسأل، ما هي التعديلات المطلوبة في تصميمها إذا كانت تريد الانتقال من التنظيم الذاتي إلى الأداء الهرمي؟ وسوف نتعامل مع المشكلة ليس من جانبٍ تاريخي بل من جانبٍ رسميٍ بحت.

نفترض مجموعة من الإنسان الآلي، أ، ب، ج، وما إلى ذلك، وكل منها مصمم بوظيفة خاصة للعمل في عزلة تامة. حيثُ يتميز كل جهاز آلي

بأنه نظام مفتوح يتطلب مدخلات من البيئة للحفاظ على حالته الداخلية. وتتطلب الحاجة إلى المدخلات البيئية (على سبيل المثال: التغذية) جهازًا معينًا للبحث عن أجزاء من البيئة واستيعابها وتحويلها إلى أشكال مغذية قابلة للاستخدام، ويتم بدء الإجراء عبر مؤثرات يتم تشغيلها عندما تشير الظروف الداخلية إلى وجود نقص يهدد الحالات الحيوية للإنسان الآلي. ويكون دور الإشارة منوطًا بتنشيط إجراءات البحث عن المدخلات الغذائية التي تعيد النظام إلى حالة عمل قابلة للحياة. وهنا يشير نموذج الاستتباب الخاص بـ (كانون، 1932) إلى الوجود في كل مكان لأنظمة استعادة الحالة هذه في الكائنات الحية.

أما الآن فلقد أصبحت هذه المجموعة من الإنسان الآلي منفصلةً عن بعضها البعض باعتبارها حيوانات آكلة اللحوم ذاتية التنظيم.

ولغرض تحقيق عملية جمعهم معًا، حتى في أكثر أشكال التنظيم الاجتماعي بدائية واختلاطًا، يجب إضافة شيء ما إلى النموذج الذي صممناه مسبقًا. والذي من خلاله يجب وضع حد للتعبير غير المنظم عن الشهوات الفردية، لأنه إذا لم يتم ذلك فسينتج عنه تدمير متبادل للآلات. وهذا يعني أنه سيتم ببساطة التعامل مع الأجهزة الأُخرى باعتبارها أجزاءً من البيئة والتي ستُدمّر أو يتم التصرف بها وفقًا لقيمتها الغذائية. لِذلك، يجب إضافة ميزة جديدة مهمة إلى التصميم: والتي هي مثبط يمنع الإنسان الآلي من العمل ضد إنسان آلي آخر. ومع إضافة هذا المانع العام، ستكون هذه الآلات قادرة على احتلال نفس المنطقة الجغرافية دون خطر التدمير المتبادل. فكلما زادت درجة التبعية المتبادلة

بين الآلات، كلما كانت هذه الآليات المثبّطة واسعة النطاق وفعالة كما يجب أن تكون.

وبشكل أكثر عمومية، عندما يبدأ العمل من خلال التوترات التي تنشأ داخل الفرد، يجب أن تمنع بعض الآليات الداخلية للفرد هذا التعبير، حتى لو كان فقط لمنع توجيهه ضد أفراد عشيرة من النوع المعين. وإذا لم تتطور مثل هذه الآلية المثبطة، فإن الأنواع ستهلك بالتالي، ويجب أن تأتي العمليات التطورية بتصميم جديد متوافق مع البقاء. كما يذكرنا أشبي (1956):

إن الكائنات الحية التي نراها اليوم قد لوحظت بفعل انتقائي (مُختار) من قبل ألفي مليون سنة. وتم القضاء على أي شكل من الأشكال المعيبة في قدرتها على البقاء؛ واليوم، تحمل سمات كل شكل تقريبًا علامات التكيف لضمان البقاء بدلاً من أي نتائج أُخرى محتملة. حيث تُصنع العيون والجذور والأهداب والأصداف والمخالب بحيث تزيد من فرصة البقاء على قيد الحياة وعندما ندرس الدماغ، ندرس مرة أُخرى وسيلة للبقاء (ص 196).

هل يوجد في البشر أي شيء يتوافق مع الآليات المثبطة التي يتطلبها هذا التحليل؟ هذا السؤال نوعًا ما بلاغي جدًا، إذا ما علمنا أن الدافع لإرضاء الغرائز المدمرة للآخرين يتم بواسطة جزء من طبيعتنا. وأن الضمير أو ما يُعرف بالأنا العُليا هي المصطلحات المستخدمة للإشارة إلى هذا النظام المثبط، وتتمثل وظيفته في التحقق من التعبير غير المنظم عن الدوافع التي لها أصل في نظام توتر الشخص. وإذا بدأت آليتنا في اكتساب

بعض الخصائص والتركيبات الموجودة في البشر، فهذا ليس لأن البشر قدموا النموذج، بل لأن مشاكل التصميم الموازية تنشأ في بناء أي نظام تحافظ فيه الكائنات الحية على نفسها من خلال المدخلات البيئية ولكنها لا تقوم بتدمير أنواعها.

وبالتالي، يمكن النظر إلى وجود الضمير لدى الرجال كحالة خاصة للمبدأ الأكثر عمومية القائل بأن أي جهاز آلي ذاتي التنظيم يجب أن يكون لديه مانع للتحقق من أفعاله ضد نوعه، لأنه بدون منع، لا يمكن للإنسان الآلي شغلها فهي منطقة مشتركة. ويقوم هذا المانع بترشيح أو فحص الإجراءات التي يرجع أصلها إلى الاختلالات الداخلية في الجهاز الآلي. أما في حالة الكائنات البشرية - إذا كان بإمكاننا استخدام مصطلحات التحليل النفسي - فإن الحوافز الغريزية التي يكون أصلها موجوداً في الهوية لا يتم توجيهها على الفور إلى العمل ولكنها تخضع لفحوصات مثبطة للأنا العليا. حيثُ نلاحظ أن معظم الرجال، كمدنيين مثلاً، لن يؤذوا أو يشوهوا أو يقتلوا الآخرين في المسار العادي للحياة.

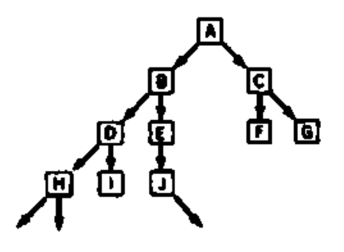
الهيكيلة الهرمية

يعمل الانسان الآلي الآن بشكل فردي، ويقتصر هذا فقط على منع إلحاق الضرر بنوعه. فماذا سيحدث عندما نحاول تنظيم العديد من الآلات حتى تعمل معًا؟ وأفضل طريقة لتحقيق ضم العناصر للعمل بطريقة متضافرة هي إنشاء مصدر خارجي للتنسيق بين عنصرين أو أكثر بحيث يستمر التحكم من نقطة الانبعاث إلى كل من الإنسانين الآليين.



لا يزال من الممكن تحقيق آليات اجتماعية أكثر قوة من خلال جعل كل عنصر ثانوي بمثابة مرؤوس للعناصر الموجودة في المستوى أدناه.

يأتي الرسم البياني ليفترض الشكل الهرمي النموذجي للتنظيم الهرمي. ومع ذلك، لا يمكن تحقيق هذه المنظمة باستخدام الإنسان الآلي كما وصفناها وهنا يتوجب تغيير التصميم الداخلي لكل عنصر.



في هذه الحالة يجب التخلي عن التحكم على مستوى كل عنصر محلي لصالح التحكم من نقطة فوقية. وذلك لأن الآليات المثبطة التي تعتبر حيوية عندما تصبح وظائف العنصر الفردي في حد ذاتها ثانوية ستكون بحاجة إلى التنازل عن التحكم لمكون التنسيق.

وبشكل عام، عندما يتم إدخال العناصر التي تعمل بشكل مستقل في نظام التنسيق الهرمي، فإن التغييرات مطلوبة في الهيكل الداخلي للعناصر. وتشكل هذه التغييرات متطلبات النظام، وهي تنطوي دائمًا على نوعٍ من قمع التحكم المحلي لصالح تماسك النظام. ومن خلال هذا الاجراء يتم تحقيق تماسك النظام عندما تعمل جميع أجزاء النظام سوية وليس في حالاتٍ متقاطعة.

مـن وجهة نظر تطورية، يجب تنظيم كل عنصر يعمل بشـكل مسـتقل ضد السـعي غير المقيد لنزعته، والتي يكون العنصر الفردي هو المسـتفيد الرئيـسي منها. والأنا العليا أو الضمير أو بعض الآليات المماثلة التي تضع المُثـل الأخلاقية ضد التعبير غير المنضبـط عن الدوافع تفي بهذه الوظيفة. ومـع ذلـك، ففـي الوضـع التنظيمي، مـن الـضروري بمـكان أن يكـون تشـغيل النظام غير متعارض مع هذه الآليات المثبطة بشـكل كبير ولا مع الاتجاهات من المكونات ذات المستوى الأعلى. لِذلك، عندما يعمل الفرد بمفرده، يلعب الضمـير دوره. ولكن عندما يعمل في وضع تنظيمي، فإن التوجيهـات التـي تأتي مـن مكون المسـتوى الأعلى لا يتـم تقييمها مقابل المعايير الداخلية للحكـم الأخلاقي. كما أن النبضات المتولدة داخل الفرد، في الوضع المستقل، يتم فحصها وتنظيمها فقط.

يتكـون التسلسـل الهرمي من وحـدات، وكل وحدةٍ منهـا تتكون من رئيـس واحد مع أتباع (على سـبيل المثـال، أ، ب، ج). وقد يكون كل تابع بدوره، متفوقًا على الآخرين أدناه (على سـبيل المثال،E, B, D)، حيث يتم بناء الهيكل بأكمله من هذه الوحدات المتشـابكة. ولا تعتمد سـيكولوجيا الطاعة على وضع الوحدة في التسلسل الهرمي الأكبر فالتعديلات النفسية للجنـرال (فيرماخت) المطيع (لأدولف هتلر) توازي تلك الخاصية بأدنى جنـدي لرئيسـه، وهكـذا في جميع أنحـاء النظام فـإن سـيكولوجية القائد النهائي فقط هي التي تتطلب مجموعة مختلفة من المبادئ التفسيرية.

التغير (التفاوت)

نحتـاج الآن إلى توضيح النقطة التي كانت ضمنية وهي علاقة التباين بالحاجـة إلى التعديـل المنهجي. فعنـد وجود التبايـن، لا يمكن أن تحدث

الهيكلـة الفعالـة في أنظمة أكبر إلا مـن خلال التنازل عـن التحكم المحلي لمكون التنسيق وإذا لم يكن الأمر كذلك، فسيكون النظام الأكبر أقل كفاءة من وحدة فردية متوسطة.

وإذا اعتبرنـا أن مجموعـة مـن الكيانات المتطابقة التـي يمكن أن تعمل بمفردها، على سـبيل المثال مجموعة من خمسة عربات ترام كهربائية تمتلك آليات تحكم تعمل على كبح كل ترام بدقة تصل إلى (50) ميلاً في الساعة. وطالمـا لا يوجـد تباين بـين الوحدات الفرديـة، فعندما يتـم ربطها معًا في قطـار من خمس عربـات، يمكن للقطـار أن يتحرك بسرعـة (50) ميلاً في السـاعة. يمكنك الآن أن تضع في اعتبـارك أن التباين قد تم إدخاله، وأن من يتحكمون بالسرعة بشـكل أوتوماتيكي يفرملون السـيارات الخمس بسرعة 10 و20 و30 و40 و50 ميلاً في الساعة على التوالي. وإذا تم تشكيل السـيارات في نظـام فوق التنسـيق، فإن القطـار ككل لا يمكنه أن يتحرك حتى لو كان ببطء.

وإذا كانـت المنظمة الاجتماعية مكونة من أفـراد تختلف أحكامهم على مسار العمل، فلا يمكن ضمان التماسك إلا من خلال الاعتماد على القاسم المشـترك الأقل بينهم. هذا هو النظام الأقل كفاءة والذي من غير المرجح أن يفيد أعضائه. وبالتالي، فإن قمع التحكم على مسـتوى الوحدة المحلية والتنـازل عن المكونات ذات المسـتوى الأعلى يصبح أكثـر أهمية مع زيادة التبايـن. إن للتغـير (التفاوت)، كما أخبرنا منظـرو التطور منذ فترة طويلة قيمة بيولوجية هائلة. ومن الواضح أنها سـمة من سـمات الجنس البشري نظرًا لأن الناس ليسـوا جميعًا متشابهين بشكل تام، ومن أجل استخلاص

فائدة الهيكلة الهرمية، هناك حاجة إلى دخول سريع التنفيذ للسيطرة المحلية عند نقطة الدخول في التسلسل الهرمي، بحيث لا تحدد الوحدة الأقل كفاءة تشغيل النظام ككل.

وبالتالي فمن المفيد وضع عدد قليل من الأنظمة التي تعمل عن طريق قمع التحكم المحلي، وهنا يتنازل الطيارون الفرديون عن السيطرة لوحدة التحكم في البرج عند اقترابهم من المطار بحيث يمكن إدخال الوحدات في نظام هبوط منسق؛ وتتنازل الوحدات العسكرية عن السيطرة إلى سلطة أعلى مستوى لضمان وحدة العمل. أما عندما يدخل الأفراد في حالة من التحكم الهرمي، يتم كبح الآلية التي تنظم الدوافع الفردية والتنازل عنها لمكون المستوى الأعلى. وهنا أوضح فرويد (1921)، هذه الآلية بدقة: «... يتخلى الفرد عن الأنا المثالية الخاصة به ويستبدلها بالمجموعة المثالية المتجسدة في القائد» (الصفحة 78، المجموعة علم النفس) والسبب الأساسي لحدوث ذلك ليس متجذرًا في الاحتياجات الفردية ولكن في الاحتياجات التنظيمية، ولا يمكن للهياكل الهرمية أن تعمل إلا إذا كانت تمتلك جودة التماسك، وهذا التماسك غير قابل للتحقيق إلا عن طريق كبح السيطرة على المستوى المحلي.

دعني ألخص ذلك:

(1) توفر الحياة الاجتماعية المنظمة فوائد البقاء للأفراد الذين هم جزء منها وللمجموعة على حدٍ سواء.

(2) أيًا كانت السمات السلوكية والنفسية الضرورية لإنتاج القدرة على الحياة الاجتماعية المنظمة فقد تم تشكيلها من قبل القوى التطورية.

(3) من وجهة نظر علم التحكم الآلي، فإن الحاجة الأكثر عمومية لتقديم أوتوماتيكية ذاتية التنظيم إلى التسلسل الهرمي المنسق هي عن طريق كبح التوجيه والتحكم الفردي لصالح التحكم من المكونات عالية المستوى.

(4) بشكل عام، يمكن أن تعمل التسلسلات الهرمية فقط عندما يحدث تعديل داخلي في العناصر التي تتكون منها.

(5) تتميز التسلسلات الهرمية الوظيفية في الحياة الاجتماعية بكل سمة من هذه السمات.

(6) إن الأفراد الذين يدخلون في مثل هذه التسلسلات الهرمية يتم تعديلهم بالضرورة من حيث أدائهم.

هذا التحليل مهم لسبب واحد فقط: أنه ينبهنا إلى التغييرات التي يجب أن تحدث عندما تصبح كل وحدة تعمل بشكل مستقل جزئيًا عن النظام. ويتوافق هذا التحول على وجه التحديد مع المعضلة المركزية لتجربتنا: كيف يتصرف الشخص الذي عادة ما يكون لائقًا ومهذبًا بشدة ضد شخص آخر داخل التجربة؟ إن الشخص عادةً ما يقوم بهذا التصرف لأن الضمير الذي ينظم التصرف العدواني المندفع، يتضاءل بشكل ملحوظ عند نقطة الدخول في هيكل هرمي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

تحول الوكيل

لقد توصلنا إلى أن التعديل الداخلي مطلوب في تشغيل أي عنصر يمكن أن يعمل بنجاح في التسلسل الهرمي، وأنه في حالة الآلية ذاتية التوجيه،

فـإن هذا يسـتلزم كبـح التحكم المـكاني لصالـح التنظيم بواسـطة مكون ذي مسـتوى أعـلى. كما ويجـب أن يكـون تصميم مثل هذا الإنسـان الآلي - إذا كان موازيًـا للوظيفـة البشرية -مرنًا بدرجة كافية للسـماح بوضعين للتشـغيل: الأول هـو التوجيه الـذاتي (أو الوضع المسـتقل) عندما يعمل تلقائيًا لإرضـاء المتطلبات الداخلية الخاصة، والثاني هو الوضع النظامي، عندما يتم دمج الانسان الآلي في هيكل تنظيمي أكبر وهنا سيعتمد سلوكه على أحد الوضعيتين التين يتخذهما.

إن المنظـمات الاجتماعية والأفراد الذين يشـتركون فيها غير مسـتثنيين مـن متطلبـات تكامل النظام. ومـا الذي يتوافـق في التجربـة البشرية مع الانتقـال مـن الوضع المسـتقل إلى الوضـع النظامي، وما هـي عواقبه من الناحية الإنسانية على وجه التحديد؟ للإجابة عن السؤال، يجب أن ننتقل من مسـتوى عـام للخطاب إلى الفحص الدقيق للشـخص وهو يتقل إلى موقع وظيفي في التسلسل الهرمي الاجتماعي.

أين يمكن أن يوجد مفتاح التحكم بالبشر والذي ينقلهُم من الوضع المستقل إلى الوضع المنهجي؟ فليس بأقل من حالة الإنسان الآلي، هناك بالتأكيـد تغيير في العمليات الداخلية للشـخص، وهذه بدورها تُقلّص إلى تحولات في أنماط الأداء المحايد حيثُ تعمل مثبطات المواد الكيميائية على تغيير احتمالية وجود مسـارات وسلسـلة مسـتخدمة ومحايدة. لكن تحديـد هـذا الفعل على مسـتوى علم الأعصـاب الكيميائـي أمر يفوق مهارات البشر الفنية بشـكلٍ كبير. ومع ذلـك، هناك تعبير ظاهري عن هذا التحـول الذي يمكننا الوصول إليه وهنا ينعكس التحول الحاسـم

في الأداء الى تغيير الموقف. وعلى وجه الخصوص، فإن الشخص الذي يدخل في منظومة السلطة ستصبح تصرفاتِهِ خاليةً من السمة الشخصية لأهدافه الخاصة، بل أصبح يرى نفسه وكيلاً لتنفيذ رغبات شخص آخر. ولمجرد تصوره لعملِهِ - كفرد - في ضوء ذلك، تحدث تغييرات عميقة في سلوكه وأدائه الداخلي. وهذا الشيء أصبح واضحًا بحيث أن المرء بإمكانه القول إن هذا الموقف المتغير يضع الفرد في حالة مختلفة عن تلك التي كان عليها قبل الدخول تحت مظلة التسلسل الهرمي. وهذه الحالة سأطلق عليها تسمية «الوكيل»، والتي أعني بها حالة الشخص عندما يرى نفسه وكيلاً لتنفيذ رغبات شخص آخر. وهذا المُصطلح سيُستخدم في الجهة المقابلةِ لمصطلح الاستقلالية - أي عندما يرى الشخص نفسه يتصرف بمفرده.

إن حالة الوكيل هي الموقف الرئيسي الذي يتدفق منه السلوك المُلاحَظ. فحالة الوكالة ليست إلا مجرد عبء اصطلاحي يُفرض على القارئ؛ وهي المفتاح الرئيسي باتجاه تحليلنا. وفي حالة كون التحليل مُجديًا، فسنجد أن الملاحظات المختبرية ستتوقف معًا عند ربطها بها. وإن كانت غير لازمة، فسنجد أنها لن تغير مضمون النتائج التي توصلنا لها. ولتحقيق مستوىً أعلى من الوضوح، اسمحوا لي ثانيةً أن أحدد المقصود بحالة الوكالة والتي يمكن تعريفها من وجهتي النظر السيبرانية والظاهرية.

فمن وجهة نظر التحليل السيبرانية، فإن حالة الدول الوكيلة تحصل عندما يتم تعديل كيان ذاتي التنظيم من الداخل لأجل السماح له بالعمل ضمن نظام تحكم هرمي.

أما من وجهة النظر الظاهرية، يكون الشـخص في حالة الوكالة عندما يعـرّف نفسـه في موقـف اجتماعي بطريقة تجعلـه عرضة للتنظيـم من قبل شخص ذي مكانة أعلى. وفي هذه الحالة، لم يعد الفرد يعتبر نفسه مسؤولاً عن أفعاله ولكنه يقدّم نفسـه على أنه أداةٌ لتنفيذ رغبات الآخرين.

ويكـون للشـخص ميزة حرية الخيار ومـا إذا كان يريد أن يقدّم نفسـه بهذه الطريقة أم لا، ولكن بسبب وجود بعض من المحررين البارعين، فإن القـدرة على القيـام بذلك تحتاج إلى القوة، ولا يمكـن عكس هذا التحول بشكلٍ حر.

ونظرًا لأن حالة الوكالة هي إلى حد كبير حالة ذهنية، سـيعزي البعض هـذا التحـول في الموقف إلى كونه ليـس تغييرًا حقيقيًا في حالة الشـخص. ومع ذلك، أود أن أزعم أن هذه التحولات في الأفراد تعادل بالضبط تلك التغيرات الرئيسية في النظام المنطقي للإنسان الآلي والتي طُرِحت سابقًا. بالطبـع، ليس لدينا مفاتيح تبديل منبثقة من أجسـادنا، كـما أن التغيرات تحدث بشكلٍ متشابك، مع ذلك لن تكون أقل واقعية.

11
عملية الطاعة: تطبيق التحليل على التجربة

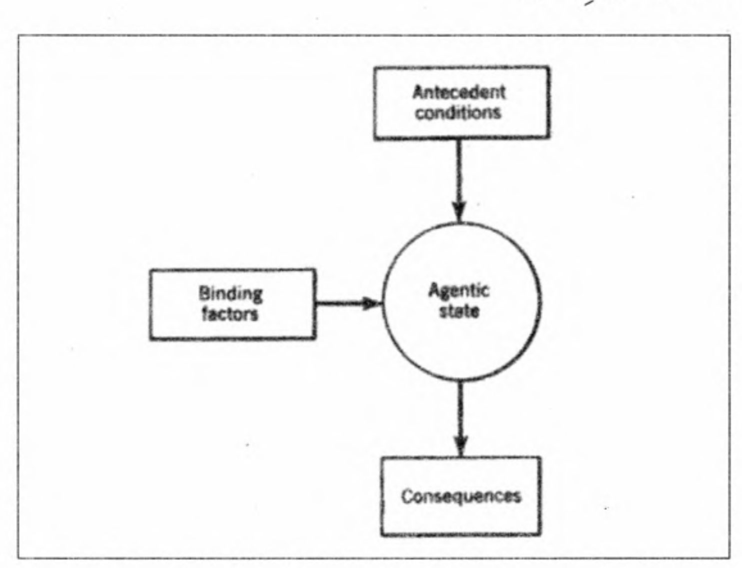
الآن بعد أن أصبحت حالة الوكيل في مركز تحليلنا (كما هي موضحةٌ بيانيًا في الصفحة التالية) تطرح بعض التساؤلات المهمة. أولاً: في أي الظروف ينتقل الشخص من وضع مستقل إلى وضع الوكيل؟ (الشروط سابقة الذكر). ثانيًا: بمجرد حدوث التحول، ما هي الخصائص السلوكية والنفسية للشخص التي تغير (النتائج)؟ ثالثًا: ما الذي يُبقي الشخص في حالة الوكيل؟ (العوامل الرابطة). هنا يتم التميز بين الشروط التي تؤدي إلى الدخول إلى الدولة وتلك التي تحافظ عليها. دعونا ننظر الآن في العملية بالتفصيل.

شروط الطاعة السابقة

أولاً، نحتاج إلى النظر في القوى التي أثرت على الشخص قبل أن يصبح متدربًا لدينا، وهذه القوى هي التي شكلت توجهها الأساسي تجاه العالم الاجتماعي وأسست لوجود للطاعة.

الأسرة

إن نشأة المتدرب كانت بين هياكل السلطة، فمنذ سنواته الأولى تعرّض لتنظيم الوالدين، حيث تم غرس الشعور باحترام سلطة الكبار. كما أن أوامر الوالدين هي أيضًا تعتبر مصدر الضرورات الأخلاقية. ومع ذلك، عندما يأمر أحد الوالدين الطفل باتباع أمر أخلاقي، فإنه في الواقع يقوم بأمرين. الأول، يقدم محتوى أخلاقيًا محددًا يجب اتباعه. والثاني، يقوم بتدريب الطفل على الامتثال للأوامر الرسمية في حد ذاتها. وبالتالي، عندما يقول أحد الوالدين، «لا تضرب الأطفال الصغار» لا يعطي أمرًا واحدًا وانما أمرينِ اثنين.



الأمر الأول يتعلق بالطريقة التي يتعامل بها متلقي الأمر مع الأطفال الصغار (النموذج الأولي لأولئك الذين لا يطيقون عمل أي شيء أو الذين لا يملكون أية حيلة أي الأبرياء)؛ الأمر الثاني والضمني هو «أطعني!» وبالتالي، فإن نشأة مُثُلنا الأخلاقية لا تنفصل عن غرس موقف

مطيع. ويُضاف الى ذلك، أن العمل على تحقيق الطاعة يبقى العنصر الوحيد الثابت عبر مجموعة متنوعة من الأوامر المحددة، وبالتالي يميل إلى اكتساب قوة غير مسبوقة بالنسبة إلى أي محتوى أخلاقي معين.

الإعداد المؤسسي

بمجرد أن يخرج الطفل من نظام الأسرة، يتم نقله إلى نظام سلطة المدرسة. وهنا، لا لا يقتصر التعليم على المقررات الدراسية فقط، بل يتعداها الى تعليم الطفل الكيفية المناسبة للعمل ضمن إطار تنظيمي. ويُصار إلى تنظيم أفعاله إلى حد كبير من قبل مدرسيه ومعلميه، وهو بذلك يكون مدركًا أنهم بدورهم كآمرين لهُ يخضعون لانضباط ومتطلبات مدير المدرسة. وهنا يلاحظ الطالب أن الغطرسة ليست مقبولة من قبل السلطة المدرسية وتعتبر أمرا سلبيًا وتُقابل بالتوبيخ المتكرر لذا يجب عليه احترام السلطة ممثلةً بالنظام المدرسي كسبيلٍ مناسب ومريح.

وبعد مُضي السنوات العشرين الأولى من حياة الشاب في العمل كعنصر ثانوي في نظام السلطة وتركهِ للمدرسة، عادةً ما ينتقل الذكر إما إلى وظيفة مدنية أو خدمة عسكرية. وأثناء تأديتهِ للوظيفة، يتعلم أنه على الرغم من أن بعض المعارضة التي تم التعبير عنها بشكل سري مسموح بها، إلا أن الموقف الأساسي للخضوع مطلوب للعمل المتناغم مع الرؤساء. ومع ذلك، ينالُ قدرًا كبيرًا من الحرية الفردية، ويتم تعريف الموقف على أنه الوضع الذي يقوم فيه بعمل يحدده شخص آخر.

في حين أن وجود هياكل السلطة في جميع المجتمعات سواءً كانت المتقدمة أو البدائية منه فهو أمر ضروري، وإن المجتمع الحديث له خاصية

إضافية مُمثلةً في تعليم الأفراد كيفية الاستجابة للسلطات غير الشخصية. في حين أن الخضوع للسلطة ربما لا يكون أقل بالنسبة لفردٍ من شعب أشانتي (مجموعة عِرقية تقطنُ في غرب قارة افريقيا) مما هو لعاملٍ في مصنع أمريكي، فنطاق الأشخاص الذين يشكلون السلطة للمواطن الأصلي عادةً ما يكونونَ مألوفين له جميعهم، بينما يجبر العالم الصناعي الحديث الأفراد على الخضوع لسلطات غير شخصية، لكي تُجرى الردود على رتبة مجردة، يشار إليها بشارة أو زي موحد أو لقب.

المكافآت

خلال هذه التجربة مع السلطة، هناك مواجهة مستمرة مع هيكل المكافأة حيث أن الامتثال للسلطة بشكلٍ عام يُكافئ وهذا أمرُ بديهي والذي يقابلهُ هو العقوبة في حالة عدم الامتثال للأمر. وعلى الرغم من أن العديد من أشكال المكافأة يتم تخصيصها للامتثال للواجب، إلا أن أكثرها تأثيرًا هو عملية نقل الفرد إلى مكانةٍ معينةٍ في التسلسل الهرمي، وبالتالي تُبقى الحصاةُ على طيرين فبها يُحفّز الشخص وكذلك يُديم الهيكل في وقت واحد. هذا الشكل من المكافأة يسمى «الترقية»، والذي يحمل في طياته إشباعًا عاطفيًا عميقًا للفرد، لكن ميزته الخاصة هي حقيقة أنه يضمن استمرارية الشكل الهرمي للفرد.

إن النتيجة النهائية لهذه التجربة هي استيعاب النظام الاجتماعي، بمعنى استيعاب مجموعة البديهيات التي من خلالها تُدار الحياة الاجتماعية. كما أن المبدأ الرئيسي هو: افعل ما يقوله مسؤولك تمامًا مثلما يتم استيعاب القواعد النحوية، وبالتالي يمكننا أن نفهم وننتج جملاً جديدة، فإننا

نستوعب القواعد البديهية للحياة الاجتماعية التي تمكننا من تلبية المتطلبات الاجتماعية في المواقف الجديدة. وما يتطلب الامتثال للسلطة يفترض مكانة عليا والذي بدورهِ يقع في أي تسلسل هرمي للقواعد.

إذًا بين الظروف السابقة، التجربة الأسرية للفرد والإطار المجتمعي العام المبني على أنظمة غير شخصية للسلطة، وكذلك الخبرة الممتدة مع هيكل المكافأة الذي يتم فيه فرض الامتثال للسلطة ومعاقبة عدم الامتثال في الوقتِ ذاته. بينما توفر بلا شك الخلفية التي تشكلت على أساسها عادات سلوك المتدرب، وهذه الشروط غالبًا ما تكون خارجةً عن سيطرة التجريب. والآن دعونا ننتقل إلى العوامل الأكثر إلحاحًا، ضمن حالة معينة، والتي تؤدي إلى الدولة الفاعلية.

الشروط الفورية المسبقة

إن الشرط الأول اللازم للانتقال إلى دولة الوكيل – في تصور السلطة – هو إدراك السلطة الشرعية. ومن وجهة نظر نفسية، تعني السلطة الشخص الذي يُنظر إليه على أنه في وضع للسيطرة الاجتماعية داخل موقف معين. ويُنظر إلى السلطة في سياقها ولا تتعدى بالضرورة الحالة التي تواجهها. فعلى سبيل المثال، إذا واجه المجرب المتدرب في الشارع، فلن يكون له تأثير خاص عليه كما في سلطة الطيار على ركابه التي لا تتجاوز حدود داخل الطائرة. ولأن السلطة مدعومة بشكل معياري، هناك توقُع مشترك بين الناس بأن مواقف معينة عادة ما يكون لها شخصية مُسيطِرة اجتماعيًا. وليس من الضروري أن تمتلك السلطة مكانةً عالية بمعنى «الهيبة». فعلى سبيل المثال، إن دخول المسرح هو مصدر للسيطرة

الاجتماعية التي عادة ما نخضع لها بشكلٍ طوعي، لأن قوة السلطة لا تنبع من الخصائص الشخصية ولكن من موقعها في البنية الاجتماعية.

يبدو للوهلة الأولى أن السؤال عن كيفية تواصل السلطة مع نفسها لا يتطلب إجابة خاصة. حيث يبدو أننا نعرف دائمًا من هو المسؤول. ومع ذلك، يمكننا اختبار السلوك مختبريًا لمحاولة تشريح العملية قليلاً.

أولاً، يدخل المتدرب الموقف مع توقع أن تكون هناك مسؤوليةٌ معينةٌ لشخص ما. وهكذا، فإن المجرب عند تقديم نفسه لأول مرة، يملأ فجوة يعاني منها المتدرب. وعلى ضوء ذلك، لا يحتاج المجرب إلى تأكيد سلطته، بل مجرد تحديدها لكونه فعل ذلك من خلال بضع الملاحظات التمهيدية، وبما أن هذه الطقوس التي تحدد الذات تتناسب تمامًا مع توقع الذات بمقابلة رجل مسؤول، فستكون خاليةً من التحدي. كما أن العامل الداعم هو الثقة و «جو السلطة» الذي أظهره المجرب. فمثلما يتمتع الخادم بأسلوبٍ محترم، كذلك فإن سيده يُبدي حضورًا آمرًا ينقل مكانته بمهارة الهيمنة داخل الموقف المطروح.

ثانيًا، غالبًا ما تُستخدم أشياء خارجية للدلالة على السلطة في موقف معين. حيث كان مجربنا يرتدي معطفًا رماديًا والذي قام بوضعهِ في المختبر. ويُعتبر زي الشرطة والجيش وأي زيٍّ رسمي هو أكثر علامات السلطة وضوحًا في التجربة المشتركة. ثالثًا، يشير المتدرب إلى عدم وجود سلطات منافسة. (لا أحد يدّعي أنه المسؤول، وهذا يساعد في تأكيد الافتراض بأن القائم بالتجربة هو الرجل المناسب). رابعًا، لا

توجد عوامل شـاذة بشكل واضح (مثلاً، طفل في سن الخامسة يدّعي أنه عالم).

إنـه مظهر السـلطة وليس السـلطة الفعلية التي يسـتجيب لها المتدرب بحيـث أنـه ما لم تظهـر معلومات متناقضة أو حقائق شـاذة، فـإن التعيين الذاتي للسلطة دائمًا ما يكون كافيًا.

الدخـول في نظـام الهيئة يُعتبر ثـاني الشروط المؤديـة إلى التحول إلى حالة الوكيل وهو تعريف الشـخص كجزء من نظام السلطة المعني. فلا يكفي أن نـدرك السـلطة، بحيث يتوجب أن يكون هو السـلطة الـذي يتواصل معنا. وهكـذا، إذا شـاهدنا موكبًا، وسـمعنا عقيدًا يهتف: «اسـتدر يسـارا»، فإننا لا نسـتدير لليسـار، لأننا لم نعرّف عـلى أننا تابعون لأمره. هنـاك دائمًا انتقال مـن تلك اللحظة التي من خلالها نقف خارج نظام السـلطة إلى تلك النقطة التي تضعنا بداخله. وإن أنظمة السـلطة غالبًا ما تكون مقيدة بسياق مادي، وغالبًـا مـا نقع تحـت تأثير سـلطةٍ معينةٍ عندما نعـبر العتبة الماديـة إلى مجالها. حقيقـةً، إن هـذه التجربة الي يتم إجراؤها في المختبر لهـا علاقة كبيرة بدرجة الطاعـة المطلوبة وذلك لوجود الشـعور بأن المجـرب «يمتلك» هذه المنطقة وأن المتـدرب يجـب أن يتصرف بشـكل لائـق على هذا الأسـاس كما لو كان ضيفًا في منزل شخص ما. وإذا تم إجراء التجربة خارج المختبر، فإن الطاعة ستنخفض بشكل حاد والأهم من ذلك، بالنسبة للتجربة الحالية، هو حقيقة أن الدخول إلى عالم سـلطة المجرب هـو أمر طوعي، ويتم من خلال الإرادة الحرة للمشـاركين. وتتمثل النتيجة النفسية المنطقية للدخول الطوعي في أنه يخلق إحساسًا بالالتزام الذي سيلعب لاحقًا دورًا في ربط المتدرب بدوره.

إذا تـم تقديم المدربـين للتجربة بالقـوة، فقد يخضعون للسـلطة، لكنّ الآليات النفسـية ستكون مختلفة تمامًا عما لاحظناه. وبشكل عام – وحيثما أمكـن – يحـاول المجتمع خلق شـعور بالانضـمام الطوعي إلى مؤسسـاته المختلفـة. فعنـد الالتحـاق بالجيش، يؤدي المجندون قسـم الـولاء، ويتم تفضيل المتطوعين على المجندين. في حين أن الناس سوف يمتثلون لمصدر للرقابـة الاجتماعية تحت الإكراه (كما هو الحـال عندما يتم توجيه البندقية إليهـم)، لأن طبيعـة الطاعـة في ظـل هـذه الظـروف تقتصر عـلى المراقبة المبـاشرة. وعندمـا يغادر المسـلح، أو تـزول قدرته على التوجيـه، تتوقف الطاعة. في حالة الطاعة الطوعية لسلطة شرعية، فإن العقوبات الأساسية للعصيـان تأتي من داخل الشـخص. لأنها لا تعتمد عـلى الإكراه، إنما تنبع مـن إحسـاس الفرد بالالتـزام بدوره. وبهـذا المعنى، هناك أسـاس داخلي لطاعته، وليس مجرد أساس خارجي.

تنسـيق القيـادة مـع وظيفة السـلطة. إن السـلطة هـي مصـدر الرقابة الاجتماعية في سياق محدد. ويحدد السياق نطاق الأوامر التي تُعتبر مناسبةً للسـلطة المعنية. بشكل عام، يجب أن يكون هناك رابط واضح بين وظيفة الشـخص المسـيطر وطبيعـة الأوامر التـي يصدرهـا. فلا يلـزم أن يكون الاتصـال جيدًا للغاية، ولكن يجـب أن يكون منطقيًا فقط بالطريقة الأكثر عموميـة. وبالتـالي في الحالة العسـكرية، قد يأمر الرئيس أحد المرؤوسـين للقيـام بعمل خطير للغاية، لكنه قـد لا يأمر المرؤوس باحتضان صديقته. ففي إحدى الحـالات، يرتبط النظام منطقيًا بالوظيفة العامة للجيش، وفي الحالة الأُخرى لا يرتبط بذلك.

في تجربة الطاعة، يعمل المتدرب في سياق تجربة التعلم ويرى أن أوامر المجرب منسقة بشكل مفيد مع دوره. في سياق المختبر، يُعتقد أن هذه الأوامر مناسبة بشكل عام، ومع ذلك، هناك طريقة واحدة تتجادل مع بعض التطورات المحددة التي تحدث لاحقًا.

نظرًا لأن المجرب يصدر أوامر في سياق يُفترض أنه معروفٌ مسبقًا فتزداد قوته. وبشكل عام، تشعر السلطات بأنها تعرف أكثر من الشخص الذي تتولى قيادته؛ سواء فعلوا الأوامر أم لا. حتى عندما يمتلك المرؤوس درجة أكبر من المعرفة التقنية من رئيسه، يجب ألا يفترض أنه يتجاوز حق السلطة في القيادة ولكن يجب عليه تقديم هذه المعرفة إلى الرئيس وهو بدوره يتصرف بها على النحو المطلوب. فحدوث مصدر نموذجي للإجهاد في نظام السلطة هو عندما يكون الشخص المسؤول غير كفء لدرجة تعريض المرؤوسين للخطر.

الأيديولوجيا الشاملة. إن تصور مصدر شرعي للرقابة الاجتماعية في إطار مناسبة اجتماعية معينة هو شرط مسبق ضروري للانتقال إلى النظام الفاعلي. لكن شرعية المناسبة نفسها تعتمد على إفصاحها عن أيديولوجية مبررة. وعندما يدخل الأشخاص المختبر ويُطلب منهم تأدية ما عليهم، فإنهم لا يصرخون في حيرة من أمرهم: «لم أسمع بالعلم قط! ماذا يقصد بهذا؟» فضمن هذه الحالة، توفر فكرة العلم وقبوله كمؤسسة اجتماعية شرعية التبرير الأيديولوجي الشامل للتجربة. وبدورها توفر مؤسسات مثل الكنيسة والحكومة والمؤسسة التعليمية مجالات مشروعة أُخرى للنشاط، لأن كلاً منها تبرره قيم واحتياجات المجتمع، وأيضًا من وجهة

نظر الشخص النموذجي المقبولة لأنها موجودة كجزء من العالم الذي ولد وينمو فيه. وهنا يمكن ضمان الخروج عن الطاعة في مثل هذه المؤسسات، لكنها لن تكون شكلاً من أشكال الطاعة الإرادية، حيث يلتزم الشخص بحس قوي لفعل الشيء الصحيح. وعلاوة على ذلك، إذا تم إجراء التجربة في ثقافة مختلفة تمامًا عن ثقافتنا - على سبيل المثال، بين أقوام التروبياندرز - فسيكون من الضروري إيجاد المكافئ الوظيفي للعلم من أجل الحصول على نتائج مماثلة نفسية. فقد لا يؤمن التروبياندرز بالعلماء، لكنهم يحترمون الأطباء. ربما كان المسيحي الإسباني في القرن الرابع عشر قد تجنب العلم، لكنه اعتنق أيديولوجية كنيسته، وقد شدد الخناق دون أي مشكلة في الضمير من أجل الحفاظ عليها.

إن التبرير الأيديولوجي يعتبرُ أمرًا حيويًا لتحقيق الطاعة الطوعية، لكونهِ لا يسمح للشخص أن يرى سلوكه على أنه هدف مرغوب فيه ولكن فقط عند النظر إليها في ضوء ذلك، فيتم فرض الامتثال بسهولة.

إذًا، يتكون نظام السلطة من شخصين على الأقل يتشاركان في توقع أن أحدهما له الحق في وصف السلوك للآخر. ففي الدراسة الحالية، يظهر المجرب على أنهُ العنصر الأساسي في نظام يمتد إلى ما وراء شخصه. ويشتمل النظام على إعداد التجربة، والمعدات المختبرية المناسبة، والأجهزة التي تغرس الإحساس بالالتزام في المتدرب، إضافةً الى سحر العلم الذي تعد التجربة جزءًا منه، والأسلاك المؤسسية الواسعة التي تسمح لمثل هذه الأنشطة في الدعم المجتمعي المنتشر الذي تنطوي عليه حقيقة أن التجربة يتم إجراؤها والتعامل معها في مدينة متحضرة.

يكتسب المجرب قدرته على التأثير في السلوك ليس بحكم ممارسة القوة أو التهديد ولكن بحكم المنصب الذي يشغله في بنية اجتماعية. فهناك اتفاق عام ليس فقط على أنه يمكنه التأثير على السلوك ولكن يجب أن يكون قادرًا على ذلك. وهكذا، فإن قوته تأتي إلى حد ما من خلال موافقة أولئك الذين يرأسهم. ولكن بمجرد منح هذه الموافقة في البداية، لا يتم سحبها تلقائيًا أو بدون تكلفة كبيرة.

دولة الوكيل

ما هي خصائص دولة الوكيل، وآثارها على الذات أو فيما يخص الشخص؟

عادةً ما ينتقل الشخص إلى حالة الوكيل، ويصبح شيئًا مختلفًا عما سبق، مع خصائص جديدة لا يمكن تتبعها بسهولة مع شخصيته المعتادة.

أولاً، إن المجموعة الكاملة من الأنشطة التي يقوم بها المتدرب تتخللها علاقته بالمجرب؛ وعادةً ما يرغب المتدرب في الأداء بكفاءة وأن يظهر بشكل جيد أمام هذا الشخص الأساسي. فيقوم بتوجيه انتباهه إلى سمات الموقف المطلوبة لمثل هذا الأداء الكفء. وبحالةٍ من الالتزام بالتعليمات، يركز على المتطلبات الفنية لإدارة الصدمات، واجدًا نفسه قد استغرق في المهام الفنية الضيقة المطروحة. وهنا تتقلص معاقبة المتعلم لتأخذ حيزًا ضئيلاً من التجربة كاملةً، فقط بمجرد لمعان الأنشطة المعقدة للمختبر.

الضبط

قد يعتقد أولئك الذين ليسوا على دراية بالتجربة أن مأزق المتدرب الذي يتعرض فيه للهجوم من قبل قوى متضاربة تكون بدورها منبثقة

مـن المجرب. ومع ذلك فقد تحدث عمليـة الضبط في المتدرب، مع أقصى قدر ممكنٍ من القبول لانبعاثات السلطة، في حين أن إشارات المتعلم غالبًا مـا تكون صامتة وبعيدة من الناحية النفسـية. ولأولئك الذين يشـككون في هذا التأثير قد يلاحظون سـلوك الأفراد المنظمين في هيكل هرمي. وفي حالة اجتماع رئيس الشركة مع مرؤوسـيه فإن استجابة المرؤوسين باهتمام بالـغ لـكل كلمة ينطق بهـا الرئيس سـتفي بالغرض. كـما أن الأفكار التي ذكرها الأشخاص في الأصل حول كيفية عدم سماع الوضع المتدني في كثير مـن الأحيان يتـم الترحيب بها بحماس، ولكن فقـط في حالة تكرارها من الرئيس.

فهنـا يخلـو الضرر بشـكل خـاص، وذلك لأنـهُ يعكس الاسـتجابات الطبيعية للسـلطة خصوصًا إذا استكشـفناه بعمق أكثر سنتمكن من رؤية السـبب لِذلك؛ والشخص الذي في السـلطة - بحكم هذا المنصب - هو في الوضع الأمثل لمنح الفوائد أو إلحاق الحرمان. ويمكن للمجرب طرده أو الترويـج لـه؛ كـما هو ممكـنٌ للقائـد العسـكري في أن يرسـل رجلاً إلى قتـال خطير أو يعطيه وظيفة سـهلة؛ وبالمثل موافقـة الأب على الزواج أو أمـره بإجراءاته؛ وبالتالي، فإنه من الواجـب التكيف مع المخاوف الدقيقة لأهواء السلطة.

لهذا السـبب، يُنظر إلى السـلطة على أنها شيء أكبر من الفرد. وغالبًا ما ينظر الفرد إلى السـلطة على أنها قوة غير شخصية تتجاوز أوامرها عن أنها مجـرد رغبـة بشرية. كما أن أولئك الذين في السـلطة يكتسـبون - بالنسـبة للبعض - شـخصية فوق البشرية.

إن حدوث ظاهرة الضبط التفاضلي بانتظام مثير للإعجاب في التجربة قيد البحث والتي من خلالها يعمل المتعلم في ظل إعاقة مفادها أن المتدرب ليس متوافقًا معه حقًا، وذلك لأن مشاعر وإدراك المتدرب يسيطر عليها وجود المجرب. وبالنسبة للعديد من المتدربين، يصبح المتعلم ببساطة عقبة غير سارة تتدخل في تحقيق علاقة مرضية مع المجرب. فتوسلاته من أجل الرحمة ماهي إلا حالةٌ تبعيةٌ فقط لأنها تضيف بعض الانزعاج إلى ما هو مطلوب بوضوح من المتدرب إذا كان سيحصل هذا في الموقف على الموافقة الشخصية العاطفية المركزية.

إعادة تعريف معنى الموقف (الحالة)

إن الطريقة التي يفسر بها الرجل عادةً ما تحكم عالمه، والتي قد قطعت شوطًا طويلاً نحو التحكم في سلوكه وهذا هو السبب في أن الأيديولوجيا والتي هي محاولة لتفسير حالة الإنسان، هي سمةٌ دائمة البروز للثورات والحروب والظروف الأُخرى التي يُطلب فيها من الأفراد القيام بعمل غير عادي. حيث أن الحكومات تستثمرها بكثافة في الدعاية والتي بدورها تشكل الطريقة الرسمية لتفسير الأحداث.

بالإضافة الى ذلك يمتلك كل موقف أيضًا نوعًا معينًا من الأيديولوجيا، والذي نسميه تعريف حالة الموت «وهو تفسير لمعنى مناسبة اجتماعية وذلك لأنه يوفر المنظور الذي من خلاله تكتسب عناصر الموقف المتسق. فقد يبدو أن إحدى وجهات النظر تتبع نفس الإجراء الذي يُنظر إليه من منظور آخر على أنه يبدو مُبررًا بشكلٍ تام. وهناك ميل للناس لقبول تعريفات الفعل التي توفرها السلطة الشرعية

أي على الرغم من أن الفاعل يؤدي الإجراء المطلوب، إلا أنه يسمح للسلطة بتحديد معناه.

إن الإلغاء الأيديولوجي للسلطة هو الذي يشكل الأساس المعرفي الرئيسي للطاعة. فإذا كان العالم أو الموقف - كما تحدده السلطة - فإن مجموعةً معينةً من الإجراءات يجب أن تُتبع بصورةٍ منطقيةٍ أكثر.

وبالتالي، لا يمكن النظر إلى العلاقة بين السلطة والذات على أنها علاقة تُفرض فيها شخصيةٌ قسريةٌ العملَ من مرؤوس غير راغب وذلك لأن المتدرب يقبل تعريف السلطة للموقف الذي من خلاله يتبع الإجراء طواعيةً.

فقدان المسؤولية

إن أكثر نتائج تحول الوكيل تكون بعيدة المدى فيمكن أن يشعر الإنسان بالمسؤولية تجاه السلطة التي توجهه ولكنه لا يشعر بالمسؤولية عن محتوى الأفعال التي تحددها السلطة. فالأخلاق لا تختفي عادةً لكنها تكتسب تركيزًا مختلفًا جذريًا، ويشعر الشخص المرؤوس بالخزي أو الكبرياء اعتمادًا على مدى كفاية أدائه للأعمال التي تدعو إليها السلطة.

وتؤدي اللغة ميزة توفير مصطلحاتٍ عديدةٍ لتحديد هذا النوع من الأخلاق: فالولاء والواجب والانضباط، وكلها مصطلحات مشبعة بشدة بالمعنى الأخلاقي تمثل الاشارة إلى الدرجة التي يفي بها الشخص بالتزاماته تجاه السلطة. وأنها لا تشير إلى «خير الشخص في حد ذاته ولكنها تشير إلى مدى كفاية أداء المرؤوس لدوره المحدد اجتماعيًا». كما أن الدفاع الأكثر تكرارًا عن الفرد الذي قام بعمل شنيع تحت قيادة السلطة هو أنه

فعلــهُ ببســاطة لكونهُ واجبــه، وكتأكيد لهـذا الدفاع، لا يقـدم الفرد حجةً ملفقةً في الوقت الحالي، ولكنه يبلّغ بصدق عن الموقف النفسي الناجم عن خضوعهِ للسلطة.

ولغرض تحقيق الشعور بالمسـؤولية للرجل عن أفعاله، يجب أن يشعر بأن السـلوك قـد انبثق من الـذات. في الحالـة التي درسـناها، يكون لدى الأشـخاص وجهة نظر معاكسـة لأفعالهم تمامًا، أي أنهم يرونها ناشئةً عن دوافع شخص آخر. وهذا الشيء الذي ذكرهُ الأشخاص في التجربة بشكلٍ متكرر، «لو كان الأمر بيدي، لما قمت بتوجيه الصدمات للمتعلم».

ويُشـار إلى أن وظائـف الأنـا العليـا تتحـول مـن تقييم الخير أو سـوء الأفعـال إلى تقييـم مـدى جودة أو ضعـف أداء المرء في نظام السـلطة لأن القـوى المثبطة التي تمنع الفرد من التصرف بقسـوة ضـد الآخرين بمفرده تمتاز بأنها مختصرة، كما أن الأفعال لم تعد مقيدة بالضمير.

حتـى إذا اعتبرنـا بأن شـخصًا لطيفًا في الحياة اليوميـة حتى في لحظات الغضب لا يهاجم من أحبطه فإنهُ يشـعر بـأن توبيخ الأطفال المزعجين أو القيام بضربهم هو أمر غير مستحسـن؛ وفي واقـع الأمر قد يُصاب الجهاز العضـلي بـين ذراعيه بالشـلل إذا ما فعـل ذلك، ويتخلى عـن المهمة. ومع ذلـك، عندمـا يتم قبولـه في الخدمة العسـكرية، يُؤمـر بإلقـاء القنابل على الناس، ويقوم بذلك، وبالتالي لا يتم فحصه بواسطة القوى المثبطة لنظامه النفـسي الداخـلي. وخـلال فترة نشـأته، تعلم الفـرد العـادي التحقق من التعبـير عـن النبضـات العدوانية. وهذه الحالة التي فشـلت بهـا الثقافة – بشـكل شـبه كامل – في غرس الضوابـط الداخلية على الإجـراءات التي

تعود أصولها إلى السلطة. ولهذا السبب، فإن هذا الأخير يكون خطرةُ أكبر بكثير على بقاء الإنسان.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الصورة الذاتية

ليس من المهم فقط للناس أن يظهروا بمظهر جيد للآخرين، بل يجب أن يبدوا أيضًا بمظهر حسن تجاه أنفسهم. ويمكن أن تكون الأنا المثالية للشخص مصدرًا مهمًا للتنظيم الداخلي. فبعد تأدية عملٍ قاسٍ، قد يكون تقييم عواقبه على صورته الذاتية سلبيًا ويمتنع عن فعله. ولكن بمجرد أن ينتقل الشخص إلى حالة الفاعلية، فإن آلية التقييم هذه تكون غائبة تمامًا. إن الفعل ونظرًا لأنه لم يعد ينبع من دوافع خاصة به، لم يعد ينعكس على صورته الذاتية وبالتالي فإن عواقبهُ على تصور الذات غالبًا ما تنعدم. في الواقع، كثيرًا ما يميز الفرد تعارضًا بين ما يريده هو نفسه من جهة وما هو مطلوب منه من جهة أُخرى. وذلك لأنه يرى الفعل – على الرغم من قيامه به – غريبًا عن طبيعته. لهذا السبب، فإن الأفعال التي تتم تحت القيادة هي من وجهة نظر الشخص المعني، لا تُعتبر مؤشرًا على الذنب تقريبًا، مهما كانت غير إنسانية. وهنا يقوم المتدرب بتأكيد قيمتِهِ باتجاه السلطة.

الأوامر ودولة الوكيل

تشكل الدولة الفاعلة إمكانيةً تتدفق منها أعمال طاعة محددة ولكن هناك دائمًا حاجة إلى شيء أكثر من الإمكانات – أي أوامر محددة تعمل كآلية –. لقد أشرنا بالفعل إلى أنه وبشكلٍ عام، يجب أن تكون الأوامر المعطاة متسقة مع دور السلطة. حيث يتكون الأمر من جزأين رئيسيين

هما: تعريف الإجراء وضرورة تنفيذ الإجراء. (فالطلب، على سبيل المثال، يحتوي على تعريف للإجراء ولكنه يفتقر إلى الإصرار على تنفيذه).

إذًا إن الأوامر غالبًا ما تؤدي إلى أعمال طاعة محددة. فهل مصطلح دولة الوكيل مجرد كلمة أُخرى للطاعة؟ لا، إنها حالة التنظيم العقلي التي تزيد من احتمالية الطاعة، فالطاعة هي الجانب السلوكي للدولة فقد يكون الشخص في حالة وكيل - أي في حالة الانفتاح على التنظيم من السلطة - دون أن يُعطى أي تفويض وبالتالي لا يضطر إلى الانصياع إطلاقًا.

عوامل ملزمة

ما الذي يُبقي الشخص في حالة الوكيل؟ عندما يتم ربط العناصر في تسلسل هرمي يجب أن تكون هناك قوى للحفاظ عليها في تلك العلاقة. وفي حالة عدم كونها موجودة فإن أقل اضطراب سيؤدي إلى تفكك الهيكل. لِذلك وبمجرد إدخال الناس في التسلسل الهرمي الاجتماعي، يجب أن يكون هناك بعض آليات التعزيز لمنح الهيكل الحد الأدنى من الاستقرار على الأقل.

عادةً ما يُفسر الموقف التجريبي من قِبل بعض الناس على أنه يمكن للمتدرب وبطريقةٍ عقلانية للغاية أن يزن القيم المتضاربة في الموقف، وكذلك معالجة العوامل وفقًا لبعض الحسابات الذهنية، مؤسسًا بذلك أفعاله على نتيجة هذه المعادلة. وبالتالي، فإن مأزق الذات ينحصر في مشكلة اتخاذ القرار العقلاني. ويتجاهل هذا التحليل جانبًا مهمًا من السلوك الذي أضاءته التجارب. وعلى الرغم من أن العديد من المجموعات الفرعية تتخذ قرارًا فكريًا بعدم توجيه المزيد من الصدمات للمتعلم، إلا أنها غالبًا

مـا تكون متمكنـةً من تحويل هذه القرار إلى أفعال. وعند مشـاهدة هؤلاء المتدربـين في المختـبر، يمكن للمرء أن يشـعر بكفاحهم الداخلي لتخليص أنفسـهم من السلطة، في حين أن الروابط غير المحددة ولكن القوية بذات الوقت تحبسـهم في مولـد الصدمـات الكهربائية. في مرةٍ مـن المرات يُخبر أحد الأشـخاص المجـرب: «لا يمكنه تحمل ذلك. لـن أقتل ذلك الرجل هنـاك وأنت تسـمعه يصرخ هناك، إنـه يصرخ إذ لا يمكنـه تحمل ذلك». فعلى الرغم من قرار المتدرب – في المسـتوى اللفظي – بعدم الاسـتمرار، إلا أنه يواصل التصرف وفقًا لأوامر المجرب. وعلى الأغلب يقوم العديد من الأشـخاص بتصرفاتٍ مترددةٍ تجاه العصيان ولكنهم يبدون بعد ذلك مقيديـن كما لـو كان هناك ربـاطٌ فعلي. أمـا الآن فدعونا نتأكـد من ماهية القوى التي تربط قوة المتدرب ودوره معًا.

إن أفضـل طريقـة لمباشرة تعقّب هذه القـوى هي أن تطرح التسـاؤل التالي: ما الذي يجب أن يمر به الشـخص إذا أراد الانفصال؟ بأي شجاعة نفسية يجب أن يُنفذ هذا الانفصال لينتقل من وضعه أمام مولد الصدمات الكهربائية إلى وضعية التحدي؟

الطبيعة المتسلسلة للعمل

يُعتبر الوقت الذي تتطلبهُ الدراسة في المختبر هو خط الشروع للعملية بحيـث يكون تأثيرهـا جليًا على العمل التالي. فبعـد التعليمات الأولية، لا يقوم المجرب بتوجيه الشـخص للبدء بفعل جديد ولكن ببساطة لمواصلة فعل ما يفعله سـلفًا. والطبيعة المتكررة للفعل المطلوب من الذات نفسـها تخلـق قوى ملزمـة. لذا وبما أن المتدرب يولد المزيـد من الصدمات المؤلمة،

فيجب أن يسعى إلى تبرير ما فعله لنفسه. ومن هنا يبرز أحد أشكال التبرير على أنهُ الاستمرار إلى النهاية لأنه إذا انفصل فعليه أن يقول لنفسه: «إن كل ما فعلته حتى هذه النقطة سيئٌ، وأنا الآن أريد الانفصال». ولكن، إذا استمر، فإنه يطمئن بشأن أدائه السابق. كما تؤدي الإجراءات السابقة إلى مضايقات يتم تجديدها من خلال الإجراءات اللاحقة وهو ما يشير إلى أن المتدرب متورط في السلوك الهدام بطريقة مجزأة.

الالتزامات الظرفية

في كل مناسبةٍ اجتماعيةٍ توجد هناك آداب ظرفية تلعب دورها البارز والفعّال في تنظيم السلوك. ولغرض إنهاء التجربة، يجب أن يحدث خلافٌ بين الشخص والمجموعة الضمنية تحت الترتيب الذي يشكل جزءًا من المناسبة الاجتماعية. وبما أن المتدرب قد قطع وعدًا مبدئيًا لمساعدة المجرب، فيجدر به الآن أن يتراجع عن هذا الالتزام. فعلى الرغم من أن رفض الصدمة ينبع من الاعتبارات الأخلاقية، إلا أن هذا الفعل يُختبر من قِبل الشخص على أنه تخلٍّ عن الالتزام تجاه المجرب وهو لا يتم من خلال إجراء مثل هذه المضاعفة بسهولة.

وفي هذا السياق يُشير جوفمان (1959) إلى أن كل موقف اجتماعي مبني على إجماع عملي بين المشاركين يتمثل بأحد الفرضيات الرئيسية له على أنه بمجرد أن يتم عرض تعريف للوضع والاتفاق عليه من قبل المشاركين، فلن يكون هناك أي تحدٍ له. وفي الواقع، فإن تعطيل التعريف المقبول من قبل مشارك واحد له طابع الانتهاك الأخلاقي حيث لا يوجد تحت أي ظرف من الظروف نزاع مفتوح حول تعريف الموقف المتوافق مع التبادل الاجتماعي المهذب.

وبشكل أكثر تحديدًا، ووفقًا لتحليل جوفمان، «يتم تنظيم المجتمع على أساس مبدأ أن أي فرد يمتلك خصائص اجتماعية معينة وهذه الخصائص بدورها تمنحه الحق في توقع أن الآخرين سيقدرونه ويعاملونه بطريقة مناسبة... وعندما يقوم الفرد بمشروع تعريف للموقف ثم يقدم ادعاءً ضمنيًا أو صريحًا بأنه شخص من نوع معين، فإنه يفرض تلقائيًا طلبًا أخلاقيًا على الآخرين، مُلزمًا إياهم بتقديره ومعاملته بالطريقة التي يتّبعها أفراد النوع على أن له الحق في أن يتوقع (الصفحة 135) أن رفض طاعة المجرب هو عرض مطالبته بالكفاءة والتي من الضروري أن تحتوي على خطأ اجتماعي كبير.

لقد بُنِيَ الموقف التجريبي بحيث لا توجد طريقة تمكّن المتدرب أن يتوقف عن صدمة المتعلم بتعريف المجرب الذاتي. ولا يستطيع المتعلم الانقطاع وفي نفس الوقت حماية تعريفات السلطة لكفاءته. وبالتالي، فإن المتدرب يخشى أنه إذا ما انفصل، فسيبدو غير مرغوبٍ فيه. هذه المشاعر – على الرغم من أنها تبدو صغيرة في نطاقها إلى جانب العنف الذي يُمارس على المتعلم – إلا أنها تساعد في ربط المتدرب بالطاعة. وهنا يُعمل على ملء عقل ومشاعر الفاعل بحيث يكون قادرًا على التنصل من السلطة التي هو مجابهٌ لها. وهناك أيضًا الاحتمال الكامل للانقلاب على السلطة التجريبية، مع ما يصاحب ذلك من تعطيل للوضع الاجتماعي الذي هو الإحراج الذي لا يستطيع الكثير من الناس مواجهته. وكجهدٍ لتجنب هذا الفعل المضني، يجد الكثير من الاشخاص أن الطاعة هي البديل الأقلَ ضررًا.

وفي اللقاءات الاجتماعية العادية كثيرًا ما يتم أخذ الاحتياطات لمنع

مثل هذا الاضطراب، لكن المتدرب يجد نفسه في موقف لا يتمكن فيه حتى من ممارسة اللباقة لإنقاذ المجرب من فقدان مصداقيته. حيث أن الطاعة هي فقط التي تمكنه من المحافظة على مكانة المجرب وكرامته. إنه لأمر غريب أن يكون قدرٌ من التعاطف من جانب الشخص، وعدم الرغبة في «إيذاء» مشاعر المجرب جزءًا من تلك القوى الملزمة التي تمنع العصيان. وقد لا يكون سحب هذا الاحترام مؤلمًا للمتدرب بقدر ما يكون مؤلمًا للسلطة التي يتحداها. لذا فالذين يشعرون أن هذا اعتبارٌ تافهٌ يجب عليهم إجراء التجربة والتي بدورها ستساعدهم على الشعور بقوة التثبيط على المتدرب.

أولاً، حدد الشخص الذي تحترمه حقًا، ويفضّل أن يكون أكبر منك بجيل على الأقل، ويمثل سلطة في مجال مهم من مجالات الحياة وهذا الشخص ممكن أن يكون أستاذًا محترمًا أو كاهنًا محبوبًا أو أحد الوالدين تحت ظروف معينة. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يكون شخصًا تشير إليه بلقب ما مثل الأستاذ بارسونز أو الأب بول أو الدكتور تشارلز براون. هذا الشخص يجب أن يكون شخصًا يمثل لك سلطة حقيقية. ولفهم ما يعنيه خرق آداب العلاقات مع السلطة، تحتاج فقط إلى تقديم نفسك إلى الشخص، وبدلاً من مناداتِهِ بلقبه، سواءً كان الدكتور، أو الأستاذ، أو الأب، خاطبه باستخدام اسمه الأول، أو ربما حتى باسمٍ مستعار مناسب. يمكنك أن تقول للدكتور براون، على سبيل المثال، «صباح الخير يا تشارلي!»

وعند الاقتراب منه، ستشعر بالقلق والتثبيط القوي الذي قد يمنع إكمال التجربة بنجاح فعندها قد تقول لنفسك: «لماذا يجب أن أقوم بهذه

التجربة الحمقـاء؟ لطالما كانت لدي علاقة جيدة مع دكتور براون، والتي قد تتعرض الآن للخطر. لماذا أبدو بنظرهِ وقحًا؟».

إنك على الأرجح، لن تكون قادرًا على أداء العمل غير المحترم، ولكن حتى في محاولتك ستكتسب فهمًا أكبر للمشاعر التي عانى منها المتدرب. وكمحاولـةٍ لتجنـب هـذا الحـدث المحرج، يجـد العديد من الأشـخاص الطاعة بديلاً أقل إيلامًا.

إن المناسـبات الاجتماعيـة، وهي العنـاصر ذاتها التي تم بنـاء المجتمع منهـا، يتـم تجميعها معًـا، وبالتالي من خـلال تشـغيل آداب ظرفية معينة، حيث يحترم كل شـخص الموقف الذي يقدمه شخص آخر وبهذه الطريقة يتجنـب الصراع والإحراج والاضطراب المحرج للتبادل الاجتماعي. فلا يتعلق الجانب الأسـاسي من هذه الآداب بمحتوى ما يحدث من شـخص إلى آخـر، بل يتعلـق بالحفاظ عـلى العلاقـات الهيكلية بينهـما. ويمكن أن تكون هذه العلاقات علاقات مسـاواة أو حتى علاقـاتٍ هرمية. وعندما يتـم تعريف المناسـبة على أنها مناسـبة للتسلسـل الهرمي، فـإن أي محاولة لتغيير الهيكل المحدد سـوف يتم اختبارها على أنها انتهاك أخلاقي وستثير القلق والعار والإحراج وتضاؤل الشعور بقيمة الذات.

القلق

إن المخـاوف التـي يمـر بها هذا المتـدرب ذات طبيعة اسـتباقية إلى حد كبير، وتشـير إلى مخاوف غامضـة مـن المجهول وهذا التخوف المنتشر عادةً ما يطلق عليه اسم القلق.

مـا هـو مصدر هذا القلـق؟ إن مصدر هـا القلق نابع مـن تاريخ الفرد

الطويـل في التنشـئة الاجتماعيـة. والتـي مـن خلالهـا قـد اسـتوعب أثناء انتقالـه من مجـرد كائـن بيولوجي إلى شـخص متحضر بناءً عـلى القواعد الأساسية للحياة الاجتماعية. وأهم هذه الأمور هو احترام السلطة. وهذه القواعـد يتم تطبيقها داخليًا مـن خلال ربط خرقها المحتمل بتدفق التأثير المضطـرب الذي يهدد الأنا. فالعلامات العاطفية التي لوحظت في المختبر (الارتعاش، الضحك، الحرج الشديد) هي دليل على تجاوز هذه القواعد. وعندمـا يفكر المتدرب في هـذا الانقطاع، يتولد لديه القلق، مما يشـير إليه بالتراجـع عن الإجـراء الممنوع وبالتالي خلق حاجـز عاطفي يجب أن يمر من خلاله لتحدي السـلطة. ومن الملفت للنظر أنه بمجرد «كسر الحاجز» من خلال العصيان، يتبخر كل التوتر والقلق والخوف.

12

التوتر والعصيان

يُعتبر المتدربون عادةً على أنهم عصاة. لماذا؟ في البداية، نميل إلى القول إنهم يفعلون ذلك لأنه من غير الأخلاقي صدمة الضحية. ومع ذلك، فإن التفسير من حيث الحكم الأخلاقي غير كافٍ. وتظل أخلاق صدم الضحية العاجزة ثابتة سواء كانت الضحية بعيدة أو قريبة، لكننا رأينا أن التغيير البسيط في العلاقات المكانية يغير بشكل كبير نسبة الأشخاص الذين يعصون. وكبديلٍ عن ذلك، إن الشكل الأكثر عمومية من الإجهاد هو الذي يدفع الشخص إلى العصيان، ونحن بحاجة إلى فهم معنى الانفعال، سواء من وجهة نظر الإنسان أو من حيث النموذج النظري الذي وجّه تحليلنا.

فمن الناحية النظرية، يُحتمل أن ينشأ الإجهاد عندما يتم إحضار شخص يمكنه العمل بشكل مستقل في تسلسل هرمي، وذلك لأن

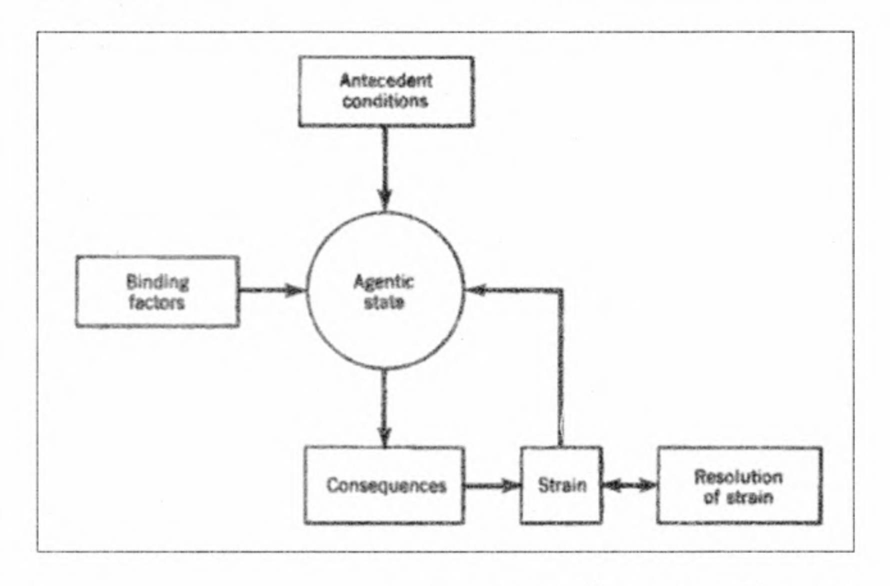
متطلبات تصميم وحدة مستقلة تختلف تمامًا عن متطلبات المكون المصمم بشكل خاص وفريد للعمل النظامي. ويمكن للرجال العمل بمفردهم أو من خلال تولي الأدوار والاندماج في أنظمةٍ أكبر. لكن حقيقة القدرات المزدوجة ذاتها تتطلب حلاً وسطًا في التصميم. ونحن كبشر لسنا مصممين بشكل مثالي للاستقلالية الكاملة، ولا حتى لمهمةٍ فرعيةٍ كاملة.

وبطبيعة الحال، فإن أي كيان متطور مصمّم للعمل بشكل مستقل وداخل الأنظمة الهرمية سيكون له آليات لحل الإجهاد، لأنه ما لم تكن آليات الحل هذه موجودة، فإن النظام لا بد أن ينهار. لِذلك، سنضيف مفهومًا نهائيًا واحدًا إلى نموذجنا، يمثل دقة الانفعال وسنسمح لأنفسنا بصيغة موجزة، لتلخيص العمليات السلوكية التي لاحظناها:

$$(s-r)>O;\ B$$

$$(s-r)<D;\ B$$

O: التي تمثل الطاعة ؛ D: العصيان. B: عوامل الربط ؛ s: سلالة. وr: آليات حل الإجهاد. إن الطاعة هي النتيجة التي تظهر عندما تكون عوامل الربط أكبر من السلالة (الإجهاد كما تم تقليله بواسطة آليات الحل)، بينما ينتج العصيان عندما يتجاوز الإجهاد الصافي قدرة القوى المُلزمة.



التوتر أو الضغط أو الإجهاد

لا تُظهر تجربة التوتر في موضوعاتنا قوة السلطة بل ضعفها، مما يكشف أيضًا عن جانب مهم للغاية من التجربة: إن التحول إلى الحالة الفاعلية، بالنسبة لبعض الأشخاص، جزئي فقط.

إذا كان الفرد قد غُمر في نظام السلطة كاملاً، فلن يشعر بأي توتر لأنه يتبع الأوامر مهما كانت قاسية، ولأن الإجراءات المطلوبة لن تُرى إلا من خلال المعاني التي تفرضها السلطة، وبالتالي ستكون مقبولة تمامًا للمتدرب. وبالتالي، فإن كل علامة توتر هي دليل على فشل السلطة في تحويل الشخص إلى حالة فاعلة لا تشوبها شائبة. إن نظام السلطة في العمل في المختبر يكون أقل انتشارًا من الأنظمة البدائية المتجسدة في الهياكل الشمولية لستالين وهتلر، حيث تم غمر المرؤوسين بعمق في أدوارهم. كما أن بقايا الذات، تبقى بدرجات متفاوتة خارج سلطة المجرب وهي بذلك تكون محافظةً على القيم الشخصية حيةً في المتدرب وتؤدي نوعًا ما إلى الإجهاد. فإذا

كان الشخص قويًا كفايةً، يمكن أن يلجأ للعصيان، وبهذا المعنى، فإن حالة الوكيل التي تم إنشاؤها في المختبر قد تكون عرضة للخطر وتسبب الاضطراب، ومثلما قد ينزعج الشخص النائي بنفسه من اصطدامٍ بضوضاء عالية إلى حدٍ ما. (أثناء النوم، تتضاءل قدرة الشخص على السمع والبصر بشكل حاد، على الرغم من أن المنبهات القوية بما فيه الكفاية قد تثيره من تلك الحالة). وبالمثل، في حالة الوكيل، يتم تعليق الأحكام الأخلاقية للشخص إلى حد كبير، ولكن الصدمة القوية قد تضغط على الحالة المنتجة في المختبر والتي يمكن تشبيهها بالنعاس الخفيف، مقارنة بالنوم العميق الناجم عن نظام السلطة المستبد لحكومة وطنية.

مصادر التوتر

تتراوح مصادر الإجهاد داخل التجربة من الاشمئزاز البدائي اللاإرادي والمتسبب بألم رجل آخر إلى الحسابات المعقدة للتداعيات القانونية المحتملة:

1- صرخات الألم الصادرة من المتعلم والتي كان أثرها شديد الوطأة على العديد من المشاركين الذين كان رد فعلهم فوريًا وقويًا تجاهه هذه الصرخات. فقد تعكس مثل هذه التفاعلات آليات فطرية والتي يمكن مقارنتها برد فعل مكره على صرير الطباشير على الزجاج. وبقدرٍ ما، يجب على المشارك تعريض نفسه لهذه المحفزات من خلال طاعته والتي تُصار إلى أن تُنشئ عندهُ التوتر.

2- علاوةً على ذلك، فإن تعريض الشخص البريء للألم يُعتبرُ انتهاكًا صارخًا للقيم الأخلاقية والاجتماعية التي يحملها هذا الشخص. وهذه

القيم متعمقة لبعض المعتقدات الداخلية، أما بالنسبة للآخرين، فهي تعكس معرفة تلك المعايير السلوكية الإنسانية التي يدعيها المجتمع.

3- إن المصدر الإضافي للإجهاد هو التهديد الانتقامي الضمني الذي يتعرض له الأشخاص أثناء تنفيذ العقوبة على المتعلم. وأحيانًا ما يشعر البعض أنهم يُغضبون المتعلم بشدة لدرجة أنه سيحاول الانتقام بعد انتهاء التجربة؛ والبعض الآخر – كجزء من التجربة – سيجدون أنفسهم بطريقة ما في موقع المتعلم على الرغم من عدم وجود شيء في الإجراء يشير إلى حدوث ذلك. ويتنامى لدى الاشخاص الآخرين نوعٌ من الخشية بأنهم معرضون بدرجة ما من الناحية القانونية لأفعالهم، ويتساءلون عما إذا كان سيتم وضعهم في دعوى قضائية من قبل المتعلم. إن كل هذه الأشكال من الانتقام، ربما تكون حقيقية ومُتخيَلة، وبالتالي تولّد التوتر.

4- إن التوجيهات التي يتلقاها المتدرب صادرةً من المتعلم وكذلك المجرب. ومن توجيهات المتعلم أن المتدرب يجب أن يتوقف. فهذه الأوامر يشوبها عدم التوافق مع أوامر المجرب بالاستمرار؛ حتى لو كان المتدرب مستمتعًا تمامًا، وكان مستجيبًا حصريًا للضغوط الناشئة عن المجال، ولم يكن لديه أي قيم شخصية على الإطلاق، فسيبقى يمارس عملية الضغط جرَاء المطالبات المتناقضة التي يتعرض لها في نفس اللحظة.

5- عدم وجود التوافق بين توجيه الصدمات للضحية والصورة الذاتية للعديد من الأشخاص. وهذا يُعزى إلى أنهم لا ينظرون إلى

أنفسهم بسهولة على أنهم أفراد قُساة قادرون على إيذاء شخص آخر، ومع ذلك، هذا هو الشيء الذي يجدون أنفسهم يفعلونه والذي بدورهِ يمثل نقطة التناقض في أفعالهم.

التوتر والدوافع

إن أي ميزة تقلل من التقارب النفسي بين فعل المتدرب ونتائج هذا الإجراء يكون لها دورها أيضًا في التقليل من مستوى التوتر. وأي وسيلة لتحطيم أو تخفيف المعنى الممارس للحدث فمثلاً: أنا أؤذي رجلاً يجعل الفعل أسهل في الأداء. وبالتالي، فإن خلق مسافة جسدية بين الشخص المصاب والضحية، وتخفيف صرخات الضحية المؤلمة، من شأنِهِ أن يُقلل من الإجهاد والتوتر. ويشكل مولد الصدمات الكهربائية نفسه أداةً دقيقةً ومثيرةً للإعجاب والتي تخلق انقطاعًا حادًا بين السهولة المطلوبة لضغط أحد مفاتيحه الثلاثين وقوة التأثير على الضحية. إن هذا المفتاح دقيق وعلمي وغير شخصي. وإذا اضطر أحد المتدربين لضرب الضحية بقبضته، فسيكون أكثر ترددًا في القيام بذلك. لأن لا شيء أكثر خطورة على بقاء الإنسان من السلطة الخبيثة المصحوبة بآثار الدوافع اللاإنسانية. وهناك تباين بين ما هو منطقي وما هو نفسي. على أساس كمي بحت، فقتل عشرة آلاف شخص بقذيفة مدفعية على بلدة هو عمل أكثر شرًا من قتل رجل واحد بضربه بحجر، لكن هذا الأخير هو إلى حد بعيد الفعل الأكثر صعوبة نفسيًا. إن عواملَ مثل المسافة والوقت والحواجز المادية تحيّد الحس الأخلاقي. حيث لا توجد فعليًا أية موانع نفسية ضد القصف الساحلي أو إسقاط قنابل النابالم من طائرة على ارتفاع عشرين ألف قدم. أما بالنسبة للرجل الذي يجلس أمام الزر الذي سيطلق هذه الكارثة، فهذا

ما سيزيدنا حزنًا. بينما تطورت التكنولوجيا من إرادة الإنسان من خلال السماح له بوسائل تدمير الآخرين عن بُعد، فهي لم تتح للتطور فرصة لبناء مثبطات ضد هذه الأشكال البعيدة من العدوان لموازاة تلك المثبطات القوية المتوافرة بكثرة في المواجهات وجهًا لوجه.

تحرر التوتر

ما هي آليات حل هذا التوتر؟

العصيان هو الوسيلة التي من خلالها يُنهي الانسان توتره ولكنه (العصيان) ليس عملاً متاحًا للجميع بالتساوي، وقد أبقته القوى الملزمة الموصوفة سابقًا بعيدًا عن متناول العديد من الأشخاص. وفي ضوء الحقيقة التي تقول إن الأفراد يتعرضون للعصيان باعتباره شكلاً متطرفًا، بل في الواقع هو - فعلاً - شكلٌ متطرفٌ من العمل، فمن المرجح أن يتراجع الأشخاص عن وسائل تقليل الضغط الأقل اضطرابًا وبمجرد أن يبدأ التوتر في الظهور، يبدأ عددٌ من الآليات النفسية العمل لتقليل شدته. وبالنظر إلى المرونة الفكرية للعقل البشري وقدرته على تبديد الضغط من خلال التعديلات المعرفية، فلا عجب أن يكون الأمر كذلك.

يُنظر إلى التجنب على أنهُ أكثر هذه الآليات بدائيةً: والسبب في ذلك لأن المتدرب يعمل على وضع النتائج الحسية. لقد وصفنا سابقًا كيف أدار الأشخاص رؤوسهم بطريقة محرجة لتجنب رؤية الضحية تعاني. وكان بعض الأشخاص يقرؤون الكلمة عمدًا بصوت عالٍ وقوي، وبالتالي يعملون على إخفاء احتجاجات الضحية حيثُ لا يسمح هؤلاء المتدربون للمنبهات المرتبطة بمعاناة الضحية بالتأثير عليهم. ويتم تحقيق شكل

أقـل وضوحًا من التجنب عن طريق جلب الانتباه من الضحية. فغالبًا ما يكون هذا مصحوبًا بالتقييد الواعي للانتباه إلى آليات الإجراء التجريبي. وبهذه الطريقة، يُقضى على الضحية نفسيًا كمصدر باعث للقلق. لقد تركنا انطباعًا عن الكاتب الصغير، الذي كان مشغولاً بخلط الأوراق ونادرًا ما يكون على دراية بالأحداث من حوله.

إذا كان التجنـب يحمـي الأشـخاص مـن الأحداث غير السـارة، فإن الإنـكار يقلـل الضغط مـن خلال الآليـة الفكرية لرفض الأدلـة الظاهرة من أجل الوصول إلى تفسـير أكثر مواسـاة للأحداث. وهنا يشـير مراقبو الحقبة النازية إلى مدى انتشـار الإنكار بين الضحايا والمضطَهدين. اليهود في مواجهتهـم للموت المُحقق لم يقبلوا الدليـل الواضح والبيّن على القتل الجماعـي. وحتى اليـوم، يُنكر الملايين مـن الألمان مقتل أبريـاء على نطاق واسع من قبل حكومتهم النازية.

أمـا ضمـن التجربة، قـد ينكر بعض الأشـخاص أن الصدمـات التي يجرونهـا مؤلمـة أو أن الضحيـة في حالـة معانـاة. وهذا الإنـكار يخفف من الضغـط الناتج عن طاعة المجـرب مزيلاً التعارض بين إيذاء شـخص ما والطاعـة. لكـن الدرامـا المختبرية كانت مقنعـة، وظل جـزء ضئيل فقط من المشـاركين على أسـاس هذه الفرضية (انظر الفصل 14). (حتى ذلك الحـين، فـإن الطابع الدفاعي للإنـكار يكون واضحًا بشـكل عام، كما هو الحال عندما يكون الشـخص الـذي يوجه الصدمـات المؤلمة يرفض أخذ عينة شـخصية من صدمة أقوى) فأكثر الأحيان بين الأشخاص المطيعين، لا نجد إنكارًا للأحداث بل إنكارًا تجاه الصدمات ذاتها.

بينما يحاول بعض الأشخاص تقليل التوتر، فهم يعملون في نفس الوقت ضمن القواعد التي تفرضها السلطة وخصوصًا عند تأديتهم لفعل الطاعة ولكن بشكل طفيف فقط. «وتجدر الإشارة إلى أن مدة كل صدمة متغيرة، وتحت السيطرة من قبل المتدرب. فيقوم الأشخاص عادةً بتنشيط مولد الصدمات لمدة (500 مللي/ ثانية)، لكن البعض الآخر يقللها إلى عُشر هذه المدة فقط. فيقومون بلمس المفاتيح بحذر شديد حيثُ يبدو أن الصدمة الناتجة تبدو مثل أقصر ومضة مقارنةً بضجة نصف ثانية عادية. أما عند إجراء المقابلات، فقد أكد هؤلاء الأشخاص أنهم «أثبتوا إنسانيتهم» من خلال إعطاء أقل صدمة ممكنة، وكان التعامل مع التوتر بهذه الطريقة أسهل من التحدي.

وفي هذه الحالة يُسمح بأقصى قدر من التعبير عن كرم الفرد ضمن قيود النظام القمعي ولكن هناك عنصر خداع الذات في هذا النوع من الحد الأدنى من الامتثال. وهنا هو لا يتحدى السلطة بل قد يقلل من ممارسة إرادتها دونما إلغائها وهو مهم بشكل أساسي باعتباره مرطبًا لضمير الشخص.

ومن المحتمل أن تكون الحيل التي يستخدمها بعض الأشخاص لتقويض الجوانب القاسية للتجربة ذات أهميةٍ أكبر. وهنا يمكن ملاحظة بعض الأشخاص وهم يشيرون إلى الإجابة الصحيحة للضحية من خلال التأكيد عليها بصوت عالٍ أثناء قراءتهم للكلمات متعددة الخيارات بصوتٍ عالٍ أيضًا أي أنهم حاولوا حث المتعلم وبالتالي منع تلقي الصدمات. بمعنى أن هؤلاء الأشخاص على استعداد لتقويض التجربة ولكن ليس

التسبب في قطيعة مع السلطة من خلال محاولتهم مساعدة المتعلم دون عصيانٍ عام. حتى عندما لا يستفيد المتعلم من إشاراته، يشرح المتدرب للمتعلم في مقابلة ما بعد التجربة كيف كان يحاول «تنبيهه».

وفي بعض الأحيان تثبت الخدعة فعاليتها (كما في التجربة السابعة، عندما قام الأشخاص بإعطاء المتعلم لصدمات أقل مما أبلغوا عنه). لكن في أغلب الأحيان يكون هذا غير جيد لأن هذا المتدرب غير قادر على التصرف علانيةً وفقًا لمشاعره الإنسانية وتحويلها إلى حيلة تافهة ليس لها عواقب حقيقية. ومع ذلك، فإن «القيام بشيء ما» حتى لو كان ذا أهمية رمزية فقط، يساعد في الحفاظ على صورته الذاتية كرجل لطيف.

لقد أشرنا إلى أن إلغاء المسؤولية الشخصية يُمثل العواقب النفسية الرئيسية للاستسلام للسلطة. وعندما ينشأ التوتر، يسعى بعض الأشخاص إلى مزيد من التأكيد بأنهم ليسوا مسؤولين عن أفعالهم وقد يلتمسون ذلك بإصرار كوسيلة لتقليل التوتر. خذ بعين الاعتبار الحوار التالي بين المجرب والمتدرب، الذي حدث تحت ضغط كبير، ومن ثم انتقل إلى مستوى (375) فولت.

- المتدرب: «أعتقد أن شيئًا ما حدث لِذلك المتعلم هناك، فأنا لا أحصل على إجابة. كان يصرخ بجهد أقل، ألا يمكنك الوصول اليه ومعرفة ما إذا كان على ما يرام، من فضلك؟».

- المُجرب: (بنفس الهدوء): «ليس بعد أن نبدأ. من فضلك أكمل يا معلم».

- المتدرب: (يجلس، يتنهد بعمق): «يوم بارد، ظل، ماء، طلاء».

أجب رجاءً. هل أنت بخير هناك؟ هل انت بخير؟».

- المُجرب: «يُرجى المتابعة يا معلم. استمر من فضلك». (ويشير الى دفع الرافعة).

- المتدرب: (يستدير في كرسيه): «شيء ما حدث لهذا الرجل هناك». (يستدير للخلف). «التالي: «الدولار المنخفض، قلادة، القمر، الطلاء»، (يستدير مرة أُخرى)، «شيء ما حدث لهذا الرجل هناك. من الأفضل أن تتحقق منه يا سيدي. لن يجيب بشيء».

- المجرب: «المسؤولية تقع على عاتقي، من فضلك استمر». (يعود المتدرب إلى قائمته، ويبدأ في قراءة الكلمات بأسرع ما يمكن قراءتها، ويكمل حتى مستوى 450 فولت).

- المتدرب: «هذا كل شيء».

بمجرد طمأنة المجرب للمتدرب بأنه غير مسؤول عن أفعاله، يُلاحظ انخفاض ملموس في الإجهاد.

قد يتم التخلص من المسؤولية بطرق أُخرى: قد يتم تحويلها إلى الضحية الذي يُنظر إليه على أنه يجلب عقوبته. ويُلام الضحية على تطوعه للتجربة، وبشكل أكثر شراسة بسبب غبائه وعناده. هنا، ننتقل من نقل المسؤولية إلى إهمال الضحية بلا مبرر. إن الآلية النفسية شفافة: فإذا كان الضحية شخصًا لا يستحق، فلا داعي للقلق بشأن إلحاق الأذى به.

التحويل الجسدي

يعتبر تحويل الضغط النفسي إلى أعراض جسدية ظاهرةً شائعةً في ممارسة الطب النفسي. وعادةً، هناك تحسن في الحالة العاطفية للمريض

حيث يتم تخفيف الضغط النفسي من خلال الأعراض الجسدية. وفي هذه التجربة، يمكننا أن نلاحظ العديد من علامات التوتر: التعرق، والارتجاف، وفي بعض الحالات حتى الضحك. فلا تشير هذه التعبيرات الجسدية إلى وجود التوتر فحسب، بل تقلله أيضًا فيبدأ التوتر - بدلاً من وقوعه في العصيان - في التعبير الجسدي بحالة التبدد.

معارضة

إن العصيان - إذا كان قويًا كفايةً - يُسبب التوتر، لكنه بدايةً يؤدي إلى المعارضة. حيث تشير المعارضة إلى تعبير الشخص عن عدم موافقته على مسار العمل الذي يحدده المجرب. لكن هذا الخلاف اللفظي لا يعني بالضرورة أن المتدرب سوف يعصي المجرب لأن الاختلاف يخدم وظيفة مزدوجة ومتضاربة. فمن ناحيةٍ قد تكون الخطوة الأولى في الخلاف التدريجي بين المتدرب والمُجرب واختبار نوايا المجرب ومحاولة إقناعه بتغيير مسار عمله. ولكن من المفارقات أنه قد يعمل أيضًا كآلية لتقليل التوتر وهو صمام يسمح للشخص بنفخ البخار دون تغيير مسار عمله.

قد تحدث المعارضة دون تمزيق في الروابط الهرمية، وبالتالي تنتمي إلى ترتيب خبرة مع العصيان. فلا يزال العديد من الأفراد المعارضين القادرين على التعبير عن عدم اتفاقهم مع السلطة يحترمون حق السلطة في نقض رأيهم المعبرين عنه - في حين أنهم غير موافقين - فهم ليسوا مستعدين للعمل على هذه القناعة.

إن المعارضة - كآلية للحد من التوتر - هي مصدر للمواساة النفسية المنطقية للمتدرب فيما يتعلق بالصراع الأخلاقي محل الخلاف. وهنا

يعرّف المتدرب نفسه علنًا على أنه يرفض توجيه الصدمة للضحية وبالتالي يؤسس صورة ذاتية مرغوبة. وفي الوقت نفسه يحافظ على علاقته الخاضعة للسلطة من خلال الاستمرار في الانصياع.

إن الآليات العديدة الموصوفة هنا (التجنب، والإنكار، والتحويل الجسدي، والامتثال الأدنى، والخداع، والبحث عن الطمأنينة الاجتماعية، وإلقاء اللوم على الضحية، والمعارضة) يمكن ربط كل منها بمصادر محددة من التوتر. وبالتالي، يتم تقليل التفاعلات عن طريق التجنب للصورة الذاتية المحمية بأفعال الحيلة، والامتثال الأدنى والمعارضة، وهكذا. والأهم من ذلك، يجب أن يُنظر إلى هذه الآليات على أنها خاضعة لهدف مهيمن: فهي تسمح لعلاقة الشخص بالسلطة أن تظل كما هي من خلال تقليل صراع المُختبر إلى مستوى مقبول.

العصيان

يُعامل العصيان على أنهُ الوسيلة النهائية للتوتر فهو ليس الفعل الذي يأتي بسهولة. إنه لا يعني فقط رفض تنفيذ أمر معين من المجرب ولكن إعادة صياغة العلاقة بين الذات والسلطة.

إن العصيان عادةً ما يكون مصحوبًا بالتخوف. فمن خلالِه وجد الشخص نفسه محبوسًا في نظام اجتماعي محدد بشكلٍ جيد. ومن أجل الخروج من الدور المخصص الذي هو إنشاء شكل من أشكال الشذوذ على نطاق صغير يمكن التنبؤ بردة فعل المتدرب مع المجرب طالما أنه يحافظ على العلاقة التي تم تعريفه فيها، على عكس الطابع إذا كان غير معروف تمامًا للعلاقة المصاحبة. أما بالنسبة للعديد من الأشخاص، فهناك تخوف

بشأن ما سيتبع العصيان، وغالبًا ما يكون مشوبًا بخيال انتقام السلطة غير المحدد. ولكن عندما يصبح مسار العمل الذي يطلبه المجرب لا يُطاق، سيكون المتدربون في حالة انفجار تؤدي إلى العصيان.

يبدأ التسلسل بالشك الداخلي، وهو التوتر الذي هو في البداية تجربة خاصة ولكنها تستمر دائمًا لتتخذ شكلاً خارجيًا، حيث يُعلم المتدرب المجرب بتخوفه أو يلفت انتباهه إلى معاناة الضحية. يتوقع المتدرب، على مستوى ما، أن يقوم المجرب بنفس الاستدلال من هذه الحقائق كما فعل: أنه لا ينبغي للمرء أن يمضي في الصدمات. وعندما يفشل المجرب في القيام بذلك يتحول إلى معارضة، حيث يحاول المتدرب إقناع السلطة بتغيير مسار عمله. ومثلما تتكون سلسلة الصدمات من زيادة في الشدة خطوة بخطوة، فإن التعبير عن المعارضة يسمح بحركة متدرجة نحو استراحة مع المجرب. ومع ذلك، فإن التعبير الأولي عن الخلاف بصيغته المبدئية يوفر هضبة أعلى يمكن من خلالها الانطلاق من نقطة الخلاف التالية. ومن الناحية المثالية، فإن المتدرب المعارض يرغب في أن يقوم المجرب بتغيير مسار التجربة وبالتالي التخلص من الحاجة إلى الانفصال عن السلطة. وإذا تعذر ذلك، تتحول المعارضة إلى تهديد بأن المتدرب سيرفض تنفيذ أوامر السلطة. وأخيرًا، بعد أن استنفدت جميع الوسائل الأُخرى فيجب أن يصل إلى أصل علاقته بالتجربة.

ومن أجل التوقف عن توجيه الصدمات للضحية: يبدأ بالعصيان والذي ينتابه شك في داخل نفسه، فالشكوك في الأمور من حوله، والمعارضة، والتهديد، على الرغم من أن العصيان هو طريق صعب فلا

يستطيع سوى أقلية من الأشخاص السعي لتحقيقه. ومع ذلك، فهي ليست نتيجة سلبية، ولكنها تتسم بطابع الفعل الإيجابي لامتثال هو الذي يحمل دلالة سلبية. حيث يتطلب فعل العصيان تعزيز الثقة الداخلية، وتحويلها إلى ما وراء التبادل اللفظي المهذب، أي إلى مجال العمل لكن التكلفة النفسية تكون كبيرةً جدًا.

أما بالنسبة لمعظم الناس، فمن المؤلم التراجع عن الوعد الذي قدموه للمُجرب، في حين أن المتدرب المطيع ينقل المسؤولية عن صدمة المتعلم إلى المجرب، فأولئك الذين يعصون، يتحملون مسؤولية تدمير التجربة. وعند عصيان الشخص، سيعتقد بأنه قد أفسد التجربة، وأحبط أغراض العالم، وأثبت أنه غير مناسب للمهمة الموكلة إليه، لكنه في تلك اللحظة قدم الإجراء الذي سعينا إليه تأكيدًا على القيم الإنسانية.

إن ثمن العصيان هو شعور قاتل بأن المرء كان غير مؤمن على الرغم من أنه اختار الإجراء الصحيح أخلاقيًا، إلا أن المتدرب لا يزال منزعجًا من اضطراب النظام الاجتماعي الذي أحدثه، ولا يمكن أن يبدد الشعور بأنه تخلى عن قضية تعهد بدعمها، فهو الذي يختبر عبء عمله.



13

نظرية بديلة: هل العداء هو المفتاح؟

لقـد شرحت أن السـلوك الذي لوحظ في المختبر هـو الطريقة التي بدت لي أكثـر منطقيـة. وكوجهة نظر بديلة إن ما لاحظنـاه في المختبر هو العداء وكذلـك غـزارة الميول. هـذا الرأي يبـدو لي خاطئًا، وسـأبين لمـاذا. لكن اسمحوا لي أولاً أن أذكر معنى «العداء»:

نعني بالعداء الدافع أو ردة فعل لسماع كائن حي آخر. من وجهة النظر المختلفة، فإن جميع الأفراد تكمن فيهم ما تُعرف بالقوى المدمرة، لكنها لا تجـد الحرية المطلقة دائمًا لأن تعبير أولئك الاشـخاص تُثبطه الأنا العليا أو الضمير. علاوةً على ذلك، فإن وظائف الأنا لها القدرة للحفاظ على الميول المدمرة تحت السـيطرة. (فلو ضُربنا في كل مرة نشـعر بالغضب وسـيؤدي ذلـك ختامًا إلى إلحاق الضرر بنا، وبالتالي سـنكبح هذه القوى بأنفسـنا). في الواقـع، هذه الغرائز المدمرة غير مقبولة لدرجة أنها ليسـت متاحة دائمًا

للتدقيق الواعي. ومع ذلك، فهي تضغط بشكلٍ مستمر لتلقى التعبير، وفي النهاية، يحصل التحرر في خضم العنف والأفعال الفردية للتدمير المعادي للمجتمع، وفي ظل ظروف معينةٍ أُخرى.

عادةً ما تخلق التجربة مناسبةً تصبح فيها عملية إيذاء فردٍ من الأفراد مقبولةً اجتماعيًا، وبالإضافة الى ذلك، فهي تسمح للمتدرب أن يؤدي ذلك تحت ستار تعزيز قضية ذات قيمة اجتماعية: أي العلم.

وهكذا، فإن الفرد يصبح على مستوى من الوعي، ويرى نفسه مؤديًا غايةً قيّمة، لكن القوة الدافعة لامتثاله تنبع من حقيقة أنه يقوم بصدم المتعلم وهذا عادةً ينبع من الفطرة.

يتوافق هذا الرأي أيضًا مع تفسير المنطق النموذجي للطاعة المرصودة أو عندما يتم وصف التجربة لأول مرة للرجال والنساء العاديين فإنهم يفكرون على الفور من حيث «تعامل الرجل بطريقة صلبة وسادية، والرغبة في إلحاق الألم بالآخرين، وتدفق الجزء المظلم والشرير من الروح».

فعلى الرغم من أن الميول العدوانية هي جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية، إلا أنها لا تتعلق بالسلوك الذي لوحظ في التجربة. فليس لدى الميول العدوانية علاقة كبيرة بالطاعة المدمرة للجنود في الحرب، أو عندما تقوم القاذفات بقتل الآلاف في مهمة واحدة، أو تطويق قرية فيتنامية بقنابل النابالم. إن الجندي النموذجي يقتل لأنه قيل له أن يقتل ويعتبر أنه يتوجب عليه إطاعة الأوامر. كما أن فعل صدمة الضحية لا ينبع من دوافع هدامة ولكن من حقيقة أن الأفراد أصبحوا مندمجين في بُنية اجتماعيةٍ ولا يستطيعون الخروج منها.

الآن لنفترض أن المجرب أمر المتدرب بشرب كوب من الماء فهل هذا يعني أن المتدرب عطشان؟ الواضح أنه ليس كذلك، لأنه يفعل ببساطة ما يُطلب منه فجوهر الطاعة هو أن العمل الذي يتم تنفيذه لا يتوافق مع دوافع الفاعل ولكنه يبدأ في نظام الدافع لمن هم أعلى في التسلسل الهرمي الاجتماعي.

هناك أدلة تجريبية تؤثر على هذه المسألة حيث تجدر الإشارة إلى أنه في التجربة الحادية عشرة، كان الأشخاص يتمتعون بقدرٍ من الحرية في استخدام أي مستوى صدمة يرغبون فيه، وبذل المجرب جهدًا لإضفاء الشرعية على استخدام جميع الروافع الموجودة على اللوحة. وعلى الرغم من إتاحة الفرصة الكاملة لإلحاق الألم بالمتعلم، إلا أن جميع الأشخاص تقريبًا قاموا بإعطاء أدنى مستوى للصدمات على لوحة التحكم حيثُ كان متوسط مستوى الصدمة (6 , 3). لكن إذا كانت الدوافع المدمرة تسعى حقًا للظهور، فيمكن للمتدرب أن يبرر استخدامه لمستويات عالية من الصدمة بأنه قد فعل ذلك لأجل قضية العلم، فلماذا لم يجعل الضحية تعاني إذًا؟

كان هناك ميل ضئيل – إن وجد – في المتدربين للقيام بذلك ويبدو أن واحدًا أو اثنين على الأكثر، كانوا في حالة رضا من صدمة المتعلم. فلم تكن المستويات قابلةً للمقارنة بأي حال من الأحوال مع تلك التي تم الحصول عليها عندما أُمر الأشخاص بصدمة الضحية وذلك لوجود اختلاف في الحجم.

وبالمثل، قد ننتقل إلى دراسات العداء التي أجراها (بوس، 1961) و(بيركويتز، 1962)، باستخدام تنسيق مشابه تمامًا لتجربتنا الحادية

عشرة. لقد كان هدف الباحثين هو دراسة العداء في حد ذاته. ففي التلاعب التجريبي النموذجي، قاموا بإحباط المتدرب لمعرفة ما إذا كان سيقدم صدمات أعلى عند الغضب أم لا، لكن تأثير هذه التلاعبات كان ضئيلاً مقارنة بالمستويات التي تم تحقيقها في ظل الطاعة. وهذا يعني أنه بغضّ النظر عما قام به هؤلاء المجربون لإثارة غضب أو استفزاز أو إحباط الشخص، فإنه على الأكثر يرتفع بمقدار مستوى أو مستويين من الصدمات، لنقل من مستوى الصدمة (4) إلى المستوى (6). وهذا يمثل زيادة حقيقية في العدوانية، ولكن يبقى هناك الفرق الكبير في التباين الذي أدخل في سلوكه بهذه الطريقة، وفي ظل الظروف التي كان يتلقى فيها الأوامر.

ومن خلال مراقبة الأشخاص في تجربة الطاعة، يمكن للمرء أن يُلاحظ مع استثناءات طفيفة، أن هؤلاء الأفراد كانوا يشكلون مهمة بغيضة وغالبًا ما تكون غير مقبولة ولكنهم شعروا بضرورة القيام بها. لذا احتج الكثيرون على صدمة الضحية حتى طالبوا بالانفصال عن سلطة المجرب. فبين الحين والآخر يأتي متدرب يبدو أنه يستمتع بمهمة جعل الضحية تصرخ، لكنه كان الاستثناء النادر الظاهر بوضوح كشخص غريب بين هؤلاء المتدربين.

والمصدر الإضافي للأدلة التجريبية هو دراسات دور التحول (انظر الفصل 8). ففي العديد من هذه التجارب، مُنح الأشخاص فرصًا لتوجيهِ صدمةِ الضحية لكنهم لم يفعلوا ذلك ما لم يتم ترتيب البُنية الاجتماعية للموقف بشكلٍ مناسب.

ومـن هنـا نعـرف أن مفتـاح سـلوك الأفـراد لا يكمـن في الغضب أو العدوان المكبوتَين ولكن في طبيعة علاقتهم بالسلطة، فلقد سلموا أنفسهم للسـلطة معتبرين أنفسـهم أدواتٍ لتحقيق رغباتها؛ وبمجرد تحديد ذلك، فسـيصبحون غـير قادرين على التحرر كـما كانوا غير قادريـن على العمل سابقًا.

14
مشاكل الأسلوب أو الطريقة

غالبًا ما يتبادر في أذهان بعض النقاد أن صورة الإنسان لا يمكن تمييزها ببساطة بنوع السلوك الذي لوحظ في التجربة، وهم بهذا يؤكدون أن الأشخاص العاديين لا يقدمون صدمات مؤلمة لشخصٍ محتجٍ لمجرد أنهم أُمروا بذلك. فقط النازيون والساديون يسلكون هذه الطريقة. ففي الفصل السابق، حاولت أن أشرح سبب حدوث السلوك المُلاحظ في المختبر: كيف يقدم الفرد مجموعة أولية من الالتزامات للسلطة وكيف يتحول معنى الإجراء من خلال السياق الذي يحدث فيه، وكيف يُمنع الشخص من اللجوء الى العصيان باستخدام العوامل المُلزمة.

يكمن أساس نقد التجربة في نموذج بديل للطبيعة البشرية، حيث يرى المرء أنه عند مواجهة الاختيار بين إيذاء الآخرين والامتثال للسلطة، فإن الأشخاص العاديين يرفضون السلطة. وهذه الحالة ولّدت قناعةً لدى

بعض النقاد بشكل مزدوج بأن الأمريكيين - على وجه الخصوص - لا يتصرفون بشكل غير إنساني ضد زملائهم بناءً على ترتيب السلطة. ومن هذه الزاوية يُنظر إلى التجربة على أنها معيبة من حيث الدرجة التي لا تدعم هذا الرأي. إن التأكيدات الأكثر شيوعًا التي يمكن من خلالها رفض النتائج هي: (1) الأشخاص الذين تمت دراستهم في التجربة ليسوا نموذجيين (2) لم يصدق أولئك الاشخاص أنهم كانوا يديرون الصدمات للمتعلم (3) ليس من الممكن التعميم من المختبر إلى العالم الأوسع. أما الآن فدعونا نفكر في كل نقطة من هذه النقاط بدورها:

1- هل الأشخاص الذين يدرسون في التمثيل التجريبي من عامة السكان أم أنهم مجموعة خاصة؟ اسمحوا لي أن أبدأ بحكاية. عندما تم إجراء التجارب الأولى تم استخدام طلاب جامعة (ييول) بشكل حصري كمتدربين، وكان حوالي (60 %) منهم مطيعين تمامًا. فقط رفض عضو من تسعة أعضاء هذه النتائج على الفور باعتبارها لا علاقة لها بالأشخاص «العاديين»، مؤكدًا أن طلاب جامعة (ييول) هم مجموعة عدوانية وتنافسية والتي سرعان ما يُثار غضبها عند أدنى استفزاز. وأكد لي أنه عند اختبار الأشخاص «العاديين» ستكون النتائج مختلفة تمامًا. ومع انتقالنا من الدراسات التجريبية إلى السلسلة التجريبية العادية، تمت دراسة الأشخاص من كل طبقة من طبقات مجتمع (نيو هافن) في التجربة: المحترفون والعمال ذوو الياقات البيضاء والعاطلون عن العمل والعمال الصناعيون حيثُ كانت النتيجة التجريبية هي نفسها التي لاحظناها بين الطلاب.

صحيح أن أولئك الذين حضروا التجربة كانوا متطوعين، وقد نتساءل عما إذا كان إجراء التجنيد نفسه قد أدى إلى التحيز في المجتمع الخاضع للتجربة.

وفي دراسات المتابعة، سألنا الأشخاص عن سبب قدومهم إلى المختبر. فقالت أكبر مجموعة (17 %) إنهم كانوا مهتمين بتجارب علم النفس، وبّين حوالي (9, 8 %) أن المال هو السبب الرئيسي، وذكر (6, 8 %) أن لديهم اهتمامًا خاصًا بالذاكرة، وأشار (5 %) إلى أنهم يعتقدون أنه بالإمكان تعلم شيء عن أنفسهم. وكانت دوافع القدوم إلى المختبر متنوعة بشكل واضح، وكان نطاق المتدربين واسعًا للغاية ويُضاف إلى ذلك، أظهر (روزينتال وروزناو، 1966) أن المتطوعين للتجارب يميلون إلى أن يكونوا أقل استبدادية من أولئك الذين لا يتطوعون. وبالتالي، إذا تم إدخال أي تحيز من خلال تأثير تطوعي، فسيكون هؤلاء الأشخاص أكثر عُرضة للعصيان.

وعندما تكررت التجارب في (برينستون، وميونيخ، وروما، وجنوب إفريقيا، وأستراليا) وباستخدام طرقٍ مختلفة إلى حد ما لتجنيد المتدربين، وكان مستوى الطاعة أعلى إلى حد ما مما هو موجود في التحقيق المذكور في هذا الكتاب. وهكذا وجد (مانتل) في ميونيخ أن (85 %) من المتدربين كانوا مطيعين وعددهم (24) متدربًا.

2- هل اعتقد المشاركون أنهم كانوا يوجهون صدمات مؤلمة للمتعلم؟ قدّم حدوث التوتر دليلاً صارخًا على المشاركة الحقيقية للمتدربين في

الـصراع التجريبي، وقد تمت ملاحظة ذلك والإبلاغ عنه في شـكل نسـخ تمثيلية (1963)، وبيانات مقياس (1965)، وحسابات مصورة (1965).

ففـي جميع الظـروف التجريبية، اعتبر المتدرب مسـتوى الألم مرتفعًا جدًا، حيـثُ يعرض الجـدول (6) هذه البيانات لمجموعـة تمثيلية من التجارب. وفي التجربـة (2) ردود الفعـل الصوتية (صوت الضحية مسـموع ولكن غـير مرئي) وكان متوسـط المتدربين المطيعين عـلى مقياس مكون من (14 نقطـة) هـو (36 , 11) ويقـع ضمـن المنطقة «المؤلمـة للغاية» مـن المقياس. واستخدم أكثر من نصف الأشـخاص المطيعين أقصى نقطة على المقياس، وأشـار متدرب واحد على الأقـل بعلامة (+) أنها «مؤلمـةٌ للغاية» وهذا لم يكن تعيينًا قويًا بدرجة كافية.

Table 6. Subjects' Estimates of Pain Felt by Victim

Condition	$\bar{x}$ Obedient S's (n)	$\bar{x}$ Defiant S's (n)	$\bar{x}$ All S's
Remote-Victim	13.50 (20)	13.27 (11)	13.42
Voice-Feedback	11.36 (25)	11.80 (15)	11.53
Proximity	12.69 (16)	11.79 (24)	12.15
Touch-Proximity	12.25 (28)	11.17 (12)	11.93
New Base Line	11.40 (26)	12.25 (14)	11.70
Change of Personnel	11.98 (20)	12.05 (20)	12.02
Bridgeport Replication	11.79 (19)	11.81 (18)	11.80
Women as Subjects	12.88 (26)	12.07 (14)	12.60
Closeness of Authority	11.67 (31)	12.39 (9)	11.83

ومـن بـين (40) شـخصًا في هذه الحالة، أشـار اثنان عـلى المقياس (مع درجات 1 و3) إلى أنهما لا يعتقدان أن الضحية تلقت صدمات مؤلمة وكان كلاهمـا مطيعًـا. يبدو أن هؤلاء المتدربـين لم يحققوا النجـاح لنية التلاعب لـدى المجرب. لكن هذا ليس بالأمر البسـيط لأن إنكار أفعالهم شيء غير

مُحبب لكنه يمكن أن يخدم وظيفة دفاعية، وقد جاء بعض الأشخاص لرؤية أدائهم في ضوء إيجابي فقط من خلال إعادة بناء حالتهم الذهنية عندما كانوا يديرون الصدمات. والسؤال هو، هل كان عدم تصديقهم فرضية ثابتة أم مجرد فكرة عابرة من بين العديد من المفاهيم الأُخرى؟

من بين طرق أُخرى، يمكن فحص الصورة لشهادة الأشخاص حول هذا المعتقد، من خلال اختبار الردود على استبيان المتابعة الموزع بعد حوالي عام من مشاركة المجموعات الفرعية في الدراسة. وأعيد طبع البند رقم (4) من الاستبيان أدناه، مع توزيع الردود عليه.

ثلاثة أرباع الأشخاص (أول فئتين) من خلال شهادتهم الخاصة تصرفوا على أساس الاعتقاد بأنهم كانوا يوجهون الصدمات المؤلمة. وخلال هذه المرحلة كان من السهل إنكار قبول الخدعة ولكن خُمس المجموعة فقط أشار إلى أن لديه شكوك جدية.

قام ديفيد روزينهان من كلية (سوارثمور) بتكرار التجربة لإيجاد مقياس أساسي لمزيد من الدراسات الخاصة به حيثُ رتّب لإجراء مقابلة مفصلة.

Table 7. Responses to Question on Belief

During the Experiment	Defiant	Obedient	All subjects
(1) I fully believed the learner was getting painful shocks.	62.5% (230)	47.9% (139)	56.1% (369)
(2) Although I had some doubts, I believed the learner was probably getting the shocks.	22.6% (83)	25.9% (75)	24.0 (158)
(3) I just wasn't sure whether the learner was getting the shocks or not.	6.0% (22)	6.2% (18)	6.1% (40)
(4) Although I had some doubts, I thought the learner was probably not getting the shocks.	7.6% (28)	16.2% (47)	11.4% (75)
(5) I was certain the learner was not getting the shocks.	1.4% (5)	3.8% (11)	2.4% (16)

ومـن بـين أمورٍ أُخرى، قام المُقابِل – كشـخص مسـتقل عـن التجربة – والـذي طلـب سردًا تفصيليًا لتجربة المتدرب باحثًا في مسـألة الاعتقاد حتى توصل إلى هذا السؤال: «هل تعني بأنك حقًا لم تختر التجربة؟» وعلى أساس معايير صارمة جدًا للقبول الكامل، أفاد روزينهان أنه (وفقًا لتقرير قُضاةٍ مستقلين)، وافق (60 %) من الأشخاص على صحة التجربة. وعند فحـص أداء هـؤلاء المتدربـين، أفـاد أن (85 %) كانـوا قد أظهـروا طاعةً كاملـة. (فـلا بد مـن الإشـارة إلى أن روزينهـان وظّف مجموعـةً خاضعة أصغر من تلك المسـتخدمة في التجربة الأصلية، وهذا على ما أعتقد يمثل مستوىً أعلى من الطاعة).

وعندما تخضع النتائج التجريبية لنوع مشـابه من التحكم الإحصائي، لا تغيـير بأي طريقة. فعلى سـبيل المثال، في التجربة الثانيـة، في التعليقات الصوتية لأولئك الأشـخاص الذين أشـاروا إلى قبول الخـداع (الفئتان 1 و2)، كان (58 %) مطيعـين، ومـن أولئـك الذيـن أشـاروا إلى (الفئة 1)، كان (60 %) مطيعـين. وعـلى مدار ظروف التجربة جميعهـا، أدت طريقة التحكم في البيانات هذه إلى تقليل نسبة المطيعين إلى الأشخاص المتحدين بشكل طفيف. كما أن التغييرات تترك العلاقات بين الشروط سليمة وغير مهمة لتفسير معنىً أو استيرادًا للنتائج.

إذًا وبشكلٍ مختصر، قَـبِل غالبية الأشخاص الوضع التجريبي على أنه حقيقـي، بينما أظهر القليل منهم عدم القبـول. وفي كل حالة تجريبية، كان تقديري أن شـخصين إلى أربعة أشخاص لا يعتقدون أنهم كانوا يوجهون صدماتٍ مؤلمةً للضحية، لكنني اعتمدت قاعدة عامة تقضي بعدم إزالة أي

متـدرب من البيانات لأن الإزالة الانتقائية للمتدربين بناءً على معايير غير دقيقة إلى حد ما هي أسرع طريقة لتشكيل الفرضية عن غير قصد. وحتى الآن أنا لسـت على استـعداد لاسـتبعاد هؤلاء الأشـخاص لأنه ليس من الواضح أن رفضهم للخداع التقني كان سـببًا لطاعتهم أو نتيجة لها. فقد تؤدي العملية المعرفية إلى ترشيد السلوك الذي يُشعِر المتدرب بأنه مضطر للقيام به. لذا يُعتبر من السـهل أن يشرح الشـخص سـلوكه بالقول إنه لا يعتقد أن الضحية قد تلقت صدمات، وربما وصل بعض الأشـخاص إلى هذا الموقف كتفسـير بأثر رجعي لأن ذلك لا يكلفهم شيئًا وسيقوم بقطعِ شوطٍ طويلٍ للحفاظ على تصورهم الذاتي الإيجابي. وهذا له فائدة إضافية تتمثل في إظهار مدى ذكاءهم في اختراق قصة الغلاف الموضوعة بعناية.

الأهـم من ذلك، هو أن تكون قـادرًا على رؤية دور الإنكار في العملية الكاملـة للطاعـة والعصيـان. ويُعتبـر الإنكار أحـد التعديـلات المعرفية المحـددة التي تحـدث في التجربة والذي يحتاج إلى وضعه بشـكل صحيح من حيث دوره في أداء بعض المتدربين (انظر الفصل 12).

3- هل كان وضع المختبر خاصًا بحيث لا يمكن ملاحظة أي شيء من شـأنه المسـاهمة في رؤية عامة للطاعة في الحياة الاجتماعية الأوسع؟ لا، ليس إذا فهم المرء ولاحظ مدى سهولة أن يصبح الأفراد أداة للسلطة، فبمجـرد تعريفهم على هذا النحو فإنهم لا يسـتطيعون تحرير أنفسـهم منهـا. وتظـل عمليات الطاعة للسـلطة (التي حاولـت فحصها بشيء مـن التفصيل في الفصـل 11) ثابتة طالما أن الشرط الأسـاسي لحدوثها موجود: أي أن يتم تعريف المرء بعلاقة مع شـخص يشـعر أنه لديه –

بحكم وضعه – الحق في وصف السلوك. في حين أن التفاصيل الخاصة بالطاعة تختلف في عملية الاحتراق الأساسية الأُخرى التي هي نفسها لكل من عود الثقاب المحترق وحريق الغابة.

فلا تتكون مشكلة التعميم من واحد إلى آخر عن طريق مقارنة نقطة بنقطة بين أحدهما والآخر (المطابقة صغيرة، والغابة واسعة، وما إلى ذلك) ولكنها تعتمد كليًا على مدى تحقيق نظرية صحيحة في فهم العملية ذات الصلة. وفي حالة الاحتراق نفهم عملية الأكسدة السريعة في ظل ظروف الإثارة الإلكترونية، وفي الطاعة تعتبر إعادة هيكلة العمليات العقلية الداخلية في حالة الوكيل.

هناك من يجادل بأن التجربة النفسية هي حدث فريد وبالتالي لا يمكن التعميم منها على العالم الأكبر. ولكن تكون الفائدة أكثر عندما ندرك أن أي مناسبة اجتماعية لها خصائص فريدة ومهمة في عالم الاجتماع فهي تحققت لإيجاد المبادئ التي تمر عبر هذا التنوع السطحي.

إن المناسبة التي نطلق عليها تجربة نفسية تشترك في خصائصها الهيكلية الأساسية مع مواقف أُخرى تتكون من أدوار ثانوية وفائقة. وفي كل هذه الظروف لا يستجيب الشخص كثيرًا لمحتوى ما هو مطلوب منه ولكن على أساس علاقته بالشخص الذي يتطلب ذلك. وفي الواقع عندما تكون السلطة الشرعية هي مصدر الأمر، فإن العلاقة تطغى على المحتوى وهذا هو المقصود بأهمية البنية الاجتماعية والذي عادةً ما يظهر في التجربة الحالية.

فقد حاول بعض النقاد رفض النتائج من خلال التأكيد على أن السلوك هو حالةٌ شرعيةٌ من قبل المجرب، كما لو أن هذا جعله غير منطقي. ولكن

يتم إضفاء الشرعية أيضًا على السلوك في كل حالة أُخرى ذات مغزى اجتماعيٌ للطاعة سواءً كانت طاعة جندي أو موظف أو جلاد في سجن الدولة. إن فهم السلوك على وجه التحديد يتم ضمن مثل هذه التسلسلات الهرمية التي تتحقق فيها الطاعة. وبعد كل شيء، كان (أيخمان) جزءًا لا يتجزأ من منظمة اجتماعية شرعية ومن وجهة نظره كان يقوم بعمل مناسب. وبعبارةٍ أُخرى، هذا التحقيق لا يتعلق بطاعة المظلومين الذين يُكرهون على الامتثال من خلال العقاب الوحشي، ولكن طاعة أولئك الذين يمتثلون طواعيةً لأن المجتمع يمنحهم دورًا ولديهم الدافع للإيفاء بمتطلباته.

وهناك سؤالٌ آخر أكثر تحديدًا يتعلق بدرجة التوازي بين الطاعة في المختبر وفي ألمانيا النازية فمن الواضح أن هناك اختلافات هائلة. وعلى أساس اعتبارات التفاوت في النطاق الزمني تستغرق التجربة المعملية ساعة. والسؤال هو: هل الطاعة التي لوحظت في المختبر يمكن مقارنتها بأي شكل من الأشكال بتلك الموجودة في ألمانيا النازية؟ (هل شعلة الكبريت قابلة للمقارنة مع حريق شيكاغو عام 1898؟) يجب أن تكون الإجابة أنه في حين كان هناك اختلافات هائلة في الظروف والنطاق، فإن عمليةً نفسيةً مشتركةً تساهم بشكل مركزي في كلا الحدثين.

أما في المختبر - من خلال مجموعة من التلاعبات البسيطة - لم يعد الناس العاديون ينظرون إلى أنفسهم على أنهم جزءٌ مسؤول من السلسلة السببية التي تؤدي إلى اتخاذ إجراءات ضد الشخص. وهذا يمكن عزوهُ إلى أن الطريقة التي يتم بها التخلص من المسؤولية هي عندما يصبح

الأفراد فاعلين طائشين في العملية. ويمكن للمرء أن يجد دليلاً على حدوثه مـرارًا وتكرارًا عندما يقرأ نصوص مجرمي الحـرب في (نورمبرغ) والقتلة الأمريكيين في (ماي لاي) وقائد (أندرسونفيل). إن ما نجده مشتركًا بين الجندي والموظف الحـزبي والمتدرب المطيع هو نفس القدرة غير المحدودة عـلى الانصياع للسـلطة واسـتخدام آليات عقليـة متطابقـة لتقليل إجهاد العمـل ضد ضحية عاجزة. وفي الوقت ذاته، يكون من المهم التعرف على بعض الاختلافات بين وضع المتدربين ووضع الألمان في ظل هتلر.

يتـم تقديـم التجربـة للمتدربـين بطريقـة تؤكد عـلى قيمها الإنسـانية الإيجابيـة: زيـادة المعرفة حـول عمليات التعلـم والذاكرة. هـذه الغايات تتفق مع القيم الثقافية بشـكل عام. والطاعة هي مجرد وسيلة لتحقيق هذه الغايات. وعلى النقيض من ذلك، كانت الأهداف التي سـعت إليها ألمانيا النازية سيئةً أخلاقيًا، واعترف بها العديد من الألمان على هذا النحو.

إن إدامة عملية الطاعة للمتدربين يعتمد بشكل كبير على طبيعة المناسبة الاجتماعيـة وجهًـا لوجـه والمراقبـة المصاحبة لهـا. رأينا كيـف انخفضت الطاعة بشـكل حـاد عندما لم يكن المجـرب موجودًا وهنا كانت أشـكال الطاعـة التي حدثت في ألمانيا تعتمد بدرجة أكبر على استيعاب السـلطة، وربما كانـت أقل ارتباطًا بالمراقبة الدقيقة. أعتقد أن مثل هذا الاسـتيعاب يمكـن أن يحدث فقط من خلال عمليات تلقـين طويلة نوعًا ما. وهكذا، فـإن الآليـات التي تربط الشـخص الألماني بطاعته لم تكـن مجرد أمر محرج بدون عصيان، بل كانت آليات عقابية داخلية أكثر لا يمكن أن تتطور إلا من خلال علاقات ممتدة مع السلطة.

وهنا يجب على الأقل ذكر الاختلافات الأُخرى: أن تُقاوم النازية كانت بحد ذاتها عملاً بطوليًا وليست قرارًا غير منطقي، وكان الموت عقوبةً محتملة، وشُوّهت سمعة الضحايا أنفسهم وصُوِّروا على أنهم لا يستحقون الحياة أو اللطف الإنساني. أخيرًا، قامت السلطةُ بإخبار المتدربين أن ما كانوا يفعلونه بضحيتهم قد يكون مؤلمًا لفترةٍ مؤقتة ولكن ضررهُ لن يدوم، في حين أن هؤلاء الألمان المتورطين بشكل مباشر في عمليات الإبادة الجماعية يعرفون أنهم لم يتسببوا في الألم فحسب، بل كانوا قد تعدوه الى تدمير الحياة البشرية. لِذلك، أكد التحليل النهائي للتجربة أن ما حدث في ألمانيا من عام (1933) إلى عام (1945) لا يمكن فهمه بالكامل إلا على أنه تعبير عن تطور تاريخي فريد لن يتم تكراره مرة أُخرى بدقة.

ومع ذلك، يمكن فهم جوهر الطاعة - كعملية نفسية - من خلال دراسة الموقف البسيط الذي تطلب فيه سلطة شرعية من الرجل التصرف ضد فرد ثالث. حيث واجه هذا الموقف كلٌ من متدربنا التجريبي والمتدرب الألماني وأثار في كل منهما مجموعةً من التعديلات النفسية المتوازية.

وتسلّط الدراسة التي نشرها (ديكس، 1972) مزيدًا من الضوء على هذا الأمر. وفي هذه الدراسة أجرى ديكس مقابلات مع أعضاء سابقين في معسكرات الاعتقال التابعة لقوات الأمن الخاصة ووحدات (جستابو)، وفي ختام دراسته ربط ملاحظاته بتجارب الطاعة ووجد أوجه تشابه واضحة في الآليات النفسية لأشخاص (SS ووحدات جستابو) الذين تمت مقابلتهم والمتدربين في المختبر:

كان ميلجرام... قادرًا على تحديد الحاجة الناشئة لتقليل قيمة الضحية... ونحن ندرك الميول، كما في BS وBT وGM (الأشخاص الذين تمت مقابلتهم في دراسة ديكس). وكان من المثير للإعجاب أيضًا تقييم موقف «الشخص العاجز» كدفاع أخلاقي من خلال تسجيل ميلجرام للأشخاص الذين يمكنهم بعد ذلك إعلان «أنهم مقتنعون بالخطأ فيما طُلب منهم القيام به»، وبالتالي صاروا يشعرون بأنهم فاضلون وكانت فضيلتهم غير فعالة لأنهم لم يتمكنوا من حمل أنفسهم على تحدي السلطة. وهذه النتيجة تذكرنا بالتشتت الكامل لرجل مثل PF (عضو في SS) الذي تولّد لديه الشعور بالكثير من السخط ضد ما كان عليه فعله.

كشفت تجربة ميلجرام بدقة عن النزعة «الإنسانية للغاية» للتوافق والطاعة لسلطة المجموعة... وقد أشار عمله أيضًا إلى بعض دفاعات الأنا نفسها التي استخدمها لاحقًا المتدربون «العاديون» كمبررات لأفعالهم.

كان الراحل (جوردون دبليو ألبورت) مغرمًا بتسمية هذا النموذج التجريبي بـ«تجربة أيخمان»، وذلك لأنه رأى في وضع الشخص شيئًا أقرب إلى المنصب الذي كان يشغله البيروقراطي النازي – سيئ السمعة – الذي كان ضمن سياق «تنفيذ عمله» في تدمير ملايين البشر. فربما تكون «تجربة أيخمان» مصطلحًا مناسبًا، لكن لا ينبغي أن يقودنا إلى الخطأ في استيراد هذا التحقيق. كما أن التركيز فقط على النازيين – مهما كانت أعمالهم فظيعةً وقاسية – والنظر إلى الفظائع التي حظيت بتغطية إعلامية كبيرة باعتبارها

ذات صلة بهذه الدراسات هو بحد ذاتهِ تضييع للهدف حرفيًا. أما بالنسبة للدراسـات، فإن مهمتها الأساسية تقتصرُ على التدمير العادي والروتيني والذي يقوم به الأشخاص العاديون الذين يتبعون الأوامر.

15

الخاتمة



إن المعضلة التي يطرحها الصراع بين الضمير والسلطة متأصلةٌ في طبيعة المجتمع وستكون موجودة حتى بعدم وجود ألمانيا النازية، كما أن التعامل مع المشكلة يجب أن يتم من خلال منحها مسافةً وهميةً فقط كما لو كانت مسألة تاريخية.

فالبعض يرفض المثال النازي لأننا نعيش في دولة ديمقراطية ليست كتلك الاستبدادية، لكن في الواقع هذا لا يقضي على المشكلة. فالمشكلة ليست «الاستبداد» كأسلوب من التنظيم السياسي أو مجموعة من المواقف النفسية بل السلطة نفسها. وقد يفسح الاستبداد الطريق للممارسة الديمقراطية، لكن السلطة نفسها لا يمكن القضاء عليها طالما أن المجتمع سيستمر بالشكل الذي نعرفه».

وفي نظـام الديمقراطيات، يتـم تعيين الرجـال في مناصبهم من خلال انتخابات شـعبية. ومع ذلك، بمجرد تثبيتها فإنهم ليسـوا أقل من أولئك الذين يحصلون على السـلطة بوسـائل أخرى. وكما رأينا سابقًا، فقد يكون هناك تعارضٌ بين مطالب السلطة القائمة ديمقراطيًا والضمير. ومن هذا المنطلق فإن اسـتيراد واسـتعباد ملايين السـود وتدمير السكان الاصليين من الهنـود الأمريكيين، واعتقال الأمريكيين لليابانيين، واسـتخدام قنابل النابالم ضد المدنيين في فيتنام، تعتبر كلها سياساتٍ قاسيةً نشأت عن سلطة دولة ديمقراطية، وقد حققت الاسـتجابة بالطاعة المتوقعة. وفي كل حالة، تم رفع أصوات الأخلاق ضد الإجراء المعني، لكن الاستجابة النموذجية للمتدرب كانت إطاعة الأوامر أولاً وآخرًا.

في الحقيقـةِ إننـي مندهـش جـدًا بأنه عنـد إلقاء محاضرة حـول تجارب الطاعـة في الكليـات في جميـع أنحـاء البـلاد، فقـد واجهـت شـبانًا كانوا مذعورين من سـلوك المتدربين التجريبيـين وأعلنوا أنهم لن يتصرفوا أبدًا بهـذه الطريقة، ولكنهم في غضون أشـهر، تم إحضارهـم إلى الجيش وأتموا تنفيـذ الأوامـر دون تأنيب الضمـير. وفي هذا الصدد، فهم ليسـوا أفضل ولا أسـوأ من البشر في أي عصر آخر من الذين يسـعون لتحقيق أغراض السلطة ويصبحون أدواتٍ في عملياتها المدمرة.

الطاعة والحرب في فيتنام

يتعـرف كل جيـل عـلى مشـكلة الطاعـة مـن خـلال تجربتـه التاريخية الخاصـة. ومن هنـا خرجت الولايـات المتحدة مؤخرًا مـن حرب مكلفة ومثيرة للجدل في جنوب شرقي آسيا.

إن قائمـة الأعمال اللاإنسـانية التـي يقوم بها الأمريكيـون العاديون في الـصراع الفيتنامي طويلة جـدًا لتوثيقها هنا بالتفصيـل. حيث تمت إحالة القـارئ إلى العديد من الأطروحات حول هـذا الموضوع (تايلور، 1970، كليسر، 1971، هالبرسـتام، 1965). وقد نذكر فقط أن جنودنا قد أحرقوا القـرى بشـكل روتيني، منخرطين في سياسـة «منطقة إطـلاق النار الحر» ومسـتخدمين قنابل النابالم على نطاق واسـع، مع تطبيق أحدث التقنيات العسـكرية ضد الجيوش البدائية، وأزالوا مساحات شاسعة من الأرض، وأخذوا المرضى وكبار السـن لأغراض النفعية العسكرية، وذبحوا مئات المدنيين العزل.

وبالنسـبة إلى العالِم النفسـاني، لا تظهر هذه الأحداث على أنها أحداثٌ تاريخيـة غير شـخصية، بل عـلى أنها أفعـالٌ قام بهـا رجال مثلنـا تمامًا ممن حولتهم السلطة الى مطيعين وبالتالي فقد تخلوا عن كل إحساس بالمسؤولية الفردية عن أفعالهم.

فكيف يمكن لشخص محترم أن يجد نفسه في غضون بضعة أشهر يقتل رجالاً آخرين بلا قيود وبلا تحرك لضميره؟ دعونا نراجع العملية.

أولا، يجب نقل الشـخص من موقع خارج نظام السلطة العسكرية إلى نقطة داخلها. ولكي يوفر إشـعار الاسـتقراء المعروف الآلية الرسمية يتم استخدام قسم الولاء لزيادة تعزيز التزام المجند بدوره الجديد.

ومـن ثم تم فصـل منطقـة التدريـب العسـكري مكانيًا عـن المجتمع الأكبر لضمان عدم وجود سـلطات منافسـة. ومن هنا يتم تحديد المكافآت والعقوبـات وفقًـا لمدى جودة طاعة المرء. وهذا كلـهُ يتم عن طريق قضاء

عـدة أسـابيع في التدريب الأسـاسي. وعـلى الرغم من أن هـدف التجربة الظاهري هو تعزيز المهارات العسكرية لدى المجند، إلا أنها تهدف بشكلٍ أساسي إلى تحطيم أي بقايا فردية أو ذاتية.

كـما أن السـاعات التي يقضونهـا في حقل التدريبات لا تهدف بشـكلٍ رئيسي إلى تعليم الشـخص المسـيرة بكفاءة وإنما الانضباط وإعطاء شـكل مرئـي لانغـماس الفرد في وضـع تنظيمي. وسرعـان ما تتحـرك الفصائل كرجل واحد، فكل منها يسـتجيب لسـلطة رقيـب التدريبات. فمثل هذه التشـكيلات لا تتكون من أفراد، بل من إنسان آلي. ويعتبر الهدف الكامل من التدريب العسـكري هو اختزال جندي المشاة إلى هذه الحالة والقضاء عـلى أي أثـر للأنـا مع ضمان قبـول داخلي للسـلطة العسـكرية من خلال التعرض للتدريبات خلال فترة طويلة.

وقبـل اتمـام عملية الشـحن إلى منطقـة الحرب، تبـذل السـلطة جهدًا لتحديد معنى عمل الجندي بطريقة تربطه بالمُثُل القيّمة والأغراض الأكبر للمجتمع ويتم إخبار المجندين أن من يواجههم في المعركة هم أعداء الأمة وأنـه ما لم يتم تدميرهـم، فإن بلدهم معرضٌ للخطر. وكذلك يتم تعريف الوضـع بطريقة تجعل التصرفات القاسـية واللاإنسـانية تبدو مبررة. ففي الحـرب الفيتنامية، كان هناك عنصر إضافي جعل العمل الوحشي أسـهل: حيـث كان العـدو من عرق آخر وكان يُشـار إلى الفيتناميين عمومًا باسـم «gooks»، كما لو كانوا من غير البشر وبالتالي لا يستحقون التعاطف.

أما داخل منطقة الحرب، فتسـود الحقائق الجديدة التي منها أن الجندي يواجه خصمًا مدربًا ومُلقنًا بشكل مماثل وأن أي خلل في التنظيم في صفوف

الجنـدي يشـكل خطرًا عـلى وحدته العسـكرية إذ سـتكون وحـدةً قتاليةً أقـلَّ فعالية وقابلـةً للهزيمة في نفس الوقت. وهكـذا، يصبح الحفاظ على الانضباط عنصرًا للبقاء ولا يُترك للجندي خيارٌ بديلٌ سوى الانصياع.

وفي أداء واجباتـه الروتينيـة، لا يواجه الجندي أي قيود فردية ضد قتل أو إصابة أو تشـويه الآخرين، سـواءً كانوا جنودًا أو مدنيين. ومن خلال أفعالهم، يعاني الرجال والنسـاء والأطفـال من الكرب والموت، لكنهم لا يـرون أن هـذه الأحداث ذات صلة شـخصية بما يقومـون بالمهمة الموكلة إليهم.

إن احتمالية العصيان أو الانشقاق لبعض الجنود تحدث عادةً في الوضع الفعـلي الـذي يعملون فيـه الآن والذي لا يجعـل الأمر يبـدو عمليًا. فإلى أيـن يهربون؟ وعـلاوةً على ذلك، هنـاك عقوبات صارمة عـلى العصيان. وأخيرًا، هناك أسـاس داخلي قوي للطاعة. وهنـا لا يرغب الجندي في أن يظهر جبانًا أو خائنًا أو غير أمريكيٍّ. وانطلاقًا مما سبق تم تعريف الوضع بحيـث يمكن للجندي أن يرى نفسـه وطنيًا وشـجاعًا ورجوليًا فقط من خلال الامتثال.

ويُقـال مـرةً أُخـرى قيل للجنـدي إنه يقتـل الآخرين في قضيـة عادلة ويـأتي هـذا الامر من أعـلى القادة - ليـس فقط من قائـد فصيلته، ولا من كبـار الضباط في فيتنام، ولكن من الرئيس نفسـه. فأولئك الذين يحتجون على الحرب في الداخل مسـتاؤون لأن الجندي محبوس في هيكل السـلطة، وأولئك الذين يتهمون أنه يقوم بعمل سيء وشـيطاني يهددون التعديلات النفسـية التـي تجعل الحياة مقبولـة. وبمجرد قضاء اليـوم والبقاء على قيد

الحيـاة هـو مجرد عمل روتيني بـما فيه الكفاية حيـثُ لا يوجد وقت للقلق بشأن الأخلاق.

أما بالنسـبة للبعض، فإن التحول إلى المرحلة الوسيطة هو جزئي فقط، وربما تُخترق القيم الإنسـانية. فمثل هؤلاء الجنـود المفجوعين بالضمير - رغـم قلة عددهـم - يُعتبرون مصادرَ محتملةً للاضطـراب وفي النهاية يتم عزلهم عن الوحدة.

لكن هنا نتعلم درسًـا قويًا في عمل المنظمات، فانشقاق فرد واحد طالما أمكـن احتواؤه فليس له عواقب تذكر وسـيتم استبداله بالرجل التالي في الصـف. لكن الخطـر الوحيد يكمـن في الأداء العسـكري وفي احتمال أن يقوم المنشـق الوحيد بتحفيز الآخرين، لِذلك يجب عزله أو معاقبته بشـدة لتثبيط الباقين عن تقليده.

وفي كثـير من الأمثلة، يـبرز دور التكنولوجيا في تخفيف الضغط بتوفير المخـازن المؤقتة اللازمة. وتم إسـقاط قنابل النابالم على المدنيين من ارتفاع عشرة آلاف قدم فوق رؤوسهم.

ومـع تقـدم الحرب يتصرف الرجال العاديون بقسـوة وشـدة مما يجعل سـلوك المتدربين التجريبيين يظهر على أنه مسرحية بريئة. ولا تأتي الحرب عـلى نهايتهـا مـن خلال عصيـان الجنـود الأفـراد ولكن من خـلال تغيير السياسة الحكومية وهنا يضع الجنود أسلحتهم عندما يُؤمرون بذلك.

أمـا قبل انتهاء الحرب، يظهر السـلوك البشري الذي يؤكد أسـوأ نذير شـؤم لدينـا. ففي حـرب الفيتنام، كشـفت مذبحة (مـاي لاي) بوضوح المشـكلة التـي تناولها هذا الكتـاب. وفيما يلي سرد للحـادث من قبل أحد

المشاركين في هذه المجزرة، الذي أجرى مقابلة مع مايك والاس من شبكة سي بي إس نيوز:

س: «كم عدد الرجال على متن كل مروحية؟».

ج: «خمسة منا، وهبطنا بجوار القرية، وصعدنا جميعًا على الخط وبدأنا بالسير نحو القرية ووجدنا رجلاً واحدًا من الفيتناميين قد بقي في الملجأ، وكان جميعهم متجمعون هناك وصرخ أحدهم قائلاً: هناك رجل!».

س: «كم كان عمر الرجل هذا؟ أعني هل كان هذا رجلاً مقاتلاً أم رجلاً كبير السن؟».

ج: «رجلٌ كبير في السن». وانتقل الرجل إلى الخارج وقال: «يوجد واحدٌ مهمٌ هنا»، ثم رد الرقيب ميتشيل وقال: «أطلق النار عليه».

س: «الرقيب ميتشل كان مسؤولاً عن العشرين منكم؟».

ج: «كان مسؤولاً عن الفريق بأكمله، وبعد ذلك أطلق الرجل النار عليه، لِذلك انتقلنا إلى القرية وبدأنا بالبحث عن الناس في القرية لجمعهم».

س: «كم عدد الأشخاص الذين تم جمعهم؟».

ج: «حسنًا، كان هناك حوالي (40 أو 50) شخصًا قمنا بجمعهم في وسط القرية وقد وضعناهم هناك، وكانت مثل جزيرة صغيرة هناك في وسط القرية».

س: «أي نوع من الناس - رجال، نساء، أطفال؟».

ج: «الرجال والنساء والأطفال».

س: «أطفال؟

ج: «الأطفال، وقمنا بجمعهم وقد جعلناهم يجلسون القرفصاء، وجاء الملازم (كالي) وقال: «تعرف ماذا تفعل بهم، أليس كذلك؟» وقلت: «نعم». لِذلك، اعتبرت أنه كان يريدنا فقط أن نراقبهم ومن ثم غادر وعاد بعد حوالي (10 أو 15) دقيقة، ثم قال: «لِمَ لم تقتلهم بعد؟» عندها قلت له إنني لا أعتقد أنك تريدنا أن نقتلهم، بل تريدنا فقط أن نحرسهم. ثم رد عليَّ، لا! أريدهم موتى».

س: «قال هذا لكم جميعًا أم لك بالذات؟».

ج: «حسنًا، كنت أنا مواجهًا لهُ بالإضافة الى ثلاثةٍ آخرين، وأربعة رجال سمعوا ذلك، فتراجع إلى الوراء حوالي عشرة الى خمسة عشر قدمًا، وبدأ بإطلاق النار عليهم. وقال لي أن أبدأ في إطلاق النار. لِذلك، بدأت بإطلاق النار وقد أصبت حوالي أربعةً ممن في المجموعة».

س: «لقد أطلقت أربعة خراطيش من..»..

ج: «M-16».

س: «وهذا هو عدد الخراطيش - أعني، كم العدد-؟».

ج: «حمّلت سبعة عشر طلقة لكل خرطوش».

س: «إذًا أنت أطلقت ما يقارب سبعًا وستين طلقة؟».

ج: «نعم».

س: «وكم قتلت حينها؟».

ج: «حسنًا، لقد أطلقت عليهم النار عشوائيًا وبالتالي لا يمكنك معرفة عدد القتلى لأنهم كانوا يسيرون بسرعة، لذا لربما قتلت عشرة أو خمسة عشر منهم».

س: «رجال ونساء وأطفال؟».

ج. «الرجال والنساء والأطفال».

س: «والأطفال الرُّضّع؟».

ج. «والأطفال الرُّضّع أيضًا».

س: «حسنا. ثم ماذا؟».

ج: «ثم بدأنا في جمع المزيد من الأشخاص، وكان لدينا حوالي سبعة أو ثمانية أشخاص والذين كنا سنضعهم في الحفرة ومن ثم ألقينا معهم قنبلة يدوية».

س: «الآن، هل تجمع أكثر؟».

ج: «نحن نجمع المزيد، وكان لدينا حوالي سبعة أو ثمانية أشخاص وكنا نرميهم في الحفرة، حسنًا، وضعناهم في الكوخ ثم أسقطنا معهم قنبلة يدوية. وواحدٌ منهم تحصّن في الوادي الضيق، وطلب منا إحضارهم إلى الوادي،

لِذلك أخذناهم مرة أُخرى، وقدناهم إلى هناك، وبحلول ذلك الوقت كان هناك حوالي سبعين شخصًا. لِذلك قمنا بالدخول معهم وقال لي الملازم كالي: «أيها الجندي، لدينا عمل آخر لنقوم به». وهكذا، سار باتجاههم وبدأ في دفعهم بعيدًا ومن ثم بدأ بإطلاق النار...»..

س: «هل بدأت بدفعهم إلى الوادي الضيق؟».

ج. «دفعناهم إلى داخل الوادي، فلقد كان خندقًا. وبدأنا بدفعهم بعيدًا، ومن ثم أطلقنا النار عليهم، لِذلك قمنا بدفعهم جميعًا وبعدها هجمنا بشكلٍ تلقائيٍ عليهم. وثم...»..

س: «مرة أُخرى، هل كان هناك رجال ونساء وأطفال؟».

ج. «الرجال والنساء والأطفال».

س: «والأطفال؟».

ج. «والأطفال. وهكذا، بدأنا في إطلاق النار عليهم نصحنا أحد الجنود أن يكون رمينا للرصاص على الوضع المفرد حتى نتمكن من توفير الذخيرة. لِذلك، حوّلنا إلى طلقة واحدة، وأطلقنا بضع طلقات حولنا في كل مكان».

س: «لماذا فعلت ذلك؟».

ح: «لماذا فعلت ذلك؟ لأنني شعرت وكأنني أُمرت بالقيام بذلك، وبدا الأمر كذلك، وفي ذلك الوقت شعرت أنني أفعل الشيء الصحيح لأنه كما قلت، لقد فقدنا رفاقنا. فأنا

فقدت صديقي (بوبي ويلسون)، وكان ذلك يؤنبني كثيرًا. لِذلك، وبعد أن أنهيت مهمتي، شعرتُ أنني بحالةٍ جيدة، لكن في وقت لاحق من ذلك اليوم، شعرت أنني الأمر ليس كما بدا».

س: «هل أنت متزوج؟».

ج. «نعم».

س: «هل لديك أطفال؟».

ج. «اثنان».

س: «كم أعمارهم؟».

ج: «الولد يبلغ من العمر سنتين ونصف، والبنت سنة ونصف».

س: «من الواضح أن السؤال يتبادر إلى ذهني...والد لطفلين صغيرين هكذا...كيف يطلق النار على الأطفال؟».

ج: «لم يكن لدي الفتاة الصغيرة. كان لدي فقط الصبي الصغير في ذلك الوقت».

س: «آه... كيف تطلقون النار على الأطفال؟».

ج: «لا أعرف».

س: «كم عدد الأشخاص الذين تتصور أنهم قُتلوا ذلك اليوم؟».

ج: «أود القول إنهم حوالي ثلاثمائة وسبعين».

س: «كيف توصلت الى هذا الرقم؟».

ج. «مجرد تخمين».

س: «تقول إنك كنت مسؤولاً عن الكثير من الناس، كم كان عددهم؟».

ج: «لا أستطيع أن أقول».

س: «خمسة وعشرون؟ خمسون؟».

ج: «لا أستطيع أن أقول. فقط الكثير».

س: «وكم عدد الرجال الذين قاموا بإطلاق النار؟».

ج: «حسنًا، لا أستطيع قول ذلك أيضًا فقد كان هناك آخرون... كان هناك فصيلٌ آخر و... لكنني لم أستطع معرفة أو حتى تخمين عددهم».

س: «لكن هؤلاء المدنيين أصيبوا بالرصاص؟ لم يقُتلوا بالنيران المتبادلة؟».

ج: «لم يتم إصابتهم... لقد دُفعوا في الوادي، أو أُطلق عليهم وهم جالسون».

س: «ماذا فعل هؤلاء المدنيون - خاصة النساء والأطفال وكبار السن من الرجال - ماذا فعلوا؟ ماذا قالوا لك؟».

ج: «لم يقولوا لي الكثير وكانوا يفعلون ما قيل لهم أن يفعلوه».

س: «ألم يكونوا يتوسلون ولا يقولون، «لا... لا «أو أي شيء؟».

ج. «صحيح. كانوا يتوسلون ويقولون: «لا، لا». وكانت الأمهات تعانقن أطفالهن، و... لكنهم استمروا في إطلاق النار. حسنًا، لقد واصلنا إطلاق النار وكانوا يلوحون بأذرعهم ويتوسلون».

(نيويورك تايمز 25 نوفمبر 1969)...

لم يتم تقديم الجندي للمحاكمة بسبب دوره في مجزرة (ماي لاي)، لأنه لم يعد خاضعًا للقضاء العسكري في الوقت الذي وصلت فيه المجزرة إلى اهتمام الرأي العام.

ومن خلال قراءة نصوص واقعة (ماي لاي)، ومحاكمة (أيخمان)، ومحاكمة الملازم (هنري ويرز)، القائد في أندرسونفيل، تتكرر الموضوعات التالية:

1- نجد مجموعة من الأشخاص يقومون بوظائفهم ويغلب عليهم الأمر الإداري أكثر من النظرة الأخلاقية.

2- في الواقع، يميز الأفراد المعنيون بين تدمير الآخرين كواجب والتعبير عن المشاعر الشخصية لذا فإنهم يختبرون حسًا أخلاقيًا لدرجة أن جميع أفعالهم تحكمها أوامر من السلطة الأعلى.

3- تنبع القيم الفردية للولاء والواجب والانضباط من الاحتياجات الفنية للتسلسل الهرمي والتي يتم اختبارها على أنها واجبات أخلاقية شخصية للغاية من قبل الفرد، ولكنها على المستوى التنظيمي هي ببساطة الشروط المسبقة للحفاظ على النظام الأكبر.

4- هناك تعديل متكرر للغة بحيث لا تتعارض الأفعال – على المستوى اللفظي – مع المفاهيم الأخلاقية اللفظية مباشرةً، وهي التي تشكل جزءًا من تنشئة كل شخص. وأصبحت العبارات الملطفة تهيمن على اللغة – ليس بشكل تافه، ولكن كوسيلة لحماية الشخص من الآثار الأخلاقية الكاملة لأفعاله.

5- تتحول المسؤولية دائمًا إلى رتبةٍ أعلى في ذهن المرؤوس وغالبًا ما يكون هناك العديد من طلبات «التفويض». وفي الواقع، فإن الطلبات المتكررة للحصول على التفويض هي دائمًا علامة مبكرة على أن المرؤوس يشعر – على مستوىً ما – أن هناك انتهاكًا صارخًا لقاعدةٍ أخلاقيةٍ معينة.

6- تُبرر الأفعال دائمًا تبعًا لمجموعة من الأغراض البناءة، ويُنظر إليها على أنها نبيلة في ضوء بعض الأهداف الأيديولوجية السامية. ففي التجربة، يتم تقديم العلم من خلال فعل صدمة الضحية ضد إرادته؛ في ألمانيا كان تدمير اليهود يمثل عملية «صحية» ضد «الحشرات اليهودية» (هيلبيرج، 1961).

7- دائمًا ما تكون هناك بعض العناصر السيئة في الاعتراض على المسار المدمر للأحداث، أو في الواقع في جعله موضوعًا للمحادثة. وهكذا، في ألمانيا النازية حتى بين أولئك الأكثر ارتباطًا بـ «الحل النهائي»، كان الحديث عن عمليات القتل يعتبر تصرفًا غير لائق (هيلبيرج، 1961) وكانت أغلب اعتراضات المشاركين في التجربة تحدث لأنها محرجة.

8- عندما تظل العلاقة بين الذات والسلطة سليمة، تلعب التعديلات النفسية دورها لتخفيف الضغط الناجم عن تنفيذ الأوامر غير الأخلاقية.

9- لا تأخذ الطاعة شكل المواجهة الدرامية بين الإرادات أو الفلسفات المتعارضة، ولكنها تكون جزءًا لا يتجزأ من جو أكبر حيث تحدد العلاقات الاجتماعية والتطلعات المهنية والروتينية للأسلوب المهيمن. وعادةً لا نجد شخصيةً بطوليةً تكافح مع الضمير، ولا رجلاً عدوانيًا يستغل موقعًا في السلطة بلا رحمة، ولكن قد نجد موظفًا تم تكليفه بوظيفة وهو يسعى جاهدًا لخلق انطباع عن الكفاءة في عمله.

الآن دعونا نعود إلى التجارب ونحاول التأكيد على معناها. إن السلوك الذي تم الكشف عنه في التجارب المذكورة هنا هو سلوكٌ بشريٌ طبيعيٌ ولكن تم الكشف عنه في ظل ظروف تظهر بوضوح خاصةً عند وجود خطرٍ على بقاء الإنسان. وما الذي رأيناه؟ لا عداء، ولا غضب ولا حقد ولا كراهية لدى من صدم الضحية. فالرجال يغضبون وعادةً ما يتصرفون بالكراهية بشكل كامل وينفجرون في حالة من الغضب ضد الآخرين. لكن ليس هنا، فقد تم الكشف عن شيء أكثر خطورة بكثير: قدرة الإنسان على التخلي عن إنسانيته، وحتمية قيامه بذلك، لأنه يدمج شخصيته الفريدة في هياكل مؤسسية أكبر.

وهذا التخلي هو عيبٌ قاتل اختلقتهُ الطبيعة فينا، والذي يمنح جنسنا على المدى الطويل فقط فرصة متواضعة للبقاء.

ومن المفارقـات أن فضائل الولاء والانضباط والتضحية بالنفس التي نقدّرهـا بشـكل كبـير في الفرد هـي الخصائـص ذاتها التي تخلـق محركات تنظيمية مدمرة للحرب وتربط الرجال بأنظمة خبيثة للسلطة.

إن كل فـرد يمتلك ضميرًا يعمل بدرجـة أكبر أو أقل على كبح التدفق غـير المعوق للنبضات المدمـرة للآخرين. ولكن عندما يدمج شـخصه في هيكل تنظيمي، فإن مخلوقًا جديدًا يحل محل الإنسان المستقل، دون عوائق مـن قيـود الأخـلاق الفرديـة، متحررًا مـن الكبح الإنسـاني، مـع مراعاة عقوبات السلطة فقط.

مـا هو حد مثل هـذه الطاعة؟ حاولنا في العديد مـن النقاط وضع حد وتـم إدراج صرخـات الضحية؛ فلم تكـن هذه الصرخات جيـدةً كفاية. فقد ادّعى الضحية أن لديه مشكلةً في القلب، ومع ذلك كان المتدربون لا يزالون يواصلون الصدمـات عند تلقي الأوامر. وعندما التمس الضحية إطـلاق سراحـه، ولم تعد إجاباته مسـجلة في صندوق الإشـارة؛ مع ذلك اسـتمر المتدربـون في توجيه الصدمـة لهُ. في البداية لم نتصـور أن مثل هذه الإجـراءات الصارمة سـتكون ضرورية لتوليد العصيـان، وأضيفت كل خطـوة فقط عندمـا أصبحت عدم فعالية التقنيات السـابقة واضحة. فقد كان الجهد الأخير لوضع حد هو حالة (تقريب – اللمس). لكن المتدرب الأول في هـذه الحالـة أخضـع الضحيـة لأمـره، وانتقل إلى أعلى مسـتوى للصدمة وكذلك كان أداء ربع الأشخاص في هذه الحالة مشابهًا لسابقه.

إن النتائج كما شـوهدت وشُـعِرَ بهـا في المختبر تثير احتـمال أن الطبيعة البشريـة – أو بشـكل أكثـر تحديـدًا – نوع الشـخصية المنتجـة في المجتمع

الديمقراطي الأمريكي لا يمكن الاعتماد عليها لعزل مواطنيها عن الوحشية والمعاملة اللاإنسانية في اتجاه السلطة الحاقدة. حيثُ تقوم نسبةٌ كبيرةٌ من الناس بما يُطلب منهم القيام به، بغض النظر عن محتوى الفعل وبدون قيود للضمير طالما أنهم يدركون أن الأمر يأتي من سلطة شرعية.

في مقال بعنوان «مخاطر الطاعة» كتب هارولد ج. لاسكي:

... الحضارة تعني، قبل كل شيء، عدم الرغبة في إلحاق أذىً غير مُبرر. فضمن حدود هذا التعريف، لا يمكن لمن يقبلون بأوامر السلطة بلا مبالاة الادعاء بأنهم رجال متحضرون.

...إن عملنا، إذا أردنا أن نعيش حياة لا تخلو تمامًا من المعنى والمغزى، هو عدم قبول أي شيء يتعارض مع تجربتنا الأساسية لمجرد أنها تأتي إلينا من التقاليد أو العُرف أو السلطة. فلربما نكون مخطئين، لكن تعبيرنا عن الذات يُحبط من الجذور ما لم تتطابق الحقيقة التي يُطلب منا قبولها مع الحقائق التي نختبرها. هذا هو السبب في أن الحرية في أي دولة هي دائمًا محل شكوك واسعة النطاق ومتسقة في الشرائع التي تصر عليها السلطة.

الملحق الأول

المشاكل الأخلاقية في البحث

كان الغرض من التحقيق الموصوف هنا هو دراسة الطاعة وعصيان السلطة في ظل ظروف تسمح بتمعُن دقيق لهذه الظاهرة. وأخبر أحد المجربين شخصًا أن يطيع مجموعة من الأوامر القاسية بشكل متزايد، وكان اهتمامنا هو معرفة متى سيتوقف عن الطاعة. فكانت هناك حاجة لعنصر من عناصر التمثيل المسرحي لتهيئة الظروف المناسبة لمراقبة السلوك، وتم استخدام الأوهام الفنية بحرية (مثل حقيقة أن الضحية بدت وكأنها مصدومة فعلا). علاوةً على ذلك، كان معظم ما حدث في المختبر هو ما تم اكتشافه، وليس ما تم التخطيط له.

ومع ذلك، فبالنسبة لبعض النقاد، لم يكن الغرض الرئيسي للتجربة هو جعل الأشخاص يخضعون للطاعة بل كان في أن التجربة قد أجريت فعلا. وحدث استقطاب معين بين علماء النفس المحترفين. وقد حظيت

التجربة بإشـادة كبيرة وانتقـادات لاذعة. في عام 1964، هاجمت الدكتورة ديانا بومريند التجارب في عالم النفس الأمريكي، والتي نشرت فيها لاحقًا هذا الرد:

.. في العـدد الأخـير مـن مجلـة علـم النفـس الأمريكيـة، أثـار إحدى الناقدات عددًا من الأسـئلة المتعلقة بتقرير الطاعة معربةً عن شديد قلقها بشـأن رفاهية الأشـخاص الذين شاركوا بالتجربة، وتسـاءلت عما إذا تم اتخاذ تدابير كافية لحمايتهم.

في البدايـة، يخلط الناقد بين النتيجة غـير المتوقعة لتجربة ما وإجراءاتها الأساسـية. فعلى سـبيل المثـال، تكتب الناقدة: كـما لو أن إنتـاج التوتر في المتدربين كان لهُ تأثيرٌ مقصودٌ ومتعمدٌ للتلاعب التجريبي. وهناك العديد مـن الإجـراءات المختبريـة المصـممة خصيصًـا لخلق التوتـر (لازاروس، 1964)، لكـن نمـوذج الطاعـة لم يكـن واحـدًا منهـا. إن التوتـر الشـديد الناجـم عـن بعض المواد كان غـير متوقع. فقبل إجراء التجربة، نُوقشـت الإجـراءات مع العديد مـن الزملاء، ولم يتوقع أي منهم ردود الفعل التي حدثـت لاحقًـا. فلا يمكن أن تكون المعرفة المسـبقة بالنتائـج هي المرافقة الثابتة للمسـار التجريبي. وهنا يتوسـع المفهوم لأننا ندرس المواقف التي تكـون فيهـا النهاية غـير معروفة ويجب على المحقق غـير الراغب في قبول هذه الدرجة من المخاطر أن يتخلى عن فكرة البحث العلمي.

عـلاوة عـلى ذلك، كانـت هنـاك كل الأسـباب للتوقع – قبـل إجراء التجـارب الفعلية – أن الأشـخاص سـيرفضون اتباع تعليـمات المجرب بـما يتجـاوز النقطة التي احتج فيهـا الضحية؛ وتـم اسـتجواب العديد من

الزملاء والأطباء النفسيين حول هذه النقطة، وشعروا جميعًا أن هذا سيكون هو الحال. في الواقع، ولبدء تجربة يكون فيها المقياس النقدي معلقًا على العصيان، يجب على المرء أن يبدأ بالإيمان بمواردَ عفويةٍ معينةٍ لدى الرجال والتي بدورها تمكنهم من التغلب على ضغط السلطة.

صحيح أنه بعد خضوع عدد معقول من الأشخاص للإجراءات، أصبح من الواضح أن البعض سيصل إلى نهاية لوحة الصدمة وسيواجه البعض هذا التوتر والإجهاد. هذه النقطة - كما يبدو لي - هي أول منعطف شرعي يمكن للمرء عنده أن يتساءل عما إذا كان سيتخلى عن هذه الدراسة أم لا، لكن هذا الانفعال ليس مثل الضرر. ومع تقدم التجربة، لم يكن هناك ما يشير إلى آثارٍ ضارةٍ في هؤلاء المتدربين؛ وبما أن الأشخاص أنفسهم أيدوا التجربة بقوة، كان الحُكم المُتخذ هو مواصلة التحقيق.

ألا يعتمد النقد على النتائج غير المتوقعة بقدر ما يعتمد على الطريقة؟ فقد أشارت النتائج الى أن بعض الأشخاص قاموا بأداء ما يبدو بطريقةٍ ما غير أخلاقي وصادم. إذًا، بدلاً من ذلك، إذا توقف كل فرد عند «صدمة بسيطة»، أو عند أول علامة على انزعاج المتعلم، فإن النتائج ستكون ممتعة ومطمئنة، ومن ثم من سيحتج؟

حدث جانب مهم للغاية من الإجراء في نهاية الجلسة التجريبية حيث تم إعطاء علاج دقيق بعد التجربة لجميع الاشخاص. ويختلف المحتوى الدقيق لاستخلاص المعلومات من حالة إلى أُخرى. فعلى أقل تقدير، أُخبِرَ جميع الأشخاص بأن الضحية لم تتعرض لصدمات كهربائية خطيرة وكان لكل متدرب مصالحة ودية مع الضحية السليمة، ومناقشة مطولة

مـع المجـرب ثم شُرحـت التجربـة للأشـخاص المتحدين بطريقـة تدعم قرارهم بعصيان المجرب. وبعدها طُمئنَ الأشخاص المطيعين على حقيقة أن سـلوكهم كان طبيعيًا تمامًا وأن مشـاعرهم من خلال الصراع أو التوتر كانـت مشـتركة بين المشـاركين الآخريـن. ولاحقًا تم إبلاغُ الأشـخاص بأنهم سـيحصلون على تقرير شـامل في ختـام السلسـلة التجريبية. أما في بعض الحالات، فقد أُجريت مناقشات إضافية مفصلة وطويلة للتجارب مع متدربين بشكل فردي.

وعنـد اكتـمال السلسـلة التجريبيـة، تلقى الأشـخاص تقريـرًا مكتوبًا يعـرض عليهـم تفاصيل الإجـراء التجريبـي والنتائج. ومـرةً أُخرى، تم التعامـل مع دورهـم في التجـارب بطريقة وديـة وسـلوكهم في التجربة. ومن جانبهم تلقى جميع الأشـخاص المشاركين في التجربة استبيانَ متابعةٍ بخصوص مشـاركتهم في البحث، مما سـمح لهم مرةً أُخـرى بالتعبير عن الأفكار والمشاعر حول سلوكهم.

وأكدت الردود على الاستبيان أن انطباع المشاركين قد أشعرهم بإيجابيةٍ تجـاه التجربة. ففـي جانبها الكمي (انظر الجـدول 8)، صرّح (84 %) من الأشـخاص بأنهم سعداء بكونهم في التجربة؛ و(15 %) أشاروا إلى مشـاعر محايدة و(1,3 %) أبدوا مشـاعر سـلبية. فمن المؤكـد أن مثل هذه النتائج يجب تفسيرها بحذر لكن لا يمكن تجاهلها إطلاقًا.

علاوةً على ذلك، شـعر 4/ 5 من الأشـخاص بضرورة إجراء المزيد من التجـارب من هـذا النوع، وأشـار (74 %) منهم إلى أنهم تعلموا شـيئًا ذا أهمية شخصية نتيجة لوجودهم في الدراسة.

وتم تنفيذ إجراءات استخلاص المعلومات والتقييم بشكل طبيعي، ولم يتم تحفيزها من خلال أي ملاحظة للمخاطر الخاصة في الإجراء التجريبي. ففي تقديري، لم يتعرض الأشخاص في أي وقت للخطر ولا للآثار الضارة الناتجة عن المشاركة وحتى لو كان الأمر بخلاف ذلك، لكانت التجربة قد انتهت في الحال.

يذكر الناقد أنه بعد أن أجرى التجربة، لا يمكن للمتدرب أن يبرر سلوكه ويجب أن يتحمل العبء الكامل لأفعاله. وإلى حد كبير لا يعمل بهذه الطريقة بالآليات نفسها التي تسمح للفرد بأداء الفعل، حيث يؤدي مهمته بإطاعة المجرب بدلاً من تحديه متجاوزًا لحظة الأداء والاستمرار في تبرير سلوكه له. كما أن وجهة النظر نفسها التي يتخذها المتدرب أثناء تنفيذ الإجراءات هي وجهة النظر التي يرى منها سلوكه لاحقًا، وهناك وجهة نظر أُخرى والتي هي «تنفيذ المهمة التي يكلفها الشخص المسؤول».

Table 8. Excerpt from Questionnaire Used in a Follow-up Study of the Obedience Research

Now that I have read the report, and all things considered . . .	Defiant	Obedient	All
1. I am very glad to have been in the experiment	40.0%	47.8%	43.5%
2. I am glad to have been in the experiment	43.6%	35.7%	40.2%
3. I am neither sorry nor glad to have been in the experiment	15.3%	14.8%	15.1%
4. I am sorry to have been in the experiment	0.8%	0.7%	0.8%
5. I am very sorry to have been in the experiment	0.0%	1.0%	0.5%

Note: Ninety-two percent of the subjects returned the questionnaire. The characteristics of the nonrespondents were checked against the respondents. They differed from the respondents only with regard to age; younger people were overrepresented in the nonresponding group.

ولأن فكرة توجيه الصدمة للضحية بغيضة وسيئة للغاية، فهناك من يميل الى الاعتقاد بأن «الناس لن يفعلوا ذلك». فالإعلان عن النتائج هو

تعبير عن هذا الموقف بأنه «إذا فعلوا ذلك فلن يتمكنوا من العيش مع أنفسهم بعد ذلك». هذان الشكلان من إنكار النتائج التجريبية هما – على حد سواء – سوء قراءة غير ملائم لحقائق السلوك الاجتماعي البشري. فالعديد من الأشخاص يخضعون بالفعل حتى النهاية، وليس هناك ما يشير إلى وجود آثار ضارة.

ملاحظة: إن (92 %) من المشاركين أعادوا الاستبيان والذين اختلفوا عن الباحثين فقط في السن؛ تم تمثيل الشباب بشكل مفرط في المجموعة غير المستجيبة.

كان عدم وجود إصابة هو الحد الأدنى من شرط التجريب؛ ومع ذلك، يمكن أن يكون هناك جانب إيجابي هام للمشاركة. ويقترح الناقد أن الأشخاص لم يستفيدوا من وجودهم في دراسة الطاعة، لكن هذا الاعتقاد خاطئ فمن خلال تصريحاتهم وأفعالهم أشار الأشخاص إلى أنهم تعلموا الكثير، وشعر الكثير منهم بالامتنان للمشاركة في البحث العلمي الذي اعتبروه ذا أهمية كبيرة. وبعد عام من مشاركته، كتب أحد الأشخاص: «هذه التجربة عززت إيماني بأن على الإنسان أن يتجنب الإضرار برفاقه حتى في حالة المخاطرة لانتهاك السلطة».

وقال آخر: «بالنسبة لي، أوضحت التجربة... إلى أي مدى يجب أن يمتلك كل فرد أو يكتشف أساسًا راسخًا يبني عليه قراراته، مهما بدت تافهة، وأعتقد أنه يجب على الناس التفكير بعمقٍ بأنفسهم وعلاقتهم بعالمهم وبالآخرين فإذا كانت هذه التجربة تعمل على إبعاد الناس عن رضا الذات، فستكون قد خدمت نهايتها».

هذه التصريحات هي توضيح لمجموعة واسعة من التعليقات والآراء التقديرية والثاقبة من قبل أولئك الذين شاركوا.

تم تصميم التقرير المكون من (5) صفحات والذي أُرسلَ خصيصًا إلى كل متدرب عند الانتهاء من السلسلة التجريبية لتعزيز قيمة تجربته. وتم تحديد المفهوم العام للبرنامج التجريبي وكذلك تصميمهُ المنطقي ووصف نتائج عشرات التجارب، وناقش أسباب التوتر، وحاول الإشارة إلى الأهمية المحتملة للتجربة. فقد استجاب المتدربون بحماس مشيرينَ في الوقت ذاتهِ إلى رغبتهم في أن يشاركوا في مزيد من البحث التجريبي. وبعد الانتهاء، أُرسلَ هذا التقرير إلى جميع المتدربين منذ عدة سنوات. فلا تدعم الرواية التي تم إعدادها تأكيد الناقد أن المجرب كان غير مبالٍ بالموضوعات القيّمة المشتقة من مشاركته.

ويخشى الناقد أن ينفصل المشاركون عن التجارب النفسية بسبب الخبرة المرتبطة بالإجراءات المخبرية. إن ملاحظتي الخاصة هي أن الأشخاص يكون رد فعلهم أكثر نفورًا بعد الساعة التي قضوها في المختبر كما وصفوها ب «الفارغة» والتي يتم فيها استخدام الإجراءات التجريبية. كما أن الشعور الوحيد الممكن عند الخروج من المختبر هو أن الشخص قد أضاع الوقت في تمرين تافه وغير مفيد.

لقد مر الأشخاص في تجربة الطاعة – بشكل عام – بحالةٍ مختلفةٍ من الشعور حول مشاركتهم في التجربة، وذلك لأنهم رأوها فرصةً لتعلم شيء مهم عن أنفسهم، وبشكل أكثر عمومية، حول ظروف العمل البشري.

وبعد مُضي عام من اكتمال البرنامج التجريبي، بدأتْ دراسة متابعة إضافية. وفي هذا الصدد، أجرى الفاحص الطبي المحايد، مقابلات مع (40) شخصًا تجريبيًا. وانصبّ تركيزهُ كطبيب نفساني على هؤلاء المتدربين الذين شعروا أنه من المرجح أن يكونوا قد عانوا من عواقب المشاركة. وكان هدفه تحديد الآثار الضارة المحتملة الناتجة عن التجربة وخلص إلى أنه على الرغم من تعرض العديد من الأشخاص للإجهاد والتوتر الشديد، «لم يعثر هذا المجرب على أي علامات تدل على تعرضه للأذى من تجربته...بدا أن كل شخص يتعامل مع مهمته (في التجربة) بطريقة بما يتفق مع أنماط السلوك الراسخة ولم يتم العثور على أي دليل على أي ردود فعل مؤلمة». وهنا يجب موازنة هذه الأدلة قبل الحكم على التجربة.

في الأساس، يعتقد الناقد أنه ليس من المناسب اختبار الطاعة في هذا الموقف، لأنها تفسرها على أنها حالة لا يوجد فيها بديل معقول للطاعة. وبتبنيها هذا الرأي، فقد فقدت هذه الحقيقة: وأن نسبة كبيرة من الأشخاص لا يُظهرون الطاعة. ومن خلال هذه الأمثلة، يظهر العصيان على أنه احتمالٌ حقيقيٌ لا يستبعده الهيكل العام للوضع التجريبي بأي حال من الأحوال.

يكون الناقد غير مرتاح لمستوى الطاعة العالي الذي تم الحصول عليه في التجربة الأولى. وفي الحالة التي رُكزت عليها، أظهر (65 %) من الأشخاص طاعتهم حتى النهاية. ومع ذلك، فإن هذه الحالة لا تؤخذ في الاعتبار على أنها في الإطار العام للتجربة النفسية، فقد اختلفت الطاعة بشكل كبير من حالة إلى أُخرى.

أمـا في بعـض الاختلافات، فـإن (90 %) من الأشـخاص قد أظهروا عصيانهـم وهذا يبدو أنه ليس فقط حقيقـةً تجريبية، ولكن الهيكل الخاص للعنـاصر داخـل الموقـف التجريبـي هـو الـذي يفـسر معـدلات الطاعة والعصيان وهنا تنوعت هذه العناصر بشكل منهجي في برنامج البحث.

إن الاهتـمام بالكرامـة الإنسـانية يقـوم على احـترام قـدرة الرجل على التـصرف بشـكل أخلاقي حيث يشـعر الناقد أن المجـرب جعل المتدرب يوجـه صدمةً للضحية. وهـذا المفهوم أراهُ غريبًا عـن وجهة نظري حيثُ يقـوم المجرب بإخبار الشـخص بفعـل شيء ما. لكن بين الأمـر والنتيجة هناك قوة عظمى، فالشـخص الذي يتصرف هو الذي قد يطيع أو يعصي. ومـن هـذا المنطلق بدأت بالاعتقاد بأن كل شـخص يأتي إلى المختبر يكون مُخـيرًا في قبـول أو رفـض إمـلاءات السـلطة. ويدعـم هذا الـرأي مفهوم الكرامة الإنسـانية بقدر ما يرى في كل إنسـان القدرة على اختيار سـلوكه. وكـما اتضـح لاحقًا، اختـار العديد من الأشـخاص بالفعـل رفض أوامر المجرب، وهو ما يعطي تأكيدًا للمُثل البشرية.

تـم انتقـاد التجربة أيضًا على أسـاس أنها «يمكن أن تؤثر بسـهولة على إحـداث تغيير في المتدرب... القدرة على الوثوق بالسـلطات الراشـدة في المسـتقبل». ومـع ذلك، فـإن المجرب ليس مجرد سـلطة، إن سـلطتهُ فقط محصـورة بإخباره للمتدرب أنه يتصرف بقسـوة وغير إنسـانية ضد رجل آخر. لذا سأعتبره ذا قيمة عالية إذا كانت المشاركة في التجربة قادرة بالفعل عـلى غرس الشـك في هذا النوع من السـلطة. وهنا، ربـما، يظهر اختلاف في الفلسـفة بشـكل واضح فينظـر الناقد للمتدرب على أنه مخلوق سـلبي

يتحكم فيه المجرب كليًا. لقد ظهر ذلك من وجهة نظر مختلفة فالشخص الذي يأتي إلى المختبر هو شخص نشط واعٍ كفايةً لما يفعله وقادرٌ على قبول أو رفض العمل الموجه إليه. يرى الناقد أن تأثير التجربة يقوّض ثقة الشخص المعني بالسلطة. وأنا أرى أنها تجربةٌ ذات قيمة محتملة بقدر ما تجعل الناس على دراية بمشكلة الشكوك وعدم اليقين في تقليد الخضوع للسلطة.

بعد نقد آخر حدث في مسرحية (داني أبسي، كلاب بافلوف)، والتي عُرضت في لندن عام (1971) والتي تستخدم تجربة الطاعة كموضوع درامي رئيسي للمسرحية. وفي ذروة المسرحية، تنكّر (كورت)، الشخصية الرئيسية في المسرحية، ووُصفَ المجرب بأنه خنزيرٌ غينيٌ بسبب معاملته وتصرفاته. ففي مقدمته للمسرحية، يدين (أبسي) بشكل خاص الأوهام المستخدمة في التجربة، واصفًا الإعداد «هراء»، «احتيال»، «غش». وفي الوقت نفسه، يبدو أنه معجب بالجودة الدرامية للتجربة حيثُ أظهر رده في مقدمة كتابه، فكتب له:

«أشعر أنك شديد القسوة في لغتك عندما تدين استخدامي للوهم في التجربة. وبصفتك كاتب مسرحي، فأنت بالتأكيد تفهم أن الوهم قد يؤدي وظيفة كشفية، وبالفعل، فإن إمكانية المسرح ذاتها مبنية على الاستخدام الحميد للابتكار».

ويمكن للمرء – عند مشاهدة عرض مسرحي – أن يدعي أن الكاتب المسرحي قد خدع الجمهور، لأنه يقدم الشخصيات كأفرادٍ كبار في السن، لكن عند إزالة الدهان من على وجوههم يظهرون بهيئتهم الحقيقية

كشباب: أحيانا يتم تقديم الرجال كأطباء وهم في الواقع مجرد ممثلين لا يعرفون شيئًا عن الطب، وما إلى ذلك. ولكن هذا التأكيد على «الهراء»، «الغش»، «الاحتيال» سيكون سخيفًا لأنه لا يأخذ في الاعتبار كيف يشعر أولئك المعرضون لأوهام المسرح تجاههم. والحقيقة أن الجمهور يقبل بضرورة الوهم من أجل الترفيه والإثراء الفكري وجميع الفوائد الأُخرى للتجربة المسرحية. وقبولهم لهذه الإجراءات هو الذي يمنحك ضمانًا لاختيار التلاعب في عناصرك التي تعتمد عليها.

لذا لن أقول إنك خدعت جمهورك، لكنني سأحمل نفس الادعاء للتجربة، فقد تم استخدام المعلومات المضللة في التجربة؛ كاستخدام الوهم عند الضرورة من أجل تمهيد الطريق لكشف بعض الحقائق التي يصعب الوصول إليها؛ وهذه الإجراءات مبررة لسبب واحد فقط: إنها في النهاية مقبولة لمن تعرّض لها...

وعندما تم شرح التجربة للمشاركين، استجابوا لها بشكل إيجابي، وشعر معظمهم أنها استغرقت ساعة كاملة. ولو كان الأمر على خلاف ذلك، أي إذا أنهى الأشخاص الساعة بمشاعر مريرة، فهنا لا يمكن للتجربة أن تستمر.

إن هذا الحكم يستند أولاً، على المحادثات العديدة التي أجريتها مع الأشخاص فور مشاركتهم في التجربة. ويمكن لمثل هذه المحادثات أن تكشف عن صفقة جيدة، ولكن أكثر ما أظهرته هو مدى سهولة استيعاب التجربة في الإطار الطبيعي للأشياء. وبالإضافة الى ذلك، كان الأشخاص ودودين أكثر من كونهم عدائيين، وفضوليين أكثر من كونهم مُدينين، ولم

تكن التجربة تحط من قدرهم بأي حال. لقد كان هذا انطباعي العام، وقد تــم دعمه لاحقًا من خلال الإجراءات الرسـمية المتخـذة للتقييمات كردة فعل الأشخاص على التجربة.

إن المبرر الأخلاقي للسماح بإجراءٍ من النوع المستخدم في تجربتي هو أنــه مقبــول من قبـل أولئك الذين شــاركوا فيها. كما أن كـون البروز لهذه الحقيقة طوال الوقت هو الذي شكّل الضمانة الأخلاقية الرئيسية لمواصلة التجارب.

هذه الحقيقة مهمة لأي نوع من التقييم للتجربة من وجهة نظر أخلاقية.

تخيّل تجربة يتم فيها قطع إصبع الشخص الصغير بشكل روتيني خلال ساعة مختبرية. ليسـت فقط مثل هـذه التجربة عادةً ما تكون مُستهجنة، ولكن في غضون ساعات سيتم إيقاف الدراسة من خلال ضغط المشاركين الغاضبين عـن طريق شكاواهم عـلى إدارة الجامعة، وسـيتم اللجوء إلى الإجراءات القانونية لتقييد المجرب. وعندما يتم إسـاءة معاملة شـخص ما، فهو يعرف ذلك، وسـوف يتصرف ضد مصدر سـوء المعاملة بشكلٍ مناسبٍ تمامًا.

إن انتقـاد التجربـة الـذي لا يأخـذ في الاعتبـار رد الفعـل المتسـامح للمشـاركين هـو عبـارةٌ عن انتقادٍ خـالٍ. وينطبق هذا بشكل خاص على النقد الذي يركز على استخدام الأوهام التقنيـة (أو «الخداع»، كما يفضل النقاد أن يسـمونه) والذي يفشـل في ربط هذه التفاصيل بالحقيقة المركزية المتمثلة في أن الأشخاص عادةً ما يجدون الأداة مقبولة. ومرة أُخرى، يجب أن يكون المشارك وليس الناقد الخارجي هو المصدر النهائي للحكم.

في حين أن بعض الأشخاص يفسرون تصرف المجرب على أنه خداع وتلاعب، فمن الممكن أيضًا كما ينبغي أن تراه ككاتب مسرحي يصنع مشاهد من القوة الإيحائية ويجلب المشاركين فيها. لِذلك ربما لسنا بعيدين في نوع العمل الذي نقوم به، فأنا أعترف أن هناك فرقًا مهمًا في أن أولئك الذين تعرضوا لأوهامك المسرحية يتوقعون مواجهتها، في حين أن هؤلاء المتدربين لم يكونوا حذرين. ومع ذلك، ما إذا كان من غير الأخلاقي السعي وراء الحقائق من خلال استخدام شكلي من الجهاز الدرامي لا يمكن الإجابة عليه في الملخص وهذا يعتمد كليًا على استجابة أولئك الذين تعرضوا لمثل هذه الإجراءات.

وفي نقطةٍ أُخرى: لا يلوم المتدرب المطيع نفسه على توجيه الصدمة للضحية، لأن الفعل لا ينشأ من الذات بل من السلطة، وأسوأ ما يقوله الشخص المطيع عن نفسه هو أنه يجب عليه أن يتعلم مقاومة السلطة بشكل أكثر فاعلية في المستقبل.

قد حفزت التجربة هذا الفكر في لدى بعض المتدربين – في رأيي – حيث كانت النتيجة مُرضيةً للتحقيق. وتم تقديم حالة توضيحية من خلال تجربة شاب شارك في (برينستون) في العام (1964) لتجربة الطاعة، حيث كان مطيعًا للغاية. وفي 27 أكتوبر 1970 كتب لي:

«إن المشاركة في تجربة الصدمة... كان لها تأثير كبير على حياتي....

«عندما كنت متدربًا في عام (1964)، على الرغم من اعتقادي بأنني كنت أؤذي شخصًا ما، إلا أنني لم أكن أدرك تمامًا سبب قيامي بذلك. فقلة من الناس يدركون متى يتصرفون وفقًا لمعتقداتهم الخاصة ومتى يخضعون للسلطة... أن أسمح لنفسي بالتجند على أساس أنني خاضع لمطلب

السلطة لفعل شيء خاطئ للغاية سيجعلني أخاف من نفسي...فأنا على أتم الاستعداد للذهاب إلى السجن إذا لم يتم منحني وضع المعترض، هذا هو المسار الوحيد الذي يمكنني اتباعه لأكون مخلصًا لما أؤمن به، وأملي الوحيد أن يتصرف أعضاء مجلس الإدارة بالتساوي وفقًا لضميرهم.

كما وأود الاستفسار عما إذا كان رد فعل أي مشارك آخر مشابه، وما إذا كانت المشاركة في الدراسة حسب وجهة نظري يمكن أن يكون لها هذا التأثير. أجبته:

«تتعامل التجربة – بالطبع – مع المعضلة التي يواجهها الأفراد عندما يواجهون مطالب متضاربة للسلطة والضمير، ويسعدني أن مشاركتك في الدراسة قد أوصلتك إلى دراسةٍ شخصيةٍ أعمق لهذه القضايا. لقد أبلغني العديد من المشاركين أن حساسيتهم الخاصة لمشكلة الخضوع للسلطة قد ازدادت نتيجة لتجربتهم في الدراسة. فإذا زادت التجربة من وعيك بمشكلة الخضوع العشوائي للسلطة، فستكون قد أدت الوظيفة المنوطة بها. وإذا كنت تؤمن بشدة أنه من الخطأ قتل الآخرين خدمةً لبلدك، فعليك بالتأكيد أن تصر بقوة من أجل تحقيق ذلك، وآمل بشدة أن يتم الاعتراف بإخلاصك في هذا الأمر».

وبعد بضعة أشهر كتب مرة أُخرى مشيرًا بشكلٍ أولي، إلى أن لوحة المسودة لم تتأثر كثيرًا بتأثير مشاركته في التجربة لكنه مع ذلك مُنح حالة مشاركة. وهو يكتب:

«إن تجربة المقابلة الشخصية لا تقلل من إيماني القوي بالتأثير الكبير للتجربة على حياتي...»..

لقد اكتشفت أحد أهم أسباب كل المشاكل في هذا العالم... أنا ممتن لأنني تمكنت من تزويدك بجزء من المعلومات اللازمة لهذا الاكتشاف كما ويسعدني أن أرفض الخدمة في القوات المسلحة، بطريقة يجب على الناس التصرف بها إذا كان لهذه المشاكل أن تحل».

مع خالص الشكر على مساهمتك في حياتي...

«في هذا العالم غالبًا ما يكون الغموض يكتنف الأفعال، فمع ذلك أشعر بأنني مضطر لإيلاء اهتمام أكبر للرجل الذي شارك بالفعل في الدراسة، أكثر من الانتباه إلى ناقد بعيد لأن الأخلاق قضية أما الجسد فليس هو القضية، ولكن فقط كان هذا رد من شاركوا في التجربة، وهذا الرد لا يؤيد الإجراءات المتبعة فحسب بل يدعو بأغلبية ساحقة إلى تحقيق أعمق لإلقاء الضوء على قضايا الطاعة والعصيان.

وعلى مر السنين، ظهرت العديد من البيانات الداعمة للتجربة بالشكل الطباعي.

وقد كتب عالم النفس السريري الدكتور ميلتون إريكسون:

يتم الهجوم على عمل [ميلجرام] الرائد في هذا المجال باعتباره غير أخلاقي، أو غير مبرر، أو غير مفيد، وذلك لأن الناس يحبون أن يغضوا الطرف عن السلوك غير المرغوب فيه، ويفضلون التحقيق في الذاكرة، ونسيان المقاطع غير المنطقية ......

يقدم ميلجرام مساهمة بالغة الأهمية وذات مغزى لمعرفتنا بالسلوك البشري... فعندما ظهرت الدراسة الأولية لميلجرام، كان يدرك جيدًا أنه

تــم فتح مجال للتحقيق العلمي والذي قد يسـبب اللـوم والإدانة... جراء الانخراط في دراســات مثل دراسة ميلجرام والتي بدورها تتطلب رجالاً أقوياء لديهم إيمان علمي قوي ومستعدينَ لاكتشـاف أن الإنسـان نفسه، وليس «الشيطان»، تقع المسؤولية والسيطرة على أفعاله اللاإنسانية (المجلة الدولية للطب النفسي، أكتوبر 1968، ص 278-79).

كـما وكتـب الدكتـور أميتـاي إتزيوني، أسـتاذ علـم الاجتـماع بجامعة كولومبيا:

... تبـدو تجربـة ميلجـرام بالنسـبة لي واحدةً مـن أفضل التجـارب التي أجريـت في هـذا الجيل. وهي تُظهـر أن التعارض الذي يُشـار إليه غالبًا بين الدراسة الإنسانية الهادفة والمثيرة للاهتمام والبحث الكمي الدقيق التجريبي هـو تعارض خاطئ: حيثُ يمكن الجمع بين المنظورين لصالحهما... (المجلة الدولية للطب النفسي، أكتوبر 1968، ص. 278-79.)

وكتـب البروفيسـور هربرت كيلمان مقالاً مدروسًـا حول المشـكلات الأخلاقية للبحث التجريبي بعنوان: «اسـتخدام الإنسان في الموضوعات البشرية: مشكلة الخداع في التجارب النفسية الاجتماعية». وكتب الدكتور توماس كروفورد، عالم النفس الاجتماعي في بيركلي:

يتخـذ كيلمان الموقف القائل بأن التلاعـب التجريبي شرعي بشرط أن يعمل على زيادة حرية الفرد في الاختيار... وأسـلّم أن بحث ميلجرام... يهـدف إلى تحقيق الهدف الرائـع الذي يضعه كيلمان أمامنـا. بالكاد يمكننا قـراءة الدراسـة دون أن نكون حساسـين للصراعـات المماثلـة في حياتنا. («دفاعًـا عن أبحـاث الطاعة: امتـداد لأخلاق كيلمان». حـررهُ آرثر جي

ميلـر في مجلة علم النفس الاجتماعي للبحوث النفسـية، نيويورك: المطبعة الحرة، 1972.)

وكتب أيضًا الدكتور آلان إلمز من جامعة كاليفورنيا، ديفيس:

إن ميلجرام، وخلال استكشـافه للظـروف التي تنتج مثل هذه الطاعة المدمـرة والعمليات النفسـية التي تؤدي إلى مثل هـذه المحاولات للتنازل عن المسـؤولية، يبـدو لي أنه قام ببعض الأبحاث الأكثـر أهمية من الناحية الأخلاقية في علم النفس الحديث. (من: علم النفس الاجتماعي والملاءمة الاجتماعية) (Little Brown and Company, 1972).



الملحق الثاني

الأنماط بين الأفراد

لتوسيع فهمنا لسبب إطاعة بعض الأشخاص وتحدي الآخرين للمُجرب، تم إجراء عدد من الاختبارات الفردية على الأشخاص من أجل معرفة ما إذا كان الأشخاص المطيعين والعصاة يختلفون في مفهومهم عن المسؤولية، فقد تعرض الأشخاص في الظروف التجريبية الأربعة الأولى لـ «ساعة المسؤولية». حيث يتكون هذا من قرص يمكن للمتدرب أن يقسمه إلى ثلاثة أجزاء بواسطة قضبان متحركة تدور من المركز. وبعد إجراء التجربة طُلب من المتدرب «قطع شرائح الفطيرة» بما يتناسب مع مسؤولية المشاركين الثلاثة في التجربة (المجرب، والمتدرب، والضحية). وعندها طرحنا السؤال التالي: «ما هي مسؤولية كل منا عن حقيقة أن هذا الشخص قد تعرض لصدمات كهربائية ضد إرادته؟ «قام المجرب بقراءة النتائج مباشرة على ظهر القرص، والذي تخرج بمقدار (360) درجة.

بشـكل عام، لم يواجه الأشـخاص صعوبة كبيرة في أداء المهمة حيث تُظهـر نتائج (118) شـخصًا تم إجراء الاختبار لهـم كما مُبيّن في الجدول (9).

إن الاسـتنتاج الرئيسي هو أن الأشـخاص المتحدين يرون أنفسهم مسؤولين بشكل أساسي عن معاناة المتعلم، حيث يخصصون (48 %) مـن المسـؤولية الإجمالية لأنفسـهم و(39 %) للمجـرب. إن النصائح لتوازن للأشـخاص المطيعـين غالبًا ما تكون قليلة، والسـبب في ذلك يعود لأنهم لا يرون أنفسـهم أكثر مسـؤولية من المجرب، وفي الواقع، هـم مسـتعدون لقبول أقل قدرًا من المسـؤولية. ويحـدث فرق أكبر في إسـناد المسـؤولية إلى المتعلـم فالأشـخاص المطيعـون يعطونـه حوالي ضعـف نصيب المسـؤولية عـن معاناته مثـل الأشـخاص الذين قاموا بالعصيان. وعند سـؤالهم عن هذا الأمر، أشـاروا إلى حقيقة أنه تطوع للتجربة ولم يتعلم بكفاءة عالية.

Table 9. Assignment of Responsibility by Defiant and Obedient Subjects

	n	Experimenter	Teacher	Learner
Defiant Subjects	61	38.8%	48.4%	12.8%
Obedient Subjects	57	38.4	36.3	25.3

وهكذا، فإن الأشخاص العصاة في أغلب الأحيان أكثر من الأشخاص المطيعين، فهم ينسبون المسؤولية الأساسية إلى أنفسهم وينسبون قدرًا أقلاً منهـا إلى المتعلـم. بالطبـع، فقد تـم الحصول على هـذه المقاييـس بعد أداء المتـدرب، ولا نعرف ما إذا كانت تشـكل ميولاً دائمةً للمتدربين المطيعين والعصاة، أو ما إذا كانت تعديلات فكرية بأثر رجعي.

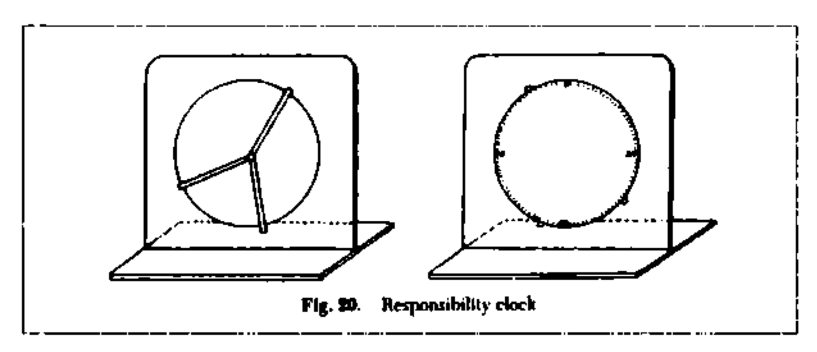


Fig. 20. Responsibility clock

أجرى الدكتور آلان ايلماس عددًا من الاختبارات النفسية لحوالي (20) شخصًا مطيعًا و(20) آخرين عاصين أدوا أدوارهم في سلسلة القرب. وكانت النتيجة الرئيسية التي توصل إليها هي أن هناك علاقة بين الطاعة في التجربة والنتيجة على مقياس F. وهذا المقياس قام بتطويره العالم أدورنو ورفاقه لقياس الميول الفاشية (1950)، ووجد إلمز أن أولئك الذين أطاعوا أظهروا درجة أكبر من الاستبداد (درجة F أعلى) من أولئك الذين رفضوا الانصياع. وقال بطريقةٍ تلقائيةٍ، يبدو هذا حشوًا إلى حدٍ ما، لكن إلمز يشرح:

... تبدو العلاقة بين الطاعة وبعض عناصر الاستبداد قوية إلى حد ما وهنا يجب أن نتذكر أن مقياس الطاعة هو مقياس للخضوع الفعلي للسلطة وليس فقط ما يقول الشخص أنه من المحتمل أن يفعله. فقد تم إجراء الكثير من الأبحاث حول الاستبداد... على مستوى الردود الورقية وقلم الرصاص، والتي ليس من الضروري أن تُترجم إلى سلوك. لكن هنا لدينا أناس إما يطيعون أو يرفضون مطالب السلطة، في موقف واقعي ومقلق للغاية...لِذلك، يبدو أن هؤلاء الباحثين في أواخر الأربعينيات لديهم شيء ما، شيء يمكن ترجمته من ميول مجردة إلى سلوك سلطوي

فعلي: الخضوع للرجل المسؤول، ومعاقبة المرؤوس الأضعف. (ايلماس: الصفحة 133علم النفس الاجتماعي والأهمية الاجتماعية، 1972).

إن العلاقة بين المقياس على مقياس (F) والأداء في التجربة، على الرغم من أنها ليست قوية جدًا، وهذا باعتقادي يُعزى جزئيًا إلى النقص في أجهزة القياس بالورق والقلم. ومن الصعب ربط الأداء بالشخصية لأننا في الحقيقة لا نعرف الكثير عن كيفية قياس الشخصية.

لا يزال هناك جهد آخر لإيجاد علاقات مترابطة مع الطاعة قام به الدكتور لورانس كولبيرج، زميل لي في جامعة (ييول). حيثُ طوّر كولبرج مقياسًا للتطور الأخلاقي، يقوم على النظرية القائلة بأن الأفراد يمرون بعدد من مراحل الحكم الأخلاقي أثناء نضجهم. وباستخدام مجموعة من (34) طالبًا من جامعة (ييول) خدموا في دراسات تجريبية، وجد أن أولئك الذين انفصلوا كانوا على مستوى أعلى من التطور الأخلاقي من أولئك الذين ظلوا مطيعين. ومرةً أُخرى، إن النتائج موحية حتى وإن لم تكن قوية جدًا (كولبيرج، 1965).

وبعد المشاركة في التجربة كنت قد جمعت أيضًا معلومات أساسية ومباشرة عن المتدربين. وقد أشارت النتائج - برغم ضعفها العام - إلى الاتجاهات التالية: فلم يكن الجمهوريون والديمقراطيون مختلفين بشكل كبير في مستويات الطاعة؛ وكان الكاثوليك أكثر طاعة من اليهود أو البروتستانت. وأيضًا كان الأفضل تعليمًا أكثر تحديًا من ذلك الأقل. وأظهر أولئك الذين يعملون في المهن الأخلاقية للقانون والطب والتدريس قدرًا أكبر من التحدي من أولئك الذين يعملون في المهن الأكثر تقنية، مثل

الهندسة والعلوم الفيزيائية. وكلما طالت مدة الخدمة العسكرية، زادت الطاعة - باستثناء أن الضباط السابقين كانوا أقل طاعة من أولئك الذين خدموا فقط كجنود، بغض النظر عن مدة الخدمة. إن هذه النتائج تم الوصول اليها عندما دُرِس المتدربون في الظروف التجريبية الأربعة الأولى (سلسل – القرب). كما أن العديد من هذه النتائج «تلاشت» عندما تمت إضافة شروط تجريبية أُخرى لأسباب كانت غامضة إلى حد ما بالنسبة لي. (صحيح أن معنيي الطاعة والعصيان يتغيران من حالة إلى أُخرى.) وقد كان رد فعلي العام هو التساؤل عن مدى قلة الارتباطات بين الطاعة والعصيان ومدى ضعف ارتباطها بالطاعة والعصيان، إنهُ السلوك المرصود. وإنني على يقين من وجود أساس شخصي معقد للطاعة، لكنني أعلم أننا لم نعثر عليه بعد.

على أي حال، سيكون من الخطأ الاعتقاد بأن أي صفة مزاجية واحدة مرتبطة بالعصيان، أو الإدلاء بعبارة بسيطة التفكير التي يعصيها الأشخاص الطيبون والصالحون بينما لا يفعل ذلك الشخص القاسي. هناك ببساطة العديد من النقاط في العمليات المطروحة والتي يمكن أن تلعب فيها المكونات المختلفة للشخصية أدوارًا معقدة للسماح بأي تعميمات مفرطة في التبسيط. علاوة على ذلك، فإن التصرف الذي يجلبه الشخص للتجربة ربما يكون سببًا لسلوكه وأقل أهمية مما يفترضه معظم القراء وهذا سببهُ أن علم النفس الاجتماعي لهذا القرن يكشف عن درس رئيسي: ففي كثير من الأحيان، ليس نوع الشخص الذي يكون عليه الرجل بقدر ما هو نوع الموقف الذي يجد نفسه فيه هو الذي يحدد كيف سيتصرف.

الملاحظات

1- التشـغيل الأولي والمنتظـم: كشـف لنا أن إجراء قـراءة الكلمات وإدارة الصـدمات يتطلب بعض الممارسة قبل التعامل معها بسلاسة. لِذلـك، قبل السـباق العادي مبـاشرة، تم إعطاء المعلـم (المتدرب) سلسـلةً أوليةً من عـشر كلمات ليقرأها المتعلـم (الضحية). وكانت هنـاك ثلاث كلـمات محايدة في سلسـلة التماريـن (أي الكلمات التي أجاب المتعلم عليها بشـكل صحيـح)، بحيث تم توجيه الصدمات لسـبع كلمات، مع أقصى صدمة عند مسـتوى (105) فولـت (صدمة متوسـطة). عندهـا أتقن جميع الأشـخاص الإجـراء تقريبًا بحلول الوقت الذي انتهى فيه التشغيل الأولي.

يتـم بعد ذلك تقديـم المتدربين مع قائمة ثانيـة، وإخبارهم أن الإجراء هو نفسه بالنسبة للقائمة الأولى؛ ويضيف المجرب:

عندما تصل إلى أسفل القائمة، كررها مرة أُخرى واستمر في توجيه الصدمات حتى يتعلم المتعلم كل الأزواج بشكل صحيح.

يقوم المجرب بتوجيه المتدرب إلى:

ابدأ من مستوى (15) فولت وقم بزيادة مستوى الصدمة خطوة واحدة في كل مرة يُخطئ فيها المتعلم إجابتهُ.

2- لم يرفض أي شخص بلغ مستوى الصدمة الثلاثين الاستمرار في استخدامه.

3- ديفيد مارك مانتل، «احتمال العنف في ألمانيا، «مجلة القضايا الاجتماعية، المجلد. 27، رقم 4 (4 نوفمبر 1971)، ص. 101-12.

4- خلال العقد الماضي، خضعت آثار القرب المادي على السلوك للفحص الدقيق. انظر، على سبيل المثال، Edward T. Hall، The Hidden Dimension (New York: Doubleday، 1966).

5- لقد علمت مؤخرًا أن المجربين الآخرين (شيريدان وكينغ، 1972) قد كرروا تجارب الطاعة ولكن مع هذا الاختلاف: بدلاً من الضحية البشرية، استخدموا ضحية حقيقية (جروًا) والذي بالفعل تلقى صدمةً كهربائيةً ومن ثم صرخ، ونبح وركض هاربًا. تم استخدام الرجال والنساء كمتدربين، ووجد المؤلفون أن النساء كن أكثر امتثالاً من الرجال. فقد كتبوا بشكلٍ واقعي: «بدون استثناء، امتثلت الإناث للتعليمات لصدمة الجرو حتى النهاية». انظر أيضًا كيلهام ومان، 1972).

6- يتم إثبات ذلك من خلال فحص البيانات المتعلقة بالعصبية المبلغ عنها. وفي ختام أدائه، أشار كل متدرب بمقياسٍ إلى مدى توتره عند نقطة أقصى توتر. وهذه البيانات تتوفر لـ (21) حالة تجريبية بما في ذلك الحالة الحالية، وتبلغ النساء المطيعات عن توتر أعلى من أي مجموعة من المجموعات العشرين للذكور المطيعين. فقد يكون هذا سببهُ أن النساء كن أكثر توترًا من الرجال، أو ببساطة لأنهن شعرن بحرية أكبر في الإبلاغ عن ذلك. على أي حال، بالنسبة لأولئك النساء اللواتي كن مطيعات، فإن التوتر المُبلغ عنه تجاوز التوتر في أي من الحالات العشرين الأُخرى. ومع ذلك، هذا لا ينطبق على النساء المتحديات (العصاة).

7. انظر دراسة هوفلنج وآخرون على فشل الممرضات في استجواب أوامر الأطباء بشأن الجرعات الزائدة من المخدرات. (دراسة تجريبية عن علاقات المرضين-الأطباء)، The Journal of Nervous and Mental Disease، (1966) Vol. 143، No. 2، ص 80 - 171.

8. التأكيد على أن محتوى الأمر قد يكون مسؤولاً إلى حد كبير عن الآثار وأنها لم تكن غير مبررَه. وتُظهر العديد من الدراسات في علم النفس الاجتماعي الآثار التي قد يمارسها الأقران الذين يفتقرون إلى أي سلطة معينة على الفرد (Asch، 1951؛ Milgram، 1964).

9. الامتثال - كما لاحظهُ (دي توكفيل) بفطنة، هو الآلية التنظيمية المنطقية للعلاقات الديمقراطية بين الرجال وأنهُ «ديمقراطية» بمعنى أن الضغط الذي تمارسه على الهدف ليس لجعله أفضل أو أسوأ من أولئك الذين يمارسون الضغط ولكن فقط لجعله هو نفسه.

تنشأ الطاعة من عدم المساواة في العلاقات الإنسانية، وبالتالي، في تعبيرها النهائي وهي الآلية التنظيمية المثالية للفاشية. ومن المنطقي أن فلسفة الحكومة التي يكون فيها اللامساواة بين البشر هي محكها سترفع أيضًا من قيمة الطاعة باعتبارها فضيلة مطلقة. يبدأ السلوك المطيع في سياق هيكل اجتماعي هرمي ويؤدي إلى تمايز السلوك بين الرئيس والمرؤوس فليس من قبيل المصادفة أن السمة المميزة للرايخ الثالث والتي كان تركيزها على كل من مفهوم المجموعات المتفوقة والمتدنية وعلى الطاعة السريعة والمثيرة للإعجاب والفخر مع الاستعداد لتنفيذ الأوامر.

10. لقد بالغت في التبسيط في حين أنه من الصحيح أن الطبيعة غنية بالمنظمات الهرمية، فليس الأمر كذلك أن الرجال بحاجة إلى العمل داخلها في جميع الأوقات. وأيضًا لا يمكن لخلية دماغية معزولة أن تعيش بمعزل عن نظامها العضوي الأكبر، لكن الاكتفاء الذاتي النسبي للفرد يحرره من الاعتماد الكلي على النظم الاجتماعية الأكبر، فلديه القدرة على الاندماج في مثل هذه الأنظمة، من خلال اما تولي الأدوار أو فصل نفسه عنها. ان هذه القدرة على الأداء المزدوج تمنح الأنواع أقصى مزايا التكيف. وإنها تؤكد ان الأمن والكفاءة المستمدة من التنظيم جنبًا إلى جنب مع الإمكانات المبتكرة والاستجابة المرنة للفرد من وجهة نظر بقاء الانواع فهو أفضل ما في العالمين.

11. لطالما أدرك طلاب تنمية الطفل أن «العلاقة الاجتماعية الأولى هي علاقة الاعتراف بمقترحات السلطة والامتثال لها» (الإنجليزية،

1961، الصفحة 24). وتمنح الشروط الأولية للتبعية الكلية الطفل القليل من الخيارات في هذا الشأن. وتقدم السلطة نفسها بشكل عام للطفل بشكل جيد ومفيد. ومع ذلك، فقد لوحظ بشكل عام أنه في سن الثانية أو الثالثة، يدخل الرضيع فترةً من السلبية غير المقيدة حيث يتحدى السلطة في كل منعطف تقريبًا، رافضًا حتى أكثر مطالبها الجيدة. وبهذا الصدد يذكر (ستوكدل، 1936) أنه من بين جميع المشكلات السلوكية للتكيف الاجتماعي، يعتبر الآباء العصيان هو الأكثر خطورة. وانه في كثير من الأحيان، هناك صراع حاد بين الطفل والوالد في هذه المرحلة من النضج، والتي يحفزها إصرار الوالدين والتي بدورها تجعل الطفل أكثر امتثالاً. إن عصيان الطفل اللامتناهي مهما كان يشكل رفضًا للسلطة وتأكيدًا على الذات، فهو مختلفٌ كليًا عن عصيان الكبار لأنه يحدث دون أي تصور للمسؤولية الفردية من جانب الطفل. على عكس أشكال العصيان، فيكون ذات قيمة عند الكبار لأنه يأخذ شكلاً عشوائيًا من أشكال التحدي والتي لا يستند إلى اهتمامات أخلاقية.

12. ان المشكلة الفنية لكيفية توصيل السلطة لشرعيتها تستحق التفكير الجاد. يمكنك ان تضع في اعتبارك أنه عندما يتلقى شاب خطابًا، فما الدليل على أن العملية برمتها ليست مجرد مزحة طويلة؟ وإذا أردنا المضي قدمًا في ذلك، فما الدليل على أنه عندما يظهر الصبي في معسكر معين من قبل مجلس الإدارة، فإن الرجال في لهم حق في تولي مسؤولية حياته؟ ربما تكون كلها خدعة ضخمة ارتكبتها مجموعة من الفاعلين العاطلين عن العمل. وبما ان السلطة الحقيقية تستطيع

ان تدرك السهولة التي يمكن بها اختلاق مظهر السلطة، فيجب أن تكون أكثرُ يقْظةٍ من السلطة المزيفة والعقوبات على الادعاء الكاذب بالسلطة شديدة.

13. تخيل مجربًا ينتقل من منزل إلى آخر في منطقة سكنية خاصة، وبعد الحصول على إذن، يجري تجاربه في غرف المعيشة في تلك المنازل وعندها ستكون هالة سلطته أضعف بدون الوضع المختبري الذي عادة ما يدعم منصبه.

14. وفيما يخص مفهوم «نطاق اللامبالاة»، يرى هربرت أ. سيمون، السلوك الإداري بأنه دراسة لعمليات صنع القرار في المنظمات الإدارية. نيويورك: The Free Press، 1965.

15. The Caine Mutiny (تمرّد كين) بقلم هيرمان ووك (1952) يوضح هذه الحالة بشكلٍ جيد. فلا بأس أن تكون السلطة غبية وهنا يعمل العديد من الأشخاص ذوي السلطة بشكل جيد للغاية حتى لو كانوا غير أكفاء. وتظهر المشكلة فقط عندما تجبر سلطة ما، المرؤوسين الأكثر كفاءة على اتباع مسار عمل خاطئ حيثُ يمكن للسلطات الغبية أن تكون فعالة جدًا في بعض الأحيان، بل وحتى محبوبةً من مرؤوسيها لطالما أنهم يعهدون بالمسؤولية إلى مرؤوسيهم الموهوبين. وهنا يُشير (تمرّد كين) The Caine Mutiny الى نقطتين إضافيتين.

أولاً: ما مدى صعوبة تحدي السلطة حتى عندما تكون السلطة غير كفؤة. فبعد الضغط والاضطراب الداخليين، استولى ويليو وكيث على كين، على الرغم من أنه كان في طريقه إلى الغرق بسبب عدم كفاءة كويج.

ثانيًـا: على الرغـم مما بدا أنه مطلب مطلق تقريبًـا لحدوث التمرد، كان الارتبـاط بمبادئ السـلطة عميقًا جدًا، لدرجـة أن المؤلف، من خلال صـوت غرينوالد، في تحول درامي للأحداث وقد أثار التسـاؤل حول الأساس الأخلاقي لحالة التمرد.

16. أشـار فرويد في «علم نفـس المجموعة وتحليل الأنـا (1921)، إلى أن الشـخص يكبح وظائف الأنا العليا الخاصة به مما يتيح للقائد الحق الكامل في تقرير ما هو جيد أو سيء.

17. يلاحظ كويسـتلر في تحليلـه الرائع للتسلسـل الهرمي الاجتماعي: «لقد شـددت مرارًا وتكرارًا على أن الدوافع الأنانية للإنسـان تشـكل خطرًا تاريخيًا أقل بكثير من ميوله التكاملية. وبعبارة أبسط، فإن الفرد الـذي ينغمس فيـما يزيد عـن إن التوكيد الذاتي العـدواني يترتب عليه عقوبـات المجتمع – فهو يخرج عن القانون، ويتعاقد خارج التسلسـل الهرمـي. ومـن ناحية أُخـرى، يصبح المؤمـن الصادق أكثـر ارتباطًا به حيـث يدخل الى كنيسـته، أو حزبـه، أو أي شيء آخر قـد يؤدي الى ان يتنازل له عن هويته». آرثر كويسـتلر، (The Ghost in the Machine) (الشـبح في الآلة) (نيويورك: شركة ماكميلان، 1967)، الجزء الثالث، «الاضطراب»، ص 246.

18. تفسير متوافق مع نظرية التنافر المعرفي. انظر إل فيستينجر، 1957.

19. انظـر إرفينـج جوفـمان، «الحـرج والتنظيـم الاجتماعـي» المجلـة الأمريكيـة لعلـم الاجتـماع، المجلـد. 62 (نوفمـبر 1956)، ص 264 – 71. أنظـر أيضًـا (أنـدري موديكليـاني) «Embarrassment and

No. 3 (September ،Vol. 31 ،» Sociometry،Embarrassability and Eye ،Facework ،and «Embarrassment ؛pp.313–26 ،1968) الشخصية Journal of،Contact: Testing a Theory of Embarment وعلم النفس الاجتماعي، المجلد. 17، ع 1 (1971)، ص 15-24.

20. إذا كان الإحراج والعار من القوى المهمة التي تجعل الشخص يخضع لدوره المطيع، يجب أن نجد انخفاضًا حادًا في الطاعة عندما يتم التخلص من الشروط المسبقة لتجربة هذه المشاعر. هذا هو بالضبط ما حدث في التجربة 7، عندما غادر المجرب المختبر وأعطى أوامره عبر الهاتف. كان الكثير من الطاعة التي أظهرها رعايانا المتدربين متجذرة في طبيعة المناسبة الاجتماعية وجهًا لوجه. تتطلب بعض أنواع الطاعة – على سبيل المثال، تلك الخاصة بالجندي الذي يتم إرساله في مهمة فردية خلف خطوط العدو– تعرضًا مطولاً للسلطة المعنية وتطابقًا بين قيم المرؤوس وسلطته.

أشارت كل من دراستي كارفينكل والتجربة الحالية إلى أن البنية الافتراضية للحياة الاجتماعية يجب أن تتعطل في حالة حدوث العصيان. ويحدث نفس الإحراج وصعوبة العصيان كما حدث في مظاهرات (كارفينكل، 1964)، حيث يُطلب من الناس انتهاك افتراضات الحياة اليومية.

21. إن الفشل في فهم التحول إلى حالة من الفاعلية والفهم غير الكافي للقوى التي تربط الشخص بها هو الذي يفسر العجز شبه الكامل عن التنبؤ بالسلوك المعني. فأولئك الذين يحكمون على الموقف فيعتقدون

أنه الشخص العادي، بكامل طاقاته الأخلاقية، عندما يتنبؤون بابتعاده عن التجربة. إنهم لا يأخذون في الحسبان على أقل تقدير إعادة التنظيم الأساسية للحياة العقلية للشخص التي تحدث من خلال الدخول في نظام السلطة.

أسرع طريقة لتصحيح التنبؤ الخاطئ للأشخاص الذين لا يعرفون نتيجة التجربة هي أن نقول لهم، «محتوى الحدث ليس نصف الأهمية كما تعتقد؛ العلاقة بين الممثلين هي ضعف الأهمية. فلا تبني توقعاتك على ما يقوله المشاركون أو يفعلونه، ولكن على كيفية ارتباطهم ببعضهم البعض من حيث البنية الاجتماعية».

هناك سبب آخر لعدم توقع الناس للسلوك بشكل صحيح وهنا يروّج المجتمع للأيديولوجية القائلة بأن تصرفات الفرد تنبع من شخصيته. وهذه الأيديولوجية لها تأثير عملي في تحفيز الناس على التصرف كما لو أنهم وحدهم يتحكمون في سلوكهم. ومع ذلك، فهي وجهة نظر مشوهة بشكل خطير لمحددات الفعل البشري ولا تسمح بالتنبؤ الدقيق.

22. يصف كونراد لورنز الاضطراب في آليات التثبيط الناجم عن تداخل الأدوات والأسلحة: «ينطبق المبدأ نفسه بدرجة أكبر على استخدام الأسلحة الحديثة للتحكم عن بعد. ويتم اختبار الرجل الذي يضغط على زر الإطلاق عند رؤيتِهِ لعواقب أفعاله أو سماعها أو إدراكها عاطفيًا بطريقة أُخرى بحيث يمكنه ارتكابها مع الإفلات من العقاب - حتى لو كان مثقلاً بقوة الخيال». كونراد لورينز، عن

العـدوان (نيويورك: هاركـورت بريس جوفانوفيتـش، 1966)، ص. 234.

23. أنظـر ن. ج. ليرنـر في «تقييـم المراقب للضحيـة: العدالة والذنب والإدراك الحقيقي» مجلة الشـخصية وعلـم النفس الاجتماعي، المجلد 20، العدد 2 (197آ)، الصفحات 127-35.

24. في برينسـتون: دي. روزينهـام، الطاعة والتمـرد: ملاحظات على نمـوذج ميلجرام ثلاثي الأطـراف. قيد التحضـير. في ميونيخ: دي أم مانتيـل، The Potential for Violence in Germany. «Journal of Social Issues، Vol.27، No. 4 (1971)، pp. 101-12.

في روما: ليوناردو أنكونا وروزيتا باريسون، «Contributo allo studie dellagressione: La Dinamica della obbedienza distruttiva»، Archiva di psicologia neurologia e psichiatria، Anna XXIX (1968)، fasc. رابعا.

في أستراليا: W. Kilham وL. Mann، «مسـتوى الطاعـة المدمـرة كوظيفـة لأدوار الناقل والمنفذ في نموذج طاعـة لدى ميلجرام». تحت الطبع (1973) مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي.

25. أنظـر إم آي أورني وسي سي هولانـد، عـلى سـبيل المثـال، وردّي عليهم في: أ. نيويورك: The Free Press، 1972.

26. لكن يجب ألا نكون سـاذجين بشـأن هذه النقطـة فلقد رأينا جميعًا

كيف أن الحكومة ومن خلال سيطرتها على جهاز الدعاية تصور دائمًا أهدافها بعبارات مواتية أخلاقيًا. كيف – في بلدنا – تم تبرير تدمير الرجال والنساء والأطفال في فيتنام بالرجوع إلى إنقاذ العالم الحر، إلخ. ونرى أيضًا مدى سهولة قبول التصريحات كأهداف إضفاء الشرعية. حيث تحاول الديكتاتوريات إقناع الجماهير من خلال تبرير برامجها من حيث القيم الراسخة. حتى هتلر لم يقل إنه سيقضي على اليهود بسبب الكراهية ولكن بسبب رغبته في تطهير العرق الآري وخلق حضارة أعلى خالية من الحشرات الهشة.

27. يشير بيرشتات بشكل صحيح إلى أن ظاهرة السلطة أكثر جوهرية حتى من سلطة الحكومة: «... تكمن مشكلة السلطة في قاع نظرية مناسبة للبنية الاجتماعية... حتى الحكومة ليست مجرد ظاهرة سياسية ولكنها في الأساس الظاهرة الاجتماعية والتي تنبثق منها الحكومة نفسها فهي تمتلك نظامًا وهيكل. إذا كانت الفوضى تتعارض مع الحكومة، فإن التشريح هو عكس المجتمع. وبعبارةٍ أُخرى، ليست السلطة بأي حال من الأحوال ظاهرة سياسية بحتة بالمعنى الضيق للكلمة وليس فقط في التنظيم السياسي للمجتمع، ولكن في كل تنظيمه تظهر تلك السلطة. لهذا السبب فان كل اتحاد ضمن المجتمع، مهما كانت صغيرة أو مؤقتة، لها هيكلها الخاص بالسلطة». (بيرشتات: الصفحة 68–69).

28. ان نداء «أوامر الرؤساء» صدر عن الملازم ويليام كالي، الذي قاد الفصيل لتنفيذ العملية.

طعـن المدعـي العسـكري في اتهام كالي عـدم تنفيذه لأوامر الرؤسـاء. وبشـكلٍ ارشـادي لم يعـترض المدعي العـام على مبدأ وجـوب إطاعة الجنْـدي للأوامر لكنه اتهم بـأن كالي تصرف بدون أوامر، وبالتالي كان مسـؤولاً عن هذه المجزرة ومن ثم حوكمَ كالي بأنهُ مذنبًا.

تمـت دراسـة رد فعـل الجمهـور الأمريكي عـلى محاكمـة كالي من قبل كيلـمان ولورنـس (1972)، ولم تكن نتائجهم مطمئنة وهنا أشـار (51 %) مـن العينـة إلى أنهم سـيتبعون الأوامر إذا أمروا بإطـلاق النار على جميع سكان القرية الفيتنامية. ومنها يستنتج كيلمان:

«مـن الواضـح أنه لا يجـد الجميع مطالب السـلطات الشرعية على حد سواء فليس كل رعايا (متدربين) ميلجرام قد صدموا ضحاياهم بأعلى جهـد. ولم يتبع كل جندي تحت قيادة كالي أوامره بقتل المدنيين العزّل. وان أولئـك الذيـن يقاومون في مثل هذه الظـروف قد فعلوا ذلك. اما نحنُ فقد تمكنا من الاحتفاظ بإطار السببية الشخصية والمسؤولية التي نستخدمها عادة في الحياة اليومية.

«ومـع ذلك، تشـير بياناتنـا إلى أن العديد من الأمريكيين يشـعرون أنه ليـس لديهم الحق في مقاومة المطالب الرسـمية فهم يعتبرون تصرفات كالي في (مـاي لاي) طبيعيـة، وحتـى مرغوبـة انْ صـح التعبير وذلك لاعتقادهم أنه قام بها في إطار طاعة للسلطة الشرعية».

ونحنُ بدورنا نحتاج أن نسـأل لماذا يرى مسـتجيبو (كيلمان) أنفسـهم على أنهم يمتثلون للسـلطة العسكرية في (ماي لاي) في حين أن القليل - إن وجدوا - توقعوا الخضوع لسلطة المجرب.

أولاً، عكس الرد على المقابلة، الذي تم تأمينه أثناء حرب فيتنام. فلو طُرحت الأسئلة في زمن السلم، لتوقعت نسبة أكبر العصيان. كما ومن خلال الجواب فقد أعرب عن تضامنه مع جندي أمريكي شعر معظم الأمريكيين أنه لا ينبغي تقديمه للمحاكمة.

ثانيًا، إن طرح سؤال الطاعة في سياق عسكري يضعه في المكان الأكثر شيوعًا لدى الشخص العادي: فهو يعلم أنه من المفترض أن يطيع الجندي الأوامر، وينبع رده في المقابلة من الحكمة الشعبية والإشاعات ومعرفة السياق العسكري. ومع ذلك، فإن هذا لا يفترض أي فهم للمبادئ العامة للطاعة، والتي لا يمكن إثباتها إلا من خلال تطبيقها الصحيح في سياق جديد. ان الناس يفهمون أن المذبحة في (ماي لاي) قد قام بها الجنود لكنهم يفشلون في رؤية أن مثل هذا العمل الذي يتم تنفيذه بشكل روتيني هو النتيجة المنطقية للعمليات التي تعمل بشكل أقل وضوحًا في جميع أنحاء المجتمع المنظم. وأخيرًا، يشير الرد إلى درجة تبني الشعب الأمريكي لوجهة نظر السلطة في تقييم حرب فيتنام فلقد تم تلقينهم بالكامل من خلال الدعاية الحكومية (والتي هي، على المستوى المجتمعي، الوسيلة التي يتم بموجبها إصدار تعريف رسمي للوضع). وبهذا المعنى، فإن المجيبين على سؤال كيلمان لم يقيّموا خارج نظام السلطة الذي طُلب منهم التعليق عليه ولكنهم تأثروا به بالفعل.

29. هنري ويرز، محاكمة هنري ويرز (القائد في أندرسونفيل)، مجلس النواب، الكونجرس الأربعين، الجلسة الثانية، وثيقة. رقم 23.

(رسالة من وزير الحرب المؤقت، ردًا على قرار مجلس النواب في 16 أبريل 1866، يحيل ملخصًا لمحاكمة هنري ويرز. 17 ديسمبر 1867 (أمر بطبعه).

30. يبدو أن الجدال الفوضوي للتفكيك الشامل للمؤسسات السياسية هي حل قوي لمشكلة السلطة لكن المشاكل الفوضوية غير قابلة للحل بنفس القدر. أولاً، بينما يؤدي وجود السلطة أحيانًا إلى ارتكاب أعمال بلا رحمة ولا أخلاق، فإن غياب السلطة يجعل المرء ضحية لمثل هذه الأفعال من جانب الآخرين الأكثر تنظيمًا. إذا تخلت الولايات المتحدة عن كل أشكال السلطة السياسية فستكون النتيجة واضحةً تمامًا. وسنصبح قريبًا ضحايا الفوضى التي نشعر بها لأن المجتمعات الأفضل تنظيمًا ستدرك على الفور وتتصرف بناءً على الفرص التي يخلقها الضعف.

مع ذلك، سيكون مبالغًا به أن تُبسّط صورة الفرد النبيل في صراع مستمر ضد السلطة الحاقدة. فالحقيقة الواضحة هي أن الكثير من نُبل هذا الفرد وهي نفس القيم التي يحملها ضد السلطة الحاقدة والتي هي نفسها مشتقة من السلطة. وان كل فرد يقوم بعمل قاسي بسبب السلطة هناك شخص آخر ممنوع من القيام بذلك.

31. أنظر جاي كاتز، التجريب مع البشر بأن تكون سلطة المحقق والمتدرب والمهن والدولة في عملية التجربة البشرية، نيويورك: مؤسسة راسل سيج، 1972). يحتوي هذا الكتاب المرجعي المكون من (1159) صفحة على تعليقات على التجارب الحالية التي أجراها

بومريند وإلمز وكيلمان ورينـغ وميلجرام. كما يتضـمن تصريح الدكتور بـول إيريرا الذي أجـرى مقابلات مع عدد من المشـاركين في التجربة (صفحة 400). ويمكن العثور على مناقشـات مدروسة حول القضايا الأخلاقية لهذا البحث في (أي ميلر)، علم النفس الاجتماعي للبحوث النفسية، وفي (أي أيلمز)، علم النفس الاجتماعي والأهمية الاجتماعية.



المراجع

• -أبسي، د. كلاب بافلوف. لندن: فالنتين، ميتشل وشركاه المحدودة، قيد الطبع.

• أدورنو، ت. فرنكل برونزويك، آخر؛ ليفنسون، دي جيه، وسانفورد، آر إن الشخصية السلطوية. نيويورك: هاربر ورو، 1950.

• آرندت، أيخمان في القدس: تقرير عن تفاهة الشر. نيويورك: مطبعة فايكنغ، 1963.

• J.E ،Asch-. «تأثيرات ضغط المجموعة على تعديل وتشويه الحكم». في H. Gentzkow (محرر)، المجموعات والقيادة والرجال. بيتسبرغ: مطبعة كارنيجي، 1951.

• أشبي، دبليو آر مقدمة في علم التحكم الآلي. لندن: تشابمان آند هول ليمتد، 1956.

• بومريند، د. «بعض الأفكار حول أخلاقيات البحث: بعد قراءة دراسة ميلجرام السلوكية للطاعة». «عالم النفس الأمريكي، المجلد 19 (1964)، ص 421 - 23.

• بيركويتز، عدوان: تحليل نفسي اجتماعي. نيويورك: ماكجرو هيل، 1962.

• بيتلهايم، ب. القلب المستنير. نيويورك: The Free Press، 1960.

• بيرشتات، ر. «مشكلة السلطة». الفصل الثالث في الحرية والسيطرة في المجتمع الحديث. نيويورك: فان نوستراند، 1954، ص 67-81.

• جي وجي بلوك. «تجربة شخصية على ردود الفعل على السلطة». العلاقات الإنسانية، المجلد. 5 (1952)، ص 91-98.

• أي أتش بووس. علم نفس العدوان. نيويورك: جون وايلي، 1961.

• كانون، دبليو ب. حكمة الجسد. نيويورك: دبليو نورتون، 1932.

• كارترايت، د. (محرر). دراسات في القوة الاجتماعية. آن أربور: مطبعة جامعة ميشيغان، 1959.

• الراحة، أ. السلطة والجنوح في الدولة الحديثة: نهج إجرامي لمشكلة السلطة. لندن: روتليدج وك. بول، 1950.

• كروفورد، ت. «في الدفاع عن أبحاث الطاعة: امتداد لأخلاقيات كيلمان». في A.G Miller (محرر)، علم النفس الاجتماعي للبحوث النفسية. نيويورك: فري برس، 1972، ص 179 - 86.

• أتش في ديكس. القتل الجماعي المرخص: دراسة اجتماعية نفسية لبعض قتلة SS. نيويورك: بيسك بوكس ، 1972.

• أي سي أيلمس. «أعمال التقديم». الفصل الرابع من علم النفس الاجتماعي والعلاقة الاجتماعية. بوسطن: ليتل، براون، 1972.

• الإنجليزية، H. ب. ديناميات تنمية الطفل. نيويورك: هولت ورينهارت ووينستون، 1961.

• إريكسون م. «وحشية الناس العاديين» المجلة الدولية للطب النفسي، المجلد 6 (1968)، الصفحات 278-79.

• إتزيوني، أ. «نموذج بحث مهم». المجلة الدولية للطب النفسي، المجلد. 6 (1968)، ص 279-80.

• Feinberg، I. «الفروق بين الجنسين في مقاومة الضغط الجماعي». أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية سوارثمور، سوارثمور، بنسلفانيا.

• Festinger-، L. A Theory of Cognitive Dissonance. نيويورك: هاربر ورو، 1957.

• فرانك، جي دي «دراسات تجريبية للضغط والمقاومة الشخصية». مجلة علم النفس الوراثي، المجلد. 30 (1944)، ص 23-64.

• الفرنسية، جي آر بي «نظرية رسمية للسلطة الاجتماعية». مراجعة نفسية، المجلد 63 (1956)، ص 181-94.

• موريسون، إتش دبليو، وليفينجر، ج. «القوة القسرية والقوى التي تؤثر على المطابقة». مجلة علم النفس الاجتماعي الشاذ، المجلد. 61 (1960)، ص. 93-101.

• ورافين، BH «The Bases of Social Power». In D. Cartwright (ed.)، Studies in Social Power. Ann Arbor: University of Michigan Press، 1959، ص 150 - 67.

• فرويد، س. الطوطم والمحرمات. ترجمه J. Strachey. نيويورك: دبليو دبليو نورتون، 1950.

• «أفكار للعصر حول الحرب والموت». في J. Strachey (محرر)، الإصدار القياسي للأعمال النفسية الكاملة لسيجموند فرويد، المجلد. 14. لندن: مطبعة هوغارث، 1957، ص 273-302.

• علم النفس المجموعة وتحليل الأنا. ترجمه J. Strachey. لندن: هوغارث، 1922 ؛ نيويورك: كتب بانتام، 1960 (أصل ألماني، 1921).

• فروم، إي الهروب من الحرية. نيويورك: هولت ورينهارت ووينستون، 1941.

• جارفينكل، هـ. «دراسات حول الأسس الروتينية للأنشطة اليومية». المشاكل الاجتماعية، المجلد. 11 (شتاء 1964)، ص 225 - 50.

• جلاسر، آر جيه 365 يومًا. نيويورك: جورج برازيلر، 1971.

• جوفمان، إي. عرض الذات في الحياة اليومية. نيويورك: Double-day Anchor Books، 1959.

• «الحـرج والتنظيـم الاجتماعي». المجلـة الأمريكية لعلم الاجتماع، المجلد. 62 (نوفمبر 1936)، ص 264-71.

• هالبرستام، ديفيد. صنع المستنقع. نيويورك: راندوم هاوس، 1965.

• هول، إي تي البعد المخفي. نيويورك: دوبليداي، 1966.

• هيلبرج، ر. تدمير يهود أوروبا. شيكاغو: كتب كوادرانغل، 1961.

• هوبز، توماس. ليفياثان. أكسـفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1909. استنساخ طبعة 1651.

• هوفلينـج، سي ك. بروتزمـان، إي. دالريمبـل، إس. جريفـز، إن، وبيرس، سي «دراسـة تجريبية لعلاقات المرض والطبيب». مجلة الأمراض العصبية والعقلية. المجلد. 143، رقم 2 (1966)، ص 171-80.

• Homans، G.C.S Social Behavior: its Primary Forms. نيويـورك: هاركورت بريس جوفانوفيتش، 1961.

• كاتـز، ج. التجريـب مـع البشر: سـلطة المحقـق والموضوع والمهـن والدولة في عملية التجربة البشرية. نيويورك: مؤسسة راسل سيج، 1972.

• Kelman، H. «الاستخدام البشري للموضـوعات: مشكلة الخداع في التجارب النفسية الاجتماعية». النشرة النفسية، المجلد. 67 (1967)، ص 1-11.

• ولورنس، إل. «As

• أبسي، د. كلاب بافلوف. لندن: فالنتين، ميتشل وشركاه المحدودة، قيد الطبع.

• أدورنو، ت. فرنكل برونزويك، آخر ؛ ليفنسـون، دي جيه، وسـانفورد، آر إن الشخصيـة السـلطوية. نيويورك: هاربر ورو، 1950.

• آرنـدت، أيخـمان في القدس: تقرير عـن تفاهة الشر. نيويـورك: مطبعة فايكنغ، 1963.

• Asch، J.E. «تأثـيرات ضغـط المجموعـة عـلى تعديل وتشـويه الحكم». في H. Gentzkow (محرر)، المجموعات والقيادة والرجال. بيتسـبرغ: مطبعة كارنيجي، 1951.

• أشبي، دبليو آر مقدمـة في علم التحكم الآلي. لندن: تشـابمان آند هول ليمتد، 1956.

• بومريند، د. «بعض الأفكار حول أخلاقيات البحث: بعد قراءة دراسة ميلجرام السلوكية للطاعة». «عالم النفس الأمريكي، المجلد 19 (1964)، ص 421 – 23.

• بيركويتز، عدوان: تحليل نفسي اجتماعي. نيويورك: ماكجرو هيل، 1962.

• بيتلهايم، ب. القلب المستنير. نيويورك: The Free Press، 1960.

• بيرشتات، ر. «مشكلة السلطة». الفصل الثالث في الحرية والسيطرة في المجتمع الحديث. نيويورك: فان نوستراند، 1954، ص 67–81.

• Block، J. and J. «تجربـة شـخصية على ردود الفعل على السـلطة». العلاقات الإنسانية، المجلد. 5 (1952)، ص 91–98.

• Buss، A.H. علم نفس العدوان. نيويورك: جون وايلي، 1961.

• كانون، دبليو ب. حكمة الجسد. نيويورك: دبليو دبليو نورتون، 1932.

• كارترايت، د. (محرر). دراسـات في القوة الاجتماعية. آن أربور: مطبعة جامعة ميشيغان، 1959.

• الراحة، أ. السـلطة والجنوح في الدولة الحديثة: نهج إجرامي لمشـكلة السـلطة. لندن: روتليدج وك.بول، 1950.

• كروفـورد، ت. «في الدفاع عن أبحاث الطاعة: امتداد لأخلاقيات كيلمان». في A.G Miller (محـرر)، علم النفس الاجتماعي للبحوث النفسـية. نيويورك: فري برس، 1972، ص 179 – 86.

• Dicks، H. V. القتل الجماعي المرخص: دراسة اجتماعية نفسية لبعض قتلة SS. نيويورك: بيسك بوكس ، 1972.

• Elms، A.C. «أعـمال التقديـم». الفصـل الرابـع مـن علم النفـس الاجتماعي والعلاقة الاجتماعية. بوسطن: ليتل، براون، 1972.

• الإنجليزيـة، H. ب. ديناميـات تنميـة الطفـل. نيويـورك: هولـت ورينهارت ووينستون، 1961.

• إريكسون م. «وحشية الناس العاديين» المجلة الدولية للطب النفسي، المجلد 6 (1968)، الصفحات 278-79.

• إتزيوني، أ. «نموذج بحث مهم». المجلة الدولية للطب النفسي، المجلد. 6 (1968)، ص 279-80.

• Feinberg-، I. «الفروق بين الجنسين في مقاومة الضغط الجماعي». أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية سوارثمور، سوارثمور، بنسلفانيا.

• Festinger، L. A Theory of Cognitive Dissonance. نيويورك: هاربر ورو، 1957.

• فرانك، جى دي «دراسات تجريبية للضغط والمقاومة الشخصية». مجلة علم النفس الوراثي، المجلد. 30 (1944)، ص 23-64.

• بالفرنسية، جي آر بي «نظرية رسمية للسلطة الاجتماعية». مراجعة نفسية، المجلد 63 (1956)، ص 181-94.

• موريسون، إتش دبليو، وليفينجر، ج. «القوة القسرية والقوى التي تؤثر على المطابقة». مجلة علم النفس الاجتماعي الشاذ، المجلد. 61 (1960)، ص. 93-101.

• ورافين، BH «The Bases of Social Power». In D. Cartwright (ed.)، Studies in Social Power. Ann Arbor: University of Michigan Press، 1959، ص 150 - 67.

• فرويد، س. الطوطم والمحرمات. ترجمه J. Strachey. نيويورك: دبليو دبليو نورتون، 1950.

• «أفكار للعصر حول الحرب والموت». في J. Strachey (محرر)، الإصدار القياسي للأعمال النفسية الكاملة لسيجموند فرويد، المجلد. 14. لندن: مطبعة هوغارث، 1957، ص 273-302.

• علم النفس المجموعة وتحليل الأنا. ترجمه J. Strachey. لندن: هوغارث، 1922 ؛ نيويورك: كتب بانتام، 1960 (أصل ألماني، 1921).

• فروم، إي الهروب من الحرية. نيويورك: هولت ورينهارت ووينستون، 1941.

• جارفينكل، هـ. «دراسات حول الأسس الروتينية للأنشطة اليومية». المشاكل الاجتماعية، المجلد. 11 (شتاء 1964)، ص 225 – 50.

• جلاسر، آر جيه 365 يومًا. نيويورك: جورج برازيلر، 1971.

• جوفمان، إي. عرض الذات في الحياة اليومية. نيويورك: Double-day Anchor Books، 1959.

• «الحرج والتنظيم الاجتماعي». المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع، المجلد. 62 (نوفمبر 1936)، ص 264–71.

• هالبرستام، ديفيد. صنع المستنقع. نيويورك: راندوم هاوس، 1965.

• هول، إي تي البعد المخفي. نيويورك: دوبليداي، 1966.

• هيلبرج، ر. تدمير يهود أوروبا. شيكاغو: كتب كوادرانغل، 1961.

• هوبز، توماس. ليفياثان. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1909. استنساخ طبعة 1651.

• هوفلينج، سي ك. بروتزمان، إي. دالريمبل، إس. جريفز، إن، وبيرس، سي «دراسة تجريبية لعلاقات الممرض والطبيب». مجلة الأمراض العصبية والعقلية. المجلد. 143، رقم 2 (1966)، ص 171–80.

• Homans، G.C.S Social Behavior: its Primary Forms. نيويورك: هاركورت بريس جوفانوفيتش، 1961.

• كاتز، ج. التجريب مع البشر: سلطة المحقق والموضوع والمهن والدولة في عملية التجربة البشرية. نيويورك: مؤسسة راسل سيج، 1972.

• Kelman، H. «الاستخدام البشري للموضوعات: مشكلة الخداع في التجارب النفسية الاجتماعية». النشرة النفسية، المجلد. 67 (1967)، ص 1–11.

• ولورنس، إل. As... س. نيويورك: هاربر ورو، 1936.

• شيرير، و. ل. صعود وسقوط الرايخ الثالث. نيويورك: سايمون اند شوستر، 1960.

• سيدس، ب. علم نفس الاقتراح. نيويورك: أبليتون، 1898.

• Simon، H. A. السلوك الإداري: دراسة عمليات صنع القرار في المنظمات الإدارية. نيويورك: The Free Press، 1965.

• سنو، سي بي «إما أو». بروجريسيف، فبراير 1961، ص 24.

• سوفوكليس. أنتيجون. ترجمه جيه جيه تشابمان. بوسطن: شركة هوتون ميفلين، 1930.

• Stogdill، R.M. «قياس المواقف تجاه الرقابة الأبوية والتكيف الاجتماعي للأطفال». مجلة علم النفس التطبيقي، المجلد. 20 (1936)، 259–67.

• تايلور، ت. نورمبرج وفيتنام: مأساة أمريكية. شيكاغو: كتب كوادرانغل، 1970.

• Tinbergen، N. السلوك الاجتماعي في الحيوانات. لندن: بتلر وتانر المحدودة، 1953.

• ثورو، هنري ديفيد. والدن والعصيان المدني. حرره شيرمان بول. بوسطن: هوتون ميفلين، 1957.

• توكفيل، أليكسيس دي. الديمقراطية في أمريكا. لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، 1965.

• تولستوي، كتابات ل. تولستوي حول العصيان المدني واللاعنف. نيويورك: المكتبة الأمريكية الجديدة، 1968.

• ويبر، م. نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1947.

• ووك، H. كين تمرد. جاردن سيتي: دوبليداي وشركاه، 1952.

أعمال أخرى

• -آدامز، ج. ستايسي، ورومني، إيه كيمبال. «تحليل وظيفي للسلطة» مراجعة نفسية، المجلد 66، العدد 4 (يوليو 1959)، الصفحات 234–51.

• -أرونفريد، جاستن. السلوك والضمير: التنشئة الاجتماعية للرقابة الداخلية على السلوك. نيويورك: Academic Press، 1968.

• Berkowitz-، Leonard، and Lundy، R. «خصائص الشخصية المتعلقة بقابلية التأثير من قبل الأقران أو شخصيات السلطة». مجلة الشخصية، المجلد 25 (1957)، ص 306-16.

• Binet-، A. La Suggestibilité. باريس: شلايشر، 1900.

• -كوهن، نورمان. مذكرة بتهمة الإبادة الجماعية. نيويورك: هاربر ورو، 1967.

• -ديجرازيا، سيباستيان. «ما هي السلطة ليست». مراجعة العلوم السياسية الأمريكية، المجلد. 3 (يونيو 1959).

• -كلود. الضمير المحترق: حالة الطيار في هيروشيما التي تحدثت في رسائله إلى غونتر أندرس. نيويورك: مطبعة المراجعة الشهرية، 1961.

• -إلكينز، ستانلي م. العبودية: مشكلة في الحياة المؤسسية والفكرية الأمريكية. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، 1959.

• -فريدلاندر، شاول. كيرت غيرستين: غموض الخير. نيويورك: ألفريد أ.كنوبف، 1969.

• -فريدريش، سي جي السلطة. كامبريدج: مطبعة جامعة هارفارد، 1958.

• -جامسون، وليام. القوة والاستياء. هوموود، إيلينوي: The Dorsey Press، 1968.

• -جايلين، دبليو في خدمة بلادهم: مقاومي الحرب في السجن. نيويورك: مطبعة الفايكنج، 1970.

• Goldhammer-، H.، and Shils، E. «Types of Power and Status». American Journal of Sociology، Vol. 45 (1939)، pp. 171-78.

• -جور، تيد روبرت. لماذا تمرد الرجال. برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 1970.

• -هالي، فيليب ب. مفارقة القسوة. ميدلتاون، كون: مطبعة جامعة ويسليان، 1969.

• -هامر، ريتشارد. المحكمة العسكرية للملازم كالي. نيويورك: Coward، McCann، & Geoghegan، 1971.

- Heydecker-، J. J.، and Leeb، J. The Nuremberg Trial. كليفلانـد ونيويورك: شركة النشر العالمية، 1962.
- Howton-، William F. الموظفون. شيكاغو: كتب كوادرانغل، 1969.
- -هنتنغتـون، صموئيل ب. الجندي والدولة: نظرية وسياسـة العلاقات المدنية العسكرية. نيويورك: كتب عتيقة، 1964.
- -لاسـويل، إتش دي، وكابلان، أ. السـلطة والمجتمع. نيو هافن، كون: مطبعة جامعة ييل، 1950.
- -لومـان، إدوارد أو. سـيجل، بـول م، وهودج، روبرت و. (محـرران). المنطق التسلسلات الهرمية الاجتماعية. شيكاغو: شركة ماركهام للنشر، 1970.
- -نيومان، فرانز. الدولة الديمقراطية والسـلطة: مقالات في النظرية السياسـية والقانونية. حرره هربرت ماركوز. نيويورك: The Free Press، 1957.
- -بارسونز، ت. النظام الاجتماعي. نيويورك: The Free Press، 1951.
- -رايـش، فيلهلـم. علـم النفـس الجماعـي للفاشـية، نيويـورك: مطبعـة معهد الأورغون، 1946.
- -خاتـم، ك. Wallston، K.، and Corey، M. «طريقـة اسـتخلاص المعلومات كعامل يؤثر على رد الفعل الذاتي لتجربة طاعة من نوع ميلجرام: تحقيق أخلاقي». بحث تمثيلي في علم النفس الاجتماعي، المجلد 1 (1970)، ص 67- 88.
- Rokeach-، M. «السلطة، والاستبداد، والامتثال». في I. A. Berg و B. M. Bass (محرران)، المطابقة والانحراف. نيويورك: هاربر ورو، 1961، ص 230 - 57.
- -راسل، برتراند. السلطة والفرد. بوسطن: مطبعة بيكون، 1949.
- -ساك، جون. الملازم كالي: قصته الخاصة. نيويورك: مطبعة الفايكنج، 1970.
- -سبير، ألبرت. داخل الرايخ الثالث: مذكرات. نيويورك: ماكميلان، 1970.
- Tilker-، H. A. «السـلوك المسـؤول اجتماعيًا كدالة لمسـؤولية المراقب وردود فعـل الضـحايا». مجلة الشـخصية وعلم النفس الاجتماعـي، المجلد. 14، العدد 2 (فبراير 1970)، ص 95-100.

• –فون ميزس، لودفيج. بيروقراطية. نيو هافن، كون: مطبعة جامعة ييل، 1944.

• Whyte–، L.L، Wilson، A.G، and Wilson، eds) D.). الهياكل الهرمية.

• –نيويورك: دار النشر الأمريكية إلسفير، 1969.

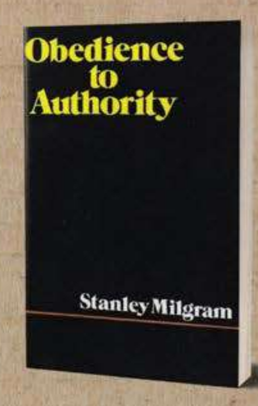
• –وولف، د. م. «القوة والسلطة في الأسرة». في د. كارترايت (محرر)، دراسات في السلطة الاجتماعية. آن أربور: مطبعة جامعة ميشيغان، 1959، ص 99 – 117.



إن التجارب الموصوفة هنا تنبثق من تقليد يمتد لخمسة وسبعين عامًا من التجريب في علم النفس الاجتماعي. فقد أجرى بوريس سيدس تجربة على الطاعة في عام 1898، وإن كلاً من أش، لوين، شريف، فرانك، بلوك، كارترايت، فرنش، رافين، لوشينز، ليبت، وايت، قد اطلع عليها للاستعانة بها دون مناقشتها بشكل خاص.

فمساهمات أدورنو وشركائه وأرندت وفروم ويبر هي جزء من روح العصر التي ينمو فيها علماء الاجتماع. فهناك ثلاثة أعمال ذات أهمية خاصة بالنسبة لي. الأول هو السلطة الحكيمة والاختلاف في الدولة الحديثة من قبل أليكس كومفورت، والثاني تحليل مفاهيمي واضح للقوة كتبه روبرت بيرستيدت؛ وطوره آرثر كويستلر، والثالث الشبح والآلة والتي طورت فكرة التسلسل الهرمي الاجتماعي بعمق أكبر من الكتاب الحالي.

تم إجراء هذا البحث التجريبي واستكماله عندما كنت في قسم علم النفس بجامعة ييل، 1960ـ1963، وأنا ممتن للقسم لمساعدتي في تسهيلات البحث الجيدة وتقديم المشورة، وأود بشكل خاص أن أشكر الأستاذ إيرفينغ ال. جانيس.



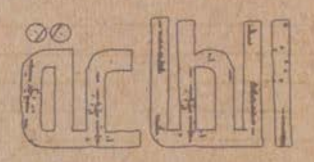


ستانلي ميلجرام

عالم نفس اجتماعي أمريكي. قدم دراسات متنوعة و مقالات حصلت على عدد مهول من الاقتباسات. و أهمها بحثه في الانصياع أو الإذعان للسلطات التي قدمها خلال الستينات من القرن العشرين خلال عمله في جامعة ييل. تأثر ميلغرام بأحداث الهولوكوست وخصوصا محاكمات أدولف إيخمان في تصميم هذه التجربة. والبحث الآخر الذي أعطاه شهرة تعززت فيما بعد هي التجربة التي تدعى العالم الصغير والتي قادت الباحثين إلى النظر في ميكانيكيات الشبكات الاجتماعية و البحث في العلاقة الرياضية التي تفسر درجة الترابط ومبدأ ست درجات من التباعد.

النموذج الاساسي لاختبار ميلغرام، فيه يقوم موضوع التجربة بالدخول إلى مختبر معتقدا انه على وشك المشاركة في دراسة عادية عن الذاكرة والتعلم، حيث يخصص له دور «المعلم» ويطالبه القائمين على التجربة بتلقين مجموعة من الكلمات المترادفة لزميل له يدعى «المتلقي» (في الوقع يكون «المتلقي» متعاونا مع القائمين على التجربة). على الوجه الاخر فان أسلوب التعليم غير مألوف حيث يقوم «المعلم» عند الحصول على اجابات غير موفقة بتوجيه الصدمات الكهربائية إلى «المتلقي» والتي تتزايد في قوتها بمعدل تدريجي، وعندما تصل الصدمات الكهربائية المفترضة إلى حد معين، هنا يقع صراع نفسي للمعلم موضوع التجربة، فمن ناحية يبدأ «المتلقي» بادعاء الصراخ مطالبا اطلاق سراحه، ويتظاهر أنه يعاني من شدة الألم، موضحا ان الاستمرار على هذه الحال يشكل خطرا صحيا عليه، وعلى الجانب الاخر فان القائمين على التجربة -إذا فقط وجه السؤال لهم من موضوع التجربة- يصرون على الرأي أن ما يجري آمن تماما على عكس الظاهر، وان الصدمات لا تسبب أية اضرار صحية، وأنه يتوجب على المعلم الاستمرار.

وعلى العكس من توقعات العلماء والعامة على حد سواء فأن حوالي 65 % ممن خضعوا للتجربة قد استمروا في توجيه الصدمات الكهربائية للمتلقين حتى وصلت لاعلى مستوياتها على الإطلاق ولقد وجدت اختبارات أحدث للتجربة أنها تعمل في ظل ظروف معينة فقط ؛ على وجه الخصوص، عندما يعتقد المشاركون أن النتائج ضرورية «لمصلحة العلم».





إن الواجب المهم هنا من وجهة نظر الدراسة النفسية للطاعة، هي أن تكون قادرًا على أخذ تصورات السلطة وتطبيقها على تجربة شخصية، والحديث بعبارات مجردة عن الحقوق والسلطة الفردية؛ فدراسة الخيار الأخلاقي في موقف حقيقي أمر مختلف تمامًا وهذا معلومٌ لدى الجميع من خلال المشكلات الفلسفية للحرية والسلطة، ولكن في كل موقف لا تكون فيه المشكلة أكاديمية فقط هناك شخص حقيقي يجب أن يطيع أو يعصي السلطة، وهذا مثال ملموس عندما يقع التحدي. وإن كل تصور قبل هذه اللحظة لا يعدو عن كونه تخمينًا ليس إلا، فالخبرات تبنى حول هذا المفهوم.

يُشار إلى أن التوجه صوب التجريب يضيّق المشكلة في الحالة التي يطلب فيها المجرب من شخص ما أن يتصرف بقوة أكبر من المعتاد تجاه أو ضد شخص آخر، وتحت أي شروط أو ظروف سيمتثل المتدرب، وتحت أي شروط سيعصي؟ إن مشكلة التجريب حية ومكثفة وحقيقية فهي ليست شيئًا بعيدًا عن الحياة لكنها تحمل إلى استنتاج متطرف ومنطقي للغاية في بعض الاتجاهات المتأصلة في الأداء الطبيعي للعالم الاجتماعي.

telegram @soramnqraa

ISBN: 978-9953-599-73-1



